الرهبنة: "تلمذة ـ طاعة ـ اعتراف ـ تسليم وتسلم"

{١}
مار إسحق السرياني

📖 [١٤] لا تتكلَّم من أجل الحق مع مَنْ لا يعرفه.
📖 أمَّا مَنْ كان يتوق إلى معرفته، فلا تُخفِ عنه الكلمة.



📖 [١٥] مَنْ لا يقدر أن ينتفع بالمعرفة، اجعله ينتفع من صمتك، أكثَر من كلام المعرفة. اقتَنِ الإتضاع مقابل ضعفه، وعلى قدر ما يُمكن للعصفور أن يقبل، تكلَّم معه باللغة التي تناسبه، إلى أن تَجتذبه إلى معرفة الحياة.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الاولي ـ صفحة ٦٤١

📖 المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هيِّن.
📖 والذي يعترف بأوجاعه فهو قريب من الشفاء.
📖 أما القلب القاسي فتكثر أوجاعه.
📖 والمريض الذي يقاوم الطبيب {مرشده} يزيد من عذابه.
📖 استرْ على الخاطئ وشجِّعه دون أن تخسر أنت بسببه، لكي ما تحملك رحمة سيد الكل.
📖 اسند الضعفاء، وصغيري النفوس بكلمة، وبما تقدمه لهم بيدك، تسندك اليمين التي تحمل الكل.
📖 كن شريكاً لموجوعي القلوب بالصلاة الحزينة وبصراخ القلب من أجلهم لكي يُفتح أمام طلباتك ينبوع الرحمة.

عدم نفع الكلام بدون عمل

{من المرشد أو التلميذ}

📖 الكلام الذي يكون من خبرة العمل هو: كنز الرجاء الذي يُتكل عليه، أما الحكمة البطالة فهي كنز الخزي. وكمثل المصوِّر، الذي يصوِّر الماء على الحائط، ولا يقدر ذلك الماء أن يبرِّد عطشه، ومثل الإنسان الذي ينظر الأحلام {الجميلة}، هكذا الذي يتكلم، من غير عمل.
📖 الذي من تجربة أعماله يتكلم عن الفضائل، هو مثل مَن يعطي من بضاعة تجارته كلمة للسامعين، ومن الشيء الذي اقتناه في نفسه يزرع التعليم في آذان السامعين، ويفتح فمه بثقة مع بنيه الروحانيين، كشبه يعقوب الشيخ مع يوسف العفيف بقوله: «هوذا قد أعطيتك

نصيباً فاضلاً عن إخوتك قد اكتسبته من الأموريين بسيفي وقوسي».

📖 فالذي يريد أن يقيم كلمته، ولو أنها حق، هذا قد مرض مرضاً شيطانياً، والذي ينوح على ذاته ينجو من النار، لقد أعطى ربنا الطوبى للطاعة، لأن المطيع هو الذي يتنعم أولاً بالطوبى، والويل للمقاوم والمحارن لأنه يغتذي من مرارة نفسه كل حين.

📖 اعلم أن كل عمل تعمله من غير روية وبحث وبدون مشورة هو باطل ولو كان لائقاً، لأن الله يقدِّر عمل البرِّ بحسب التمييز، ولا يلتفت إلى عمل يُعمل دون غرض وقصد {إفراز} بل كيفما اتفق.

📖 الذي يتدبر بالمعرفة وسط الجهال، يصير ملاكاً لابساً جسداً، وكمثل النور في الظلمة يشرق نوره بين المائتين، لأن الذي قد استضاء فهو يضيء لقوم أخرين، لأن نوره معه دائماً، والذي قد عرف نور الأنفس هو يرشد قوماً أخرين، وإن كان قد عرف المعرفة الحقيقية فهو يصير عيناً للآخرين.

📖 والذي بإفرازه قد وجد خلاص نفسه هو قادر أن يردّ الذين طغوا وهلكوا، وما دام الإنسان لم يجد بعد خلاص نفسه، فهو لا ينفع الآخرين، وما دام خيره مخفي عليه فهو لا يقدر أن يقدم الخير للآخرين، وما دامت نفسه خفية عنه فهو يكون أعمى في هذا العالم، وكذلك ما دام لا يبصر ذاته فهو لا يقدر أن يرى شيئاً في هذا العالم.

📖 **[١٩]** فليكن مَحسوباً {كمجاهد مكرم} عندك، مستحقاً لله، ذلك الذي يُكمِّل أمور الله، وأعمالَها بِحزنٍ {بتعب}. ولكنه أكثَر استحقاقاً ذلك الذي يُكمِّلها بفرحٍ {الروح} بدون أي حزنٍ. ومع ذلك، فحتى ولو كان يوجد مُمتلكاً لذلك الفرح، فعليه أن يُسلِّم نفسه للطاعة.

ميامر مار اسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الرابعة ـ صفحة ٦٩٩

📖 **قال مار إسحق:**

📖 "المريض الذي يعترف بمرضه شفاؤه هين".

📖 "كذلك الذي يقر بأوجاعه فهو قريب من البرء، أما القلب القاسي فتكثر أوجاعه، والمريض الذي يخالف الطبيب يزيد عذابه".

📖 "ليست خطية بلا مغفرة، ألا التي بلا توبة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٨

📖 اهرب من الفجور والفجار، لأنه إذا كان التذكر البسيط لهذه الأشياء يدغدغ الذهن، فكم بالأحرى رؤيتها والعيش بقربها؟

📖 اقترب من الأبرار تقترب من الله بواسطتهم.

📖 عاشر المتواضعين يعلموك أحوالهم. فإذا كانت رؤيتهم نافعة إلى هذا الحد، فما بالك بتعليم أفواههم؟

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة ـ صفحة ٣٩

📖 من يمرض ويعرف داءه، عليه أن يفتش عن الاستشفاء.

📖 ومن يعترف بألمه، يقترب من الشفاء، ويبلغه بسهولة.

📖 القلب القاسي تزداد فيه الأوجاع، والسقيم الذي يقاوم الطبيب يزداد ألمه. لا توجد خطيئة بدون مغفرة، إلا التي بلا توبة.

📖 ولا عطية بدون مزيد، إلا التي بلا شكر.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثلاثون ـ صفحة ١١٥

📖 لا ترفض عند الضرورة الأقوال الناتجة عن الخبرة، وإن كان قائلها غير متعلم. إن الكنوز الكبيرة التي يملكها ملوك هذه الأرض، لا ترفض قبول فلس واحد، ولو من متسول. والأنهار الكبيرة لا تصبح كذلك، إلا إذا انصب فيها السواقي الصغيرة.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والثلاثون ـ صفحة ١٢٨

📖 **ويقول القديس اسحق**: "قبل كل شيء، لا تأتي أمراً من دون ان تستشير أباك الروحي في الرب وتسأله. عندئذ، ما كان باهظاً يبدو لك بنعمة المسيح خفيف الحمل، وما كان وعراً، ينخفض كالسهل".

فيلوكالية الآباء الزاهدين ـ كاليستوس وأغناطيوس ـ الجزء الأول ـ صفحة ٩٧

{٢}
القديس أنبا دوروثاؤس

📖 إن بؤس عدم الطاعة، يعلّمه راحة الطاعة، حسب قول النبي "ان تمرّدك يؤدبك" أما أنتم فلستم تملكون خبرة هذه الطاعة، التي لا يرافقها أي تفكير، ولا تعرفون الراحة التي تكمن فيها. سألت ذات يوم الأب يوحنا الشيخ تلميذ الأب برصنوفيوس: "يا معلم، يقول الكتاب "انه بضيقات كثيرة ينبغي ان ندخل ملكوت الله" لكنني أُلاحظ إنني لا أمر في أيّ ضيق.

📖 ماذا عليّ أن أفعل حتى لا أخسر نفسي"؟ فصرّح لي: "لا تغتمّ، لإنك لست من الأمر بشيء". كل الذين يستسلمون لطاعة الآباء، يملكون مثل هذه الراحة وعدم الاكتراث.

📖 ورُبّ امرئ يتساءل: ماذا يفعل من ليس عنده من يرشده، في الواقع ان ابتغى الإنسان إرادة الله حقاً، فإن الله لا يتركه، انما يقوده في كل شيء حسب مشيئته. وإذا وجّه الإنسان قلبه إلى الله، فإن الله يُرسل ولداً صغيراً يلهم بواسطته الإنسان.

📖 أمّا إذا لم يبتغ ذاك مشيئة الله بصدق، حتى ولو سأل نبياً، فإن الله سوف يضع في قلب النبي جواباً، يلاءم ضلالة قلب السائل، كما يقول الكتاب: "إذا أضلّ النبي وتكلّم كلاماً، فانا الرب قد أضللت هذا النبي" {حزقيال ١٤: ٩}. لذا يجب علينا بقوّة ان نقود أنفستا إلى مشيئة الله لا إلى ثقتنا بقلبنا.

📖 إذا كنت مؤتمناً على إخوة، فاحرص ان تكون صارماً في قلبك، رحوماً في أحشائك. علّمهم سبيل العيش بالقول والفعل معاً، لاسيّما

عن طريق أعمالك. لأن القدوة وقعها أشدّ من القول ... وإذا ما حصل خطأ ما، فلا تبالغ في القلق، إنما بادر بدون اضطراب إلى إظهار الأذى الناتج عن الخطأ الحاصل.

📖 لا تعزل نفسك البتة عن تعليم المسيح المقدّس الذي قال: "تعلّموا مني أنا الوديع والمتواضع القلب" {متى ١١: ٢٩}. في البدء اكتسب حالة سلامية. وذلك لكيلا يضطرب القلب، حتى لأسباب مشروعة، لأن قناعتنا هي في تتميم الوصايا كلّها، من أجل المحبة ونقاوة القلب. لإنك إذ تبني أخاك على هذا النحو، فسوف تسمع الصوت القائل: "إذا استخلصت الثمين من الرجس كنت كفمي" {أرميا ١٥: ١٩}.

📖 إذا كنت في طاعة لأحد فلا تصدق قلبك أبداً، إذ هو معمي بالانشغالات القديمة. لا تقرر نمط حياتك في شيء بدون سؤال ومشورة، بان تحتكم إلى ذاتك. لا تظنّن ان أفكارك وحلولك هي أفضل وأصدق من تلك التي يزوّدك بها مرشدك. لا تُقم نفسك مدققاً على أعماله. وذلك لكيلا تكون مخطئاً في أعمالك وأحكامك. لأن عمل الشرير هو أن يمنع الخضوع بثقة في أي من الظروف، فيقصي الخلاص الناتج عنه.

📖 اغصب نفسك في كل شيء واقطع مشيئتك. وبنعمة المسيح تألف هذا القطع وتقوم به دونما ضغط أو شقاء. تماماً كما لو كنت تقوم بمشيئتك نفسها. جاهد لكي تجد في كل أمر شيئاً تلوم به نفسك.

📖 جاهد أيضاً في ان تتمسك بالتخفي بمعرفة.

📖 قال أيضاً: في كل ما يحصل أفضّل ان يكون هذا برأي قريبي، حتى ولو فشلت بإتباع رأيه، على إن انجح منقاداً برأيي.

{٣}
القديس يوحنا السلمي

📖 نحن الراغبين في الخروج من مصر هربا من وجه فرعون نحتاج حتما بعد الله إلى موسى آخر يتوسط لنا عند الله فيقف بين العمل والتأمل ويرفع يديه من أجلنا إلى أن نعبر بإرشاده بحر خطايانا ونهزم عماليق أهوائنا، فالذين يتكلون على أنفسهم ويتوهمون أنهم لا يحتاجون إلى مرشد يرشدهم هم مخدوعون.

📖 إن الذين خرجوا من مصر قد اتخذوا موسي مرشدا لهم، والذين هربوا من سدوم كان الملاك هاديهم، فالذين يسعون إلى شفاء أهواء النفس بعناية الأطباء يمثلون الخارجين من مصر، أما الهاربون من سدوم فهم المتوخون استخراج نجاسة الجسد، ولذا هم بحاجة إلى ملاك، أعني إلى إنسان معادل لملاك لكي يعينهم، لأننا بمقدار ما يزداد تقيح جروحنا نحتاج إلى طبيب أكثر مهارة.

📖 إذا عزم المرء على الاعتراف بخطاياه على الدوام فإن هذا العزم يكون له بمثابة لجام يردعه عن ارتكاب الخطيئة، لأن ما لا نعترف به نفعله دون خوف كما في الظلام.

📖 إذا تذرع الطبيب بعجزه عن مداواتك فلا بد من الذهاب الى طبيب آخر إذ يندر شفاء أحد بدون طبيب. ومن ذا الذي يخالفنا في أن السفينة التي تغرق بإدارة ربان محنك سوف تفقد كليا بلا ربان.

📖 كما تعقب الثمرة الزهرة كذلك تعقب الطاعة التغرب بالجسد والمشيئة، لأن الطاعة المقدسة إنما تصعد إلى السماء بواسطة هذين التغربين بالجسد والمشيئة اللذين هما بمثابة جناحيها الذهبيين.

📖 الطاعة أقدام بدون بحث، موت طوعي، مسيرة بلا تعقيد، عدم

الاكتراث للأخطار، حماية تلقائية من لدن الله، عدم الخوف من الموت، إبحار امن، سفر أثناء النوم، الطاعة بتر للمشيئة، وقيامة للاتضاع، فالميت لا يناقض أو يباحث لا في الصالحات، ولا فيما يحسب انه من غير الصالحات، لأن الذي أسلم إليه الراهب روحه حبا بالله سوف يجيب عنه بشأنها كلها، الطاعة هي التخلي عن التمييز في وفرة من التمييز.

📖 في بداية إماتة الجسد والمشيئة مشقة، وفي منتصفها بعض المشقة، أما في نهايتها فزوال الشعور بأية مشقة، بل يشقى ذلك المطيع المغبوط، الحي والميت في آن واحد، ويتألم فقط إذا لاحظ انه يصنع إرادته، وذلك خوفا من عبء المشيئة الذاتية وتبعتها.

📖 أنتم الذين بادرتم الى إلقاء حملكم على عنق غيركم، أنتم الذين اسرعتم باختياركم الى كتابة صك عبوديتكم راغبين أن يكتب لكم العتق والحرية بالمقابل، أنتم الذين تعبرون هذا البحر الكبير مرفوعين على أيدي غيركم.

📖 اعلموا أنكم قد عزمتم أن تسلكوا طريقا قصيرة بقدر ما هي وعرة، طريقا فيها ضلالة واحدة هي اتباع الإنسان هواه، لأن من جحد اتباع هواه جحودا كاملا حتى فيما يبدو له صالحا وروحيا ومرضيا لله، قد وصل قبل انطلاقه للسفر، وذاك إن الطاعة هي عدم وثوق المرء بنفسه حتى آخر عمره في تقدير ما هو صالح له.

📖 فلنعمد أولا الى الفحص والتدقيق بل الى اختبار مرشدنا ... وذلك لئلا نصادف نوتيا بدلا من ربان، ومريضا بدلا من طبيب، وإنساناً مستعبدا للأهواء بدلا من إنسان متحرر منها، ولجة بدلا من ميناء، فنلاقي غرقا وشيكا لنفوسنا، أما بعد دخولنا ساحة التقوى والطاعة فلا نعودن ندين مرشدنا في أي شيء بالكلية ولو رأينا فيه زلات ذميمة ما دام إنساناً، والا فلا ينفعنا خضوعنا شيئا.

🕮 لقد حدد الآباء أن تلاوة المزامير سلاح، والصلاة سور، والدمعة النقية حميم، أما الطاعة المغبوطة فقد حكموا بأنها شهادة لن يبصر الرب بدونها أحد من المستعبدين للأهواء.

🕮 ولعمري إن الذين يخضعون لغيرهم بكل بساطة في الرب يعبرون الميدان بسلام ولا يحركون على أنفسهم مكر الشياطين بميلهم الى التدقيق. الجراحات إذا شهرت لا تصير الى حال أسوأ بل تشفي.

🕮 ولعمري إن الأعجاب بأتعاب القديسين حسن والاقتداء بهم يؤول الى الخلاص. أما مماثلة سيرتهم دفعة واحدة فأمر متعذر وغير معقول، إذا كان ضميرنا ينخسنا بسبب مخازينا، فلنثابر على ذكر خطايانا بتوجع إلى أن يرى الرب صبرنا، صبر من يغصبون ذواتهم من أجله فيمحوها، وينقل حزن قلبنا الى فرح.

🕮 من يشهر لمرشده كل أفعي من أفاعي أفكاره يظهر إن له إيماناً جليا به. أما من يخفيها فهو لا يزال تائها في قفار لا طريق فيها ولا دليل. يعرف المرء صدق حبه لأخيه ومودته له، متى حزن لهفواته، وفرح لتقدمه وما يناله من النعم

🕮 من يبتغي إقامة قوله في الحديث ولو كان قوله حقا فليعلم انه مريض بمرض الشيطان {الكبرياء} ... إذا كانت هذه حاله مع من هم أكبر منه واوفر حكمة فلا شفاء لمرضه عند البشر.

🕮 رأيت رهبانا يعرضون {بتشديد الراء} ذواتهم طوعا للتعيير والهوان من اجل الله لكي يهيئوا بهذا أنفسهم ولا يعودوا يخشون الهوان العارض لهم من الآخرين.

🕮 إذا عزم المرء على الاعتراف بخطاياه على الدوام فإن هذا العزم يكون له بمثابة لجام يردعه عن ارتكاب الخطيئة، لأن ما لا نعترف به نفعله دون خوف كما في الظلام.

📖 متى غاب رئيسنا فتصورنا وجهه أمامنا وحسبنا انه واقف معنا، وتراجعنا عن كل لقاء أو كلام أو طعام أو نوم أو غيره مما يكرهه فينا، فلنعلم أن طاعتنا هي طاعة حقيقية لا غش فيها. ان أولاد الحرام يفرحون بغياب معلمهم، أما أولاد الحلال فيعدونه خسارة.

📖 إن فراغنا من الصالحات، كثيرا ما يؤول بنا بتدبير إلهي الى تواضع أعمق. لا بد أن يتعكر هذا البحر ويضطرب ويهتاج حتى يرد {بتشديد الدال} الى اليابسة ما جرفته إليه أنهر الأهواء من أخشاب وأعشاب وكل عفن، فإننا إذا انتبهنا نجد أن سكونا عميقا يخيم على البحر بعد كل عاصفة تهب عليه.

📖 من يطيع أباه أحيانا ويعصاه أحيانا أخرى يشبه رجلا يقطر في عينيه دواء أحيانا، وأحيانا أحد الحوامض. وقد قيل: «واحد يبنى وآخر هدم، فماذا انتفعنا سوى التعب».

📖 أيها الابن والعبد المطيع للرب لا تنخدع بروح الفرور فتكشف ذنوبك لمرشدك كأنها ذنوب شخص آخر، فأنك لا تستطيع الهرب من العار ألا بالعار، من عادة الشيطان في كثير من الأحيان ان يقنعنا بألا نعترف البتة أو بأن نعترف وكأننا نقر بخطايا غيرنا، أو أن نلقي اللوم في خطيئتنا على الآخرين.

📖 اكشف جرحك للطبيب مجردا عاريا. قل ولا تخجل: يا أبت هذا الجرح جرحي، هذه الضربة ضربتي، قد حدثت من تواني فقط، أنا أحدثتها بإهمالي وحسب ولا يلام بسببها إنسان ولا روح ولا جسد ولا شيء آخر سوى تهاوني.

📖 إن كان كل شيء يخضع للعادة ويتبعها فبالأحرى كثيرا ممارسة الأعمال الصالحة، لأن الله منجد عظيم لها.

- لا نعجبن لاستمرار القتال علينا بعد اعترافنا بخطايانا، فإن مصارعة الأفكار أفضل من مصارعة الغرور.
- لا تثيرانك أخبار الآباء المتوحدين وتحركانك الى اقتناء آثارهم، فإنك منتظم في جيش الشهيد الأول، وإذا سقطت فلا تنصرف من الميدان لأننا حينذاك نحتاج الى طبيب أكثر من أي وقت آخر، فإن من صدم بحجر رجله مع الإعانة كان مقيدا بدون إعانة لا لأن يعثر فقط بل لأن يموت.

- عندما نكون مطروحين أرضا تسارع الشياطين الى الوقوف بنا، مغتنيمة فرصة سقطتنا كحجة معقولة، وبالحرى غير معقولة، لتحضنا على اثأر حياة التوحد على حياة الطاعة، وغاية أعدائنا من ذلك أن يزيدونا جروحا بعد سقوطنا.
- إذا تذرع الطبيب بعجزه عن مداواتك فلا بد من الذهاب الى طبيب آخر إذ يندر شفاء أحد بدون طبيب. ومن ذا الذي يخالفنا في أن السفينة التي تغرق بإدارة ربان محنك سوف تفقد كليا بلا ربان.
- يتأتى التواضع من الطاعة، واللاهوي من التواضع.

- على الداخلين الى المستشفى بيان أوجاعهم، وعلى القادمين إلى الطاعة إظهار اتضاعهم. لأن سكون أوجاع الأولين، وازدياد ملامة الآخرين لأنفسهم هما العلامة الثابتة الوحيدة لشفائهم.
- إن العائشين في التوحد خاضعين لأب روحي تعاندهم الشياطين فقط، أما العائشون في جماعة الإخوة فيتصارعون مع الشياطين والبشر. لنحترس لأنفسنا كل الاحتراس لأن السفن تحطم بعضها بعضا بسهولة في الميناء إذا كان مزدحماً، لا سيما المنخورة منها بالغيظ كما بدودة خفية.



📖 لنحكم غاية الأحكام الصمت والجهل في حضرة رئيسنا، فإن الرجل الصامت هو ابن الحكمة يزداد معرفة على الدوام.

📖 رأيت راهبا بارعا في التقاط الحديث من فم رئيسه، ولما رأيته منقادا للتباهي بذلك وليس للاتضاع يئست من طاعته.

📖 لنتيقظ كل التيقظ ونتنبه ونرصد كي نعرف متى وكيف يجب تفضيل الخدمة على الصلاة، لأنه لا ينبغي تفضيلها كل حين ولا على الإطلاق.

📖 انتبه لنفسك حين وجودك مع الإخوة ولا تبادر قط في أي ظرف كان أن تظهر أوفر برا منهم، فأنك تعمل بهذا شران: تقرعهم بفيرتك الكاذبة، وتوجد لنفسك سببا للاستعلاء.

📖 رأيت تلميذا بطالا يتباهى لدى بعض الناس بما أحكمه معلمه من الفضائل ظانا انه يدخر لنفسه مجدا من قمح ليس له، ولكنه سبب لنفسه بالأحرى هوانا لما قالوا جميعهم: «كيف أفرعت شجرة جيدة غصنا بلا ثمر».

📖 صارع فكرك بلا انقطاع وكلما شرد طائشا عد واجمعه، لأن الله لا يطلب من العائشين في الطاعة صلاة خالية من شرود الذهن، فلا تقلق إذا ان اختلس انتباهك، بل تشجع واسترجع دائما ذهنك اليك، فإن الملاك وحده لا يسلب انتباهه.

📖 ارتياب القلب، وعدم أمانته للمكان يؤولان به دائما الى التعثر والسقوط، فالجانحون الى الانتقال من مواضيعهم بأيسر مرام يفشلون كليا، إذ لا شيء كعدم الصبر بنشء عدم الإثمار. إذا وجد الكسالى إن الأوامر في الدير ثقيلة عمدوا إلى تفضيل الصلاة على الطاعة، وإذا وجدوها خفيفة هربوا من الصلاة هربهم من النار.

📖 الرب الذي يعطي الحكمة للعميان ينبه الحاظ المطيعين الى فضائل مرشدهم ويغمضها من نقائصه، أما ماقت الخير فيفعل عكس ذلك.

📖 ليكن لنا «الزيبق» يا إخوة رسما للطاعة الفضلى، فانه من ساعته يرسو في العمق تحت كل شيء ولا يختلط بأي وسخ.

📖 لنبق على الدوام هادئين غير قلقين، خاصة في الكنيسة وقت التسابيح، فإن غرض الشيطان من إقلاقنا هو ملاشاة صلاتنا، ان خادم الله هو الذي أثناء الصلاة يقرع بعقله السماوات فيما جسده بين الناس. ان الشتائم والإهانات وأمثالها هي عند المطيع كمرارة الافسنتين، في حين أن المدائح والإكرام والتأييد عند محبي اللذة هي كالعسل تولد كل حلاوة، ولكن فلننظر الى طبيعة كل من الافسنتين والعسل، فالأول يطهر من كل عكر داخلي بينما الثاني يزيد في إفراز مادة الصفراء المرة.

📖 يتولد التواضع من الطاعة، ومن التواضع التمييز كما يعلم كسيانوس العظيم بحكمة فائقة السمو في مقاله عن التمييز، ومن التمييز تتولد الفطنة، ومن الفطنة التبصر في الأمور وأدراكها قبل وقوعها. الطاعة غريبة عن المداهنة والرغبات الخاصة.

📖 رأيت أطفالاً انفياء صالحين جاؤوا المدرسة طلبا للحكمة والأدب والمنفعة، ولكنهم بمعاشرتهم للصبيان الآخرين، لم ينشئوا فيها ألا على حب الإيذاء والرذيلة، من له عقل فسوف يفقهه ذلك.

📖 اثبتوا، اثبتوا يا إخوتي المجاهدين وأقول أيضاً اثبتوا سائرين في جهادكم قدما، إذ تسمعون الحكمة تقول عنكم عاليا: لقد محصهم الله تمحيص الذهب في البوتقة، أو بالحري في شركة الإخوة، وقبلهم في أحضانه كذبيحة محرقة. ما من شيء يقوي الشياطين والأفكار ضدنا، مثل إخفائها في القلب، وتغذيتها، وعدم الاعتراف بها.

📖 إن وجد رهبان لا تزال تتسلط عليهم عاداتهم السيئة، لكنهم يستطيعون تعليم غيرهم، ولو بمجرد الكلام، فليعلموا، {ولكن دون أن

يترأسوا}، لعلهم يخجلون يوما من أقوالهم، فيشرعون بتطبيق ما يقولون، أو يتم فيهم ما شاهدته في إناس متمرغين في الحمأة، فهؤلاء وهم عالقون بالطين، كانوا يخبرون المجتازين بهم، كيف غطسوا فيه، ويرشدونهم لكيلا يسقطوا بدورهم في ذلك الطريق، ولأجل إنقاذهم غيرهم من تلك الحمأة فقد افتداهم الرب القادر على كل شيء، أما العالقون بأهوائهم، يتهافتون على الملذات باختيارهم، فليكن تعليمهم عن طريق الصمت، لأنه قيل: «الأعمال التي ابتدأ يسوع يعملها ثم يعلم بها».

🕮 عمل الطالبين معرفة مشيئة الرب، أن يميتوا مشيئتهم أولاً {إلى حين}، وبعد أن يصلوا إلى الله بإيمان، وبساطة خالية من الخبث، ويسألوا آبائهم، أو إخوتهم بقلب متواضع، وفكر غير مرتاب، أن يقبلوا ما يشيرون به عليهم، كأنه من فم الله، حتى ولو كان منافيا لرغبتهم، أو كان الذين سألوهم، غير متقدمين في الروحانيات، وذاك إن الله ليس ظالما.

🕮 حتى يضل نفوساً قد رضخت بإيمان وطهارة لمشورة قريبها وحكمه، لأنه حتى إن كان الذين استشيروا أغبياء، ألا إن الله اللاهيولي، واللامنظور، هو الناطق فيهم، فالذين يرتضون أن ينهجوا هذا النهج، ارتضاء لا ريب فيه، هم ممتلئون اتضاعا جزيلا.

🕮 تحكم بقسوة على الذين يعلمون تعليما بليغا بأقوالهم، ويتلكئون عن تطبيقه بأعمالهم، فإن منفعة الكلام كثيرا ما عوضت عن نقص العمل، إذ لا نقتني جميعنا كل المحامد بالتساوي، فإن الكلام عند البعض يزيد على العمل، بينما يفوق العمل الكلام عند آخرين.

🕮 لوم الذات، وابتغاء الشفاء من الأهواء، يولدان الطاعة.



كما لا يصلح الأعمى لرمي القوس، كذلك لا يرجى خير من التلميذ المعاند. كما يستطيع الحديد المسقي أن يحدد الحديد غير المسقي ويشحذه، كذلك كثيرا ما خلص أخ نشيط أخا متوانيا.

كما أن بيض الطيور إذا طمر في السماد يؤول إلى فراخ، كذلك الأفكار التي لا يباح بها تؤول إلى أفعال.

كما أن الخيل الراكضة تسابق بعضها بعضا، كذلك الجماعة الصالحة، يتنافس أفرادها في الخير، ويشجعون بعضهم بعضا.

كما أن سفينة يقودها ربان ماهر، تدخل سالمة إلى الميناء بمعونة الله، كذلك النفس التي يرعاها راع صالح، ترتقي بسهولة إلى السماء، وان كانت قد اقترفت سيئات كثيرة.

كما يضل الطريق سريعا من لا دليل له، مهما كان فطنا، كذلك يهلك سريعا، من يسير في الطريق ألرهباني، وهو يتولى أمره بنفسه، وان كان متفقها بكل حكمة العالم.

قال القديس يوحنا الدرجي:

أعترف من أجل سلامتك، واقطع أهوية قلبك،

فالمعترف في الأكثر يستريح من القتال،

وبغير اعتراف وطاعة، لا يخلص الخطاة"

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨١

قال القديس يوحنا الدرجي: "أختبر مرشدك أولاً بحكمة وتجربة، لئلا تقع عند مريض بدل الطبيب"

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨١

قال القديس يوحنا الدرجي: "من بعد دخولك في طاعة أبيك لا تفتشه، ولا تدينه، ولا تستبدله، بل ليكن لك فيه أمانة"

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨١ ـ ١٨٣

{٤}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 إذا سألت شيخاً عن أحد أفكارك، فأكشف له الفكر بصراحة، وذلك إن تأكدت انه ذو أمانة وسيحفظ كلامك.

📖 لا تخفي فكراً أو تجربة أو هوى أو ظناً مما لك، بل أكشفها بكل صراحة لأبيك، وجاهد لكي تكمل بإيمان كل ما تسمعه منه.

📖 تلتفت يمنه أو يسره، بل هِذِّ بفكرك وصلِّ إلى الله بقلبك.

📖 لا تستح أن تكشف لمن هو أكبر منك جميع الأفكار التي تحاربك فتخف حينئذٍ عنك، لأنه ليس شيء يفرح له الشياطين، مثل إنسان يخفي أفكاره، رديئة كانت أم جيدة.

📖 لا تطلبوا أن تستقصوا عن أعمال هذا العالم، لئلا تصيروا مثل المرحاض الذي يُلقي فيه كل واحد ما في جوفه، حيث تفوح رائحة نتنة للغاية، بل بالحري كونوا مذبحاً لله في الطهارة، لترفعوا فوقه بخور الصباح وبخور المساء بلا انقطاع، بواسطة الكاهن الداخلي، حتى لا يبقى المذبح بغير بخور أبداً.

📖 وان كان أحد ساكناً مع أبيه أو أخيه فلا ينبغي أن يأخذ برأي أحد من الخارج، بل ليلجأ في كل شيء إلى ذاك الذي يسكن معه، فإن هذا هو السلام والخضوع.

📖 إذا كنت ساكناً مع آخر أكبر منك، فلا يجب أن تقوم بعمل إحسان لفقير دون أن تستشيره أولاً، فلا تفعل ذلك في غفلة منه.

📖 من جهة أمراض النفس، أو الأوجاع الجسدية، التي لا تزال تجاذبك، لا تسأل بشأنها كما لو كنت قد امتنعت عن ممارستها، بل أسأل عن جرحك قائلاً: لقد جرحت فعلاً، وذلك لكي يُقَدَّم لك العلاج

المناسب لجرحك.

📖 إذا تحدثت عن أفكارك فلا تكن مرائياً بقولك شيئاً بدلاً من شيء آخر، أو كما لو كان الأمر قد حصل لشخص آخر، لكن أذكر الحقيقة وأعدد نفسك للعمل بحسب كل ما يقال لك، ان لم تفعل ذلك فإنك انما تخدع نفسك، وليس الشيوخ الذين تسألهم.

📖 ان سألت الشيوخ عن حرب ما، فلا تطع فكرك بان تعمل أزيد مما يقوله لك الشيوخ، بل صلِّ إلى اللـه أولاً قائلاً: اصنع معي رحمة وأله آبائي أن يقولوا لي ما تريده، ثم أعمل بإيمان حسب كل ما يقوله لك الآباء فيعطيك اللـه راحة. عُد باللوم على نفسك، لكيلا تأتي باللائمة على الإخوة الذين كنت تسكن معهم.

📖 كما ان الماشية تخضع للإنسان بالمثل ينبغي على كل إنسان ان يخضع لقريبه من أجل اللـه ... فانظر إذا كم تفْضُلك الماشية أنت الذي تتكل على معرفتك الكاذبة، فإذا كنت بالتالي أريد العودة إلى الحالة الطبيعية، ينبغي أن أسلك كالبهيمة التي ليس لها مشيئة خاصة ولا معرفة، ليس مع الذي يشاركني في مقصدي ورأيي، بل وأيضاً مع الذي يقاومني، لأن هذه هي مشيئة اللـه.

📖 إذا سألك إنسان أن تعلمه شيئاً وعرضت نفسك للموت في سبيل ان تعرفه بالجواب، فإذا جاء مرة أخرى يسألك الشيء نفسه، دون ان ينتفع بما قلته له، فهو بالتأكيد لم يفعل {كما قلت}، فأبتعد إذا عنه لئلا يسبب موتاً لنفسك، لأنه أمر عظيم للإنسان أن يتخلى عما يبعد له صلاحاً بحسب اللـه، وان يحفظ كلام من يعلمه وفق مشيئة اللـه.

📖 هكذا فعل رجل اللـه أنبا نستيروس الذي كان يرى مجد اللـه، كان يسكن مع أبناء أخته وما كان يأمرهم بأي أمر، بل كان يترك كل واحد منهم لمشيئته الخاصة، فإن سلكوا مستقيماً أو ردياً لم يكن يهتم بِهم، وكان يقول عن قايين وهابيل: انه لم يكن الناموس بعد، ولا

الأسفار، فمن علمهم أن يعملوا هذا الأمر أو ذاك؟ لهذا فإن كان الله لا يُعَلم الإنسان، فباطلاً تعب من يتعب.

📖 لا تكشف أفكارك لكل الناس، لئلا تسبب عثرة لقريبك، أكشف أفكارك لآبائك لكي تحيطك نعمة الله. سكوتك عند كشف أفكارك {في الاعتراف والإرشاد} يدل على إنك تشتهي تكريم العالم ومجده السمج، من يظهر أفكاره قدام آبائه بصراحة، يطردها بعيداً عنه.

📖 كمال الفضائل هو المحبة، وكمال الآلام هو أن يُبرر الإنسان نفسه.

📖 خذ دائماً بمشورة آبائك، وأنت تعبر زمانك كله بالراحة.

📖 "أحترز وأحفظ نفسك جداً" لكي إذ تعتبر نفسك واقفاً أمام الله لا تعمل شيئاً ولو كان صغيراً جداً بغير مشورته.

📖 الذي يظهر أفكاره قدام أبيه يطردهم منه.

📖 استعمل المشورة في كل وقت، تعبر زمانك بالراحة.

{٥}

القديس الأنبا برصنوفيوس

📖 ١٢٧- إجابة من الشيخ الكبير للأخ نفسه الذي امتدحه على مثل تلك الفضيلة، مستشهدًا بآياتٍ من الأسفار المقدسة، والذي استفسر منه إن كان عليه أن يمتنع عن الثمار، ويسلك بإخلاصٍ ولياقةٍ مثل الآباء، كما سأله بخصوص الصلاة وشفاء عينيه المريضتين:

📖 **أيها الأخ:** إنه بواسطتك يكمل فيَّ أنا أيضًا قول الكتاب: «شعبي، هؤلاء الذين يباركونكم يخدعونكم» {إش٩: ١٦ سبعينية} [أو «صار مرشدو هذا الشعب مضلِّين» حسب العبرية].

📖 بمثل هذه المجاملات {المديح} نتعوّق عن رؤية خزي وجوهنا.

📖 وحسب مفهومي، ففي الحقيقة إنها ضارّةٌ حتى لذوي القامات

{العالية}، ويُبعدهم عن {جادّة} الإيمان بالله، لأنه قيل: "كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض" {يو٥: ٤٤}؟

📖 أما الذي يدرك اتِضاع الرسول، فهو يختار لنفسه بالحري الجهالة، لكي يصير في النهاية حكيمًا {١كو٣: ١٨}.

📖 لأنّ الذي يدّعي المعرفة، دون أن يبرهن على ذلك بالعمل أيضًا، فأنا أندهش إن كان يفلت من العقاب المحفوظ للمتكبّرين.

📖 أما المتواضعون فهم، على النقيض من ذلك، مكتوبٌ أنهم ينالون نعمةً {أم٣: ٣٤}. فأيّ مَنْ يتباهى بعذوبة الأقوال الإلهية، ولا يتغذّى بها، فهو يجعلها تبدو كئيبةً فظّة.

📖 وعلى ذلك، فهل توجد مرارة في هذا القول: «إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعني» {مت١٦: ٢٤}؟

📖 فإن كان حلوًا فلماذا نرفضه، ونرغب في تكميل مشيئتنا الخاصة؟

📖 إنّ الذي يُبدي أنه يعرف الطريق المؤدّي إلى المدينة، ثم يسأل أين هو، يفعل ذلك إمّا للاستخفاف بغيره، أو لتجربته، والسخرية منه. وإن كان يعرف الطريق دون أن يرغب في السير فيه، يُحكَم عليه كمقصِّرٍ.

📖 فالأب أرسانيوس رغم ما كان له من العلم، ولكنه لم يُظهِر ذلك، بل إنه قال باتضاعٍ: أريد أن أخلص، ولكنني لا أعرف كيف.

📖 إذا أظهر أحدٌ الطريق لأخيه، ثم يتكاسل هو عن السير فيه، فمَنْ هو الذي يكون مخطئًا في رأيك: الذي يرشِد، أم الذي تلقّى الإرشاد؟

📖 معرفة الطريق لا تعني التهاون، بالرجوع إلى الوراء، بواسطة الأمور التي سبق أن تجاوزناها، وطرحناها خلفنا.

📖 إن لم نهتدِ إلى الموضع الذي رحلنا منه، فإننا نوجد مدانين، ومستوجبين الرفض، بعد أن نكون قد تعبنا عبثًا.

📖 واعلم أيضًا أن ما يجب أن يعرفه ذاك الذي يريد أن يعرف طريقًا كاملاً: إن لم يمشِ مع مرشده من البداية حتى النهاية، فلن يصل أبدًا إلى المدينة. فاطرح مشيئتك خلفك واتضع وأنت تخلص.

📖 أما بخصوص الثمار، فافحص نفسك كما قلتُ لك، وستكتشف خبث الشياطين، ولا تطلب الثمار من ذاتك، ولكن إذا قُدِّم لك منها فخُذ منها وكُلْ، وإذا وُجِد منها القليل فلا تقُلْ شيئًا، وإذا وُجِد منها الكثير فكُلْ منها ما تشاء، وأنت تتأوّه لأجل القضاء على الشهوة.

📖 وإذا تحدّث معك أحدٌ عن القديسين، فتشبّه بغربتهم، وزهدهم، وإيمانهم المقترن بالأعمال، لأنه من الواضح أنّ الإيمان بدون أعمال يكون ميتًا {يع٢: ٢٦}.

📖 وما دُمتَ تتكلم عن اللياقة، فلن تجد مَنْ هو أكثر لياقةً من الذي هو في الخضوع، لأنّ هذا يكون من الطاعة، فقد قيل: "الابن المطيع تكون له الحياة" {قارن أم٤: ٣و٤}.

📖 أما عن الصلاة بقدر المستطاع، فهي وصية عامة وضعها السيد الرب {أنظر لو١٨: ١}. وبخصوص حالة العينين، فالذي خلقهما قادرٌ أن ينيرهما في نفس الوقت مثل العينين الداخليتين {أنظر أف١: ١٨}،

📖 فإن كان لنا بواسطتهما فهم، حسب قول المخلِّص، لا نكون في حاجةٍ إلى عيونٍ أخرى تُبصر بطلان العالم. إنّ الله قادرٌ أن يجعلنا نوجد بين المخلَّصين لأجل مجد اسمه الذي له المجد إلى الأبد آمين.

أقوال القديس برصنوفيوس - كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - صفحة ٣٦٦ - ٣٦٧

📖 **سؤال:** يا أبي قل لي رأيك فيما كنا نقر لأحد الإخوة ببعض القتالات ونلتمس منه الصلاة خصومها؟

📖 **الجواب:** جيد أن نقر لمن له قوة أن يسمع ولا نقر لمن هو بعد شاب. وأما ابتغاء الصلاة فجيد أن نطلب من كل أحد.

📖 وأيضا شاب لا ينفع شابا حتى ولو سقاه بكأس جميع تعاليم الكتب

الإلهية فلن ينتفع منه، ينبغي للراعي أن يحسب نفسه تحت الكل، وأيضا يدبر الكل ويطلب منهم الطقس الذي تقلده ويحنن على رعيته في كل شيء ويتحمل ثقلهم، ويعظ الذين بلا طقس، صغيري القلوب والأنفس ولا يكافئ عن شر بشر، ولكن يكافئ من الشر بالخير، ويؤدب كل من يخضع له.

📖 من الذي نسأله عن أفكارنا؟ وهل نحتاج أن نسأل أكثر من شخص نفس من الضروري أن تسأل شخصا يكون لديك إيمان به، وتعرف أنه يستطيع أن يريحك في أفكارك وتكون مؤمنا به كإيمانك بالله. أما سؤالك شخص آخر عن نفس الأفكار فهذا عدم إيمان وفضول أن كنت تؤمن أن الله يتكلم عن طريق قديسيه لماذا تتشكك؟ وما حاجتك أن تجرب الله بسؤالك شخص آخر عن نفس الشيء.

📖 **سؤال:** أن كان أخ ساكن مع شيخ ولم يكن في الشيخ كفاية أن يجيب عن أفكاره أيسأل شيخة آخر؟

📖 **جواب:** إن كان الأخ يعلم أن أباه يحب أن ينفع نفسه فينبغي أن يقول له يا أبي أحارب بالأفكار فأي شيء تري لي، والشيخ حينئذ من نفسه مثل إنسان له ابن عليل يأخذه بسرعة إلى طبيب بل ويعطى عنه أجراً، فيأخذه إلى رجل يعلم أن عنده نعمة أو يبعثه إليه.

📖 وأن كان الأخ يعلم أن معلمه لا يحتمل هذا فلا يقول له شيء، ويمضي إلى شيخ روحاني ويسأله عن أفكاره ويطلب إليه ألا يخبر بذلك معلمه لئلا يكون له من ذلك حزن عظيم ويحذر التلميذ ألا يشك في معلمه إذ ليس معه مثل تلك النعمة التي لن تعطى للكل، فإن فتش معلمه فهو لامحالة يجد نعمة أخرى، لأن نعم الروح المعطاة للقديسين هي مختلفة واحد هكذا، وأما أن لم يتفق له وقت يسأل فيه شيخة آخر فيثبت كما هو مبتهلا إلى الله أن يعينه.

📖 لا يكتم واحد منكم أفكاره لأن فرح الشيطان هو أن يكتموا أفكارهم لكي ما يهلكوا أنفسهم، الذين يريدون أن يسلكوا طريقا ما، أن لم يسيروا مع من يريهم الطريق من بدايتها إلى نهايتها لن يستطيعوا الوصول إلى المدينة، فإن لم يترك التلميذ رغباته خلف، ويخضع في كل شيء ويتضع لن يبلغ مدينة السلام، أما الذي لا يفعل رغباته ولا يجادل بكلمة فانه يستريح.

📖 **سؤال:** أخبرني يا أبي أن كان ينبغي أن نخبر الشيوخ بكل الأفكار النابعة من القلب؟

📖 **قال:** لا ينبغي للإنسان أن يسأل الآباء عن كل الأفكار التي تنبع من القلب لأنها كثيرة جدا لكنه يسأل عن الأفكار الثابتة فيه المقاتلة له جدا لأن الإنسان إذ سمع كثيرين يفترون عليه فأنه لا يعتني بافترائهم ولا يهتم بهم، فأما أن أنتصب له واحد فقط وافترى عليه وقاتله فحينئذ يجد السبيل كي يستعد له أمام السلطان، كذلك الحال في الأفكار.

📖 أعط قلبك لأباءك لكي ما ينجوك وينقذوك من حمأة النتن، اذكر انه كثيرة هي قوة صلاة القديسين الفعالة، الرب يريد أن تعتبر كل إنسان أفضل منك، الطاعة لأبيك في كل الأشياء وأعمل كل ما يخبرك به بخصوص طعام أو شراب أو أي شيء آخر.

📖 أن الذي يسأل الآباء يشبه المسيح الذي «إذ وجد في الهيئة كإنسان وضع في نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" {في٢:٨} والإنسان الذي يعيش بلا مشورة هو عدو لذاته لأن الكتاب يقول "لا ترم نفسك في طريق لم تختبر" سي ٣٢: ٢٠، فمن الأفضل أن تسأل بالاتضاع أفضل من أن تتبع مشورة نفسك، لأن الرب نفسه يضع

الكلمات المناسبة في فم الذي يجيبك بحسب الأمانة والاتضاع في قلب السائل.

📖 **سؤال:** أريد أن أخلص ولكني لا أعرف طرق الخلاص.

📖 **الجواب:** أيها الأخ أن الله قد بين لنا طريق الخلاص عن طريق الخلاص في الأسفار المقدسة والآباء قائلا، "أسأل آباءك فيخبروك، وشيوخك فيقولوا لكل"، لأنك أن أردت ألا تضل الطريق لا تفعل شيئا ألا بعد سؤال آبائك الروحيين، وسوف لا تخطئ، شكرا لله لنعمته، و"الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون».

📖 أن كان الإنسان لا يجاهد حتى أقصى درجة من قوته، ولا يضيف محاولاته الخاصة إلى صلوات القديسين فأنه لا ينال أي كسب أن كان لا يصلى من أجل ذاته فإن كانوا يصومون ويصلون من أجله وهو ذاته غارق في الشهوات ويعيش في حياة الأغلال، فأي فائدة يمكن أن تؤديها له الصلاة لأن هنا تتحقق كلمات الأسفار المقدسة "واحد {يبني} وآخر هدم، فماذا انتفعنا سوى التعب" ... فحينما يصلى رجل بار قديس من أجل إنسان خاطئا، على الخاطئ أن يساعد صلاة البار بالتوبة على قدر طاقته.

📖 إن كنت تريد الخلاص حقا، أظهر الطاعة في العمل، ارفع قدميك عن الأرض، وارتفع بفكرك للسماء وهناك دم في أفكارك ليلا ونهارا، في الوقت ذاته اشتاق بكل قوتك أن تعتبر ذاتك حقيرا، محاولا أن ترى ذاتك في كل شيء أقل من جميع الناس، هذا هو الطريق الصحيح، ولا يوجد طريق آخر للإنسان الذي يريد أن يخلص بالمسيح يسوع الذي يقويه، "اركض يامن تريد لكي تنال".

📖 لا تصدق أبدا فكرك إذا زرع فيك شيئا، حتى تسأل عنه الآباء،

تمسك بالاتضاع الكثير والطاعة والخضوع، وأقطع هواك في كل شيء، فإنه من دون هؤلاء ما يخلص أحد.

أن كنت تقطع مشيئتك في شيء واحدا، وفي شيء آخر لا تقطعها، فقد ظهر أن لك هوى في شيء آخر، لأن الذي يريد أن يخضع، يكون خضوعه في كل شيء، والذي يكون هكذا لا يهتم بشيء، لأن الذي خضع له، وائتمنه على نفسه، هو يعطى عنه جوابا.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٦٢



سؤال: ما هو يا أبي قطع الهوى في كل شيء؟

الجواب: هو ألا تطلب شيئا يجلب لجسدك النياح، أو السبح الباطل، أو تحاول فرض كلامك، والذي يطلب أمرا بخوف الله، فليثق أنه يعطى سؤله.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٦٢



فإذا ما أردت أن تعمل شيئا فاطلب {المشورة} من الله، ومن صلوات القديسين، فإن كنت بعد مشككا في مسألتك، فتوقف وقل: أن كان يارب لك هوى في هذه فتمم، لأن كل ما فيه هوى الله ينجح، فأما إن بغتك إنسان، وسألك سؤالا، وطلب منك الجواب بسرعة.

فأرفع عقلك إلى الله، إذ لا يكون شيء أسرع منه، وهو يعطيك ما تجيب للذي سألك، بلا سجس، وأي عمل أردت أن تعمله، وكنت قد طلبت من الله من أجله، ومن صلوات الأطهار، وكنت بعد مشكك، فاقطع التشكيك، واعمله، لأن فيه هوى الله، إذا كنت قد سألته من أجله.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٦٣



أن الطاعة مطفأة لجميع سهام العدو المحماة، أما المحبة فهي المنطقة العظيمة التي تشد كل استرخاء، وتشفي كل الأمراض.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٦٤



🕮 **الطاعة:**

🕮 كن محباً للخيرات الروحانية، ولها حافظاً، وعبداً مرضياً لسيدة، وتلميذاً متضعاً لمعلمه، من أجل الذي وضع نفسه من أجلك.

🕮 كن مطيعاً للمطيع. طويل الروح للطويل الروح. رحوماً للرحيم.

🕮 محتملاً ً ثقل أخيك، كمثل ما احتمل الله ثقلنا.

🕮 كن محباً للكل حباً صافياً، كمثل ما أحبنا هو، وأطعه في كل أمر، حتى تؤخذ إلى الملك العظيم، والنياح الدائم.

🕮 وأعلم أن الله لا يطلب منك ألا الصبر، والشكر، وهو يفتح لك كنوز رحمته، وحكمته، لأن الآباء القديسين كل واحد منهم، يقرب لله البنين الذين خلصهم قائلاً بصوت عظيم وبدالة كثيرة "ها أنا والبنون الذين أعطيتني يا إلهي" والملائكة المقدسون يتعجبون، وكل الطغمات السمائية، وحينئذ يتم المكتوب أن الإله في الكل.

🕮 تحفظ ألا تدين أحداً، ولكن أحسن الطاعة، وأنت تبلغ الإتضاع، والاتضاع يحرق منك كافة الأوجاع، لا تعبس {لا يتقطب وجهك} وتظن أن الوصية ثقيلة، فليس هو كذلك، وبلا حفظ الوصايا، ما يقدر أحد أن يخلص، والخلاص يحتاج إلى تعب كثير، وعرق واجتهاد.

🕮 فلا تسترخ للجسد، والا صرعك.

🕮 لقد طلبت يا ابني شيئاً حامضاً يكون حلواً، فالحامض هو هواك، والحلو هو التوبة، لأنك قلت لي منذ فترة أريد أن أسكت، فها قد عرفت وأقررت أنك تعرف ما فيه خيرك، وهذا هو العجب بعينه، عوض أن تقول أهدني وأرشدني إلى طريق الله، فأسبق واحفظ الوصية التي قلتها لك، وأنا أعطي جواباً عنك.

🕮 إن أنت عملت كل أعمالك بالطاعة، فإنك تنتفع، وإن أنت أكثرت

القول {الملاججه}، أصابك ضرر، لأنها من إرادة الشرير، إذا لم تحرك الأوجاع على الإنسان لتحاربه، لن يكون مجرب.

- النسيان هو هلاك النفس، وهو يكون من التهاون والضياع.
- والوجع الدنس، يحتاج إلى وجع القلب والجسد، حتى ينقلع من القلب، أما القلب فيجب أن يطلب إلى الله بلا فتور، والجسد يضغط عليه، ويستعبد بقدر قوة الإنسان ضغطاَ جيداً.
- القتال والصراع يأتيان بالإنسان إلى التجربة والنجاح.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٩٧



- الطاعة هي: قطع الهوى، وبغير تعب لا تقوم، وهكذا نصلي قائلين يارب نجنا من الخطايا، وأوجاع الدنس.
- ترك الهوى، هو: مثل سفك الدم {الاستشهاد}، أي يبلغ الإنسان إلى الموت في قطع هواه، ولا يطمئن إلى نفسه.
- لشخص أشترط أن يكون الأخير، إن قبل في مجمع الدير؟
- ليس من شأنك أن تطلب الوضع الأخير، هذا يتوقف على أبيك الروحي، مهمتك أن تهيئ نفسك للطاعة، التلميذ الحقاني في كل شيء يطيع معلمه، حتى الموت، وينتفع بكل شيء يعلمه معلمه، ولا يفرز، أو يدين شيء {من} عمله، ولا يقول ليس هذا {ما أريده}، أو لماذا هذا؟ والا فليس هو تلميذ لمعلمه، ولكنه دياناً.

- الذي يريد أن يقيم هواه فهو الشيطان، وإن عمل هوي نفسه ففي كل شيء ما يجد نياحاً، والذي يشك في معلمه، فينبغي له أن يخرج عنه {يتركه}، ولا يهلك نفسه {بإدانته له}، لأنه ما يعلم إن كان معلمه يعمل جيداً أم رديئاً، ولكن يشك بلا معرفة من أجل هوي نفسه.
- الآباء، لأن هذا يعني أيضاً أن نبذل حياتنا لأجل الإخوة {١يو٣:١٦}.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٩٨



📖 ١٢- فرَضَ الشيخ {يوحنا} عملاً على أحد الإخوة ، وعندما لم يُنجزه بسرعةٍ انتهره، ولما حزن الأخ، فكّر الشيخ في ألاّ يقول أي شيءٍ إطلاقًا، لأي واحدٍ من الإخوة فيما بعد، وهنا يصرِّح له الشيخ {برصنوفيوس} بالآتي: قُل للأخ يوحنا إنّ هذا الوقت ليِّن {ليس فيه عُسرٌ}، وإنك ستُجهِد نفسك لتجد في الوقت الحاضر إنسانًا له قلبٌ ثابت. ولكن كُنْ أمينًا لكلمة الرسول القديس عندما يقول: «وبِّخ، انتهر، عِظ بكلِّ أناةٍ وتعليم» {٢تي٤: ٢}.

أقوال القديس برصنوفيوس - كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - صفحة ٢٨٧

📖 ٤٨- عندما تأخر الأب في إرسال الإجابة لسببٍ ما، لامه بشدّةٍ، وثبّط عزمه جدًا. وعندما تكلّم معه بعض الإخوة - الذين كانوا تحت الرعاية بسبب مرضهم - عن بعض الأمور التي عُمِلت في المجمع بتكاسُل، وبطريقةٍ غير نافعةٍ، فبدلاً من أن ينصحهم، ويُصحِّح من انحرافهم هذا، قال إنّ هذه الأمور أيضًا لم تُرضِه.

📖 وعندما أخبره الأب بعد ذلك أنه فعل هذه الأمور بناءً على قرار الشيخ، قال له: إنّ الشيخ يجعلك تسلك حسب مشيئتك الخاصة.

📖 فأرسل الشيخ له هذه الإجابة مشيرًا له إلى أنّ الأمور التي تبدو لنا أنها تمّت بطريقةٍ خاطئة قد عُمِلَت بحسب التدبير، حيث إنها تفوق إدراكنا: مرةً أخرى، بعد مدةٍ طويلةٍ، تدفعني المحبة أن أضربك بعصا المسيح التي للتأديب والتوبيخ، حتى يتحقّق فينا كلام الكتاب القائل: «أمينةٌ هي جروح المحب» {أم٢٧: ٦} وما يلي ذلك.

📖 وأيضًا، إن كنا نؤدِّبك فلا تخُرْ، بل تذكر القول: «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخُر إذا وبخك، لأنّ الذي يحبه الرب يؤدِّبه، ويجلد كل ابنٍ يقبله» {عب١٢: ٥و٦}. ولكن حتى لو انتهرتُك، فأنت لا تجهل قول الرسول: «وبِّخ، انتهر، عظْ» {٢تي٤: ٢}.

📖 أين عقلك أيها الكسول؟ أو أين يمكث فكرك أيها البليد؟

🕮 لماذا يخالف أسياد عقلك {يوجد هنا تشابه في اللفظ في اللغة اليونانية بين كلمة VOU أي عقل، و OVOU أي جحش} في داخلك تلاميذ السيد حتى إنهم لا يأخذون {الجحش} للسيد لكي يمتطيه، حتى يدخل أورشليم، ويطرد من هيكل الله «الذين يبيعون ويشترون» {مت٢١: ١٢}، ويُخزي الكتبة والفريسيين؟

🕮 لماذا في حين أنك ينبغي أن تسكن في أورشليم يجذبونك إلى بابل؟

🕮 لماذا تترك ماء سلوام {التي تجري بسهولة: إش٨: ٦ سبعينية}، وتريد أن تشرب من مياه المصريين المضطربة؟

🕮 لماذا تنحرف عن طريق الاِتضاع التي تقول: «مَنْ أنا؟ إنني ترابٌ ورماد» {٢صم٧: ١٨؛ تك١٨: ٢٧}، وتريد أن تسلك الطريق العكسي الممتلئ بالاضطرابات والأخطار؟

🕮 أين ألقيت كلامي الذي قلتُه لك ليلاً ونهارًا؟

🕮 أين هذا الذي قلتُ لك أن تصل إليه، وكأنني أكلِّم نفسي؟

🕮 وأين ترى ذاتك قد وصلت؟

🕮 أين ما أريدك أن تكون فيه، وأين أنت الآن؟

🕮 لأنّ لسانك الآن غير مضبوط، وأنت تسمح له أن يسير عشوائيًّا؟

🕮 وإن كنتَ تولي اهتمامًا بقريبك، ألستَ متشكِّكًا {أو موسوسًا} في أن تفهم، ولا سيما ذاك الراهب الذي هو حماية لنا بعد الله، ويضحِّي برقبته لأجلنا، والذي علينا أن نشكره، ونصلِّي لأجله، لكي يُحفَظ من كل شرٍّ لمنفعتنا ولمنفعة كثيرين، إذ نتعلّم ذلك من الرسول القديس الذي يقول عن البعض شاكرًا: «اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي» {رو١٦: ٤}؟ ما هو، إذن، الذي لا تتذكره؟

🕮 التحرُّر من الهمّ، الذي أعطاك الله إياه بواسطته؟

🕮 الهدوء الذي تعيشه مثل ملكٍ، وهو يحمل ثقل الذين يأتون إلينا

ويذهبون، ويجعلنا غير مشوّشين؟ لأنهم إن كانوا يأتون لأجلنا، فعلينا أن نتحمّل نحن همّهم وليس هو.

📖 إذن، فأنا أقدِّم شكرًا جزيلاً لله الذي أعطانا ابنًا حقيقيًا لنفوسنا كما شاء. وأنت عوضًا عن ذلك قلتَ له بلا شعور: قد غسلتُ يديَّ منك، وذلك ليس مرةً واحدةً بل مرات، فغمرتَ نفسه بحزنٍ شديدٍ، ولم تذكر ما قاله الرسول: «لئلاّ يُبتَلَع مثل هذا من الحزن المفرط» {٢كو٢: ٧}.



📖 ولو لم يكن ذلك لأجل يد الله، وصلوات آبائه، لكان قلبه قد انكسر!

📖 أين وصاياي لك: اِبكِ، نُحْ، لا تطلب أن تكون لك أهمية، ولا تحسب نفسك شيئًا؟ إنني أجتذب محبتك إلى طريقٍ آخر.

📖 أعبر من العالم، اعتلِ الصليب الآن، كُنْ مرتفعًا عن الأرض.

📖 أُنفض الغبار من رجليك، استهِن بالخزي {عب١٢: ٢}.

📖 لا ترافق الكلدانيين في إشعال الأتون حتى لا تحترق معهم {دا ٣: ٢٢} من غضب الله. اِعتبر أنّ كل إنسانٍ أفضل منك {في٢: ٣}.

📖 اِبكِ على الجسد الميت {يو١١: ٣٥}.

📖 «أخرج الخشبة من عينك» {مت٧: ٥}، وابنِ بيتك الذي تشوّه.

📖 اصرخ: «يا يسوع ابن داود، ارحمني ... يا سيدي {حتى} أبصر» {مر١٠: ٤٧-٥١}.

📖 تعلّم أنّ كل فم ينبغي أن يستدّ {رو٣: ١٩}، ولا تتكلم بكبرياء.

📖 «اغلق بابك» {إش٢٦: ٢٠} في وجه العدو.

📖 «زِنْ كلماتك بالميزان، واجعل لبابك مزلاجًا» {سي٢٨: ٢٥}.

📖 أنت تعلم كيف أكلِّمك، فافهم الأمور التي أقولها.

📖 كِدّ لكي تُحكِمها، وأنت تجد الكنوز المخبّأة فيها بحسب الله، واعطِ فيها ثمرًا يليق بالله، ولا تُخزِ شيبتي إذ أصلِّي لأجلك نهارًا وليلاً. لعل الله يعطيك أن تفهم، وأن تعمل بمخافته، آمين.



📖 وحيث إنك قلتَ له: إنّ الشيخ يجعلك تسلك حسب مشيئتك الخاصة“، فيجب على أن أتحمّل وحدي الحكم الذي نطقه الرب بواسطة النبي: «إن لم تتكلم لتحذِّر الشرير من طريقه، فذلك الشرير يموت بذنبه، أما دمه فمن يدك أطلبه» {حز٣٣: ٨}.

📖 لا تكن سخرية، بل صدِّق الرسول عندما يقول إننا سنعطي حسابًا {عب١٣: ١٧} عنه. ولكنكم لا تفهمون ما الذي يحدث.

أقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٠٧ ـ ٣٠٩

📖 **٦٧- سؤال من الشيخ {سيريدوس}، للشيخ الكبير {برصنوفيوس}:**

📖 أيها الأب، صلِّ لأجلي لأنني مُتعَبٌ.

📖 لأنني قبل أن شرعتُ في الكلام معك، وأي شيء بدا لي أن أفعله، فمن ناحيتي كنتُ أفعله بدون تعب. ولكن منذ أن أعطيتَني كلمةً فأنا أكِدُّ، بل إنني رقدتُ مريضًا.

📖 وقبل ذلك كتبتُ لك عن الكلمة، وأنت نفسك اعتبرتَ أنّ عندي أفكار كبرياءٍ، وأرسلتَ لي كلمةً عن الفريسي. وإنني، أيها الأب، لم أكلِّمك من واقع كبرياء، بل من ضرورة.

📖 فأتوسل إليك أن تصلِّي لكي يكشف لك الرب عمّا بداخلي.

📖 **جواب القديس برصنوفيوس:**

📖 أيها الأخ، يقول الكتاب المقدس: «افعل كل الأمور بمشورة» {أم٢٤: ٧٢ حسب النص}، و«بدون مشورة لا تفعل شيئًا» {سيراخ٣٢: ٢٤}. عندما كنتَ تفعل بدون مشورة، بل بمشيئتك الخاصة، لم تكن تجاهد مع ذهنك، لأنه لا يوجد مَنْ لا يحتاج إلى مشورة إلاّ الله وحده، الذي خلق الحكمة، ولكنك عندما طلبت أن تقطع هواك بحسب الله، وتبلغ إلى الاِتضاع، وأن تتخذني أنا أخاك الصغير جدًا كموجِّهٍ؛ فقد أثرتَ حسد الشيطان عدو الخير، الذي يحسد جميع الناس على الدوام. أترى التواء الشيطان؟

📖 إنني من نفسي لم أضع لك نظامًا على الإطلاق، وأنت سألتني، وأنا أشرتُ عليك كأخٍ، ولما سمعتَ أنت، تركتَ المشورة وأضفتَ شيئًا من عندك.

📖 وحدّثتُك أنا عن الفريسي، لأنه هو أيضًا كان يتباهى عندما قال ما قال. وأنت طلبتَ تأكيدًا، وهذا أيضًا لا شيء سوى كبرياء.

📖 انتبه وأنت ترى بتدقيق، كيف أنك عندما تبدأ يأتي هو لك بحجةٍ، فتهدم هذه البداية، ثم تبدأ مرةً أخرى، ثم تهدم في الحال، ولا تذكر أنّ: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» {مت١٠: ٢٢}،

📖 وأيضًا: «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحًا يكمِّل إلى يوم يسوع المسيح» {في١: ٦}.

📖 إن كان يُرضيك أن تعمل من نفسك كما كنتَ تفعل، فهذا لا يُضايقني، لأنني لا أريد أن أكون أبًا لأحدٍ، أو معلِّمًا لأحدٍ، لأنّ الرسول يقنعني بقوله: «فأنت إذا الذي تعلِّم غيرك، ألستَ تعلِّم نفسك» {رو٢: ٢١}؟

📖 أيها الأخ، إنّ الذين يخلصون يخصّهم القول: «يُذيب النفس مثل عنكبوت» {مز٣٨: ١١ حسب النص}. من ثمّ، فهناك حاجة إلى صبر أكثر، حتى «بضيقاتٍ كثيرةٍ ينبغي أن ندخل ملكوت الله» {أع١٤: ٢٢}، في المسيح يسوع ربنا، آمين. اِغفر لي يا أخي، وصلِّ من أجلي.

أقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٢٥ ـ ٣٢٦

📖 ٧١ـ لقد زُرع الشكّ في فكر الشيخ الذي عارض {في} الشيخ الكبير {برصنوفيوس}، وذلك بحسد الشيطان للمنفعة من أجوبته، وهو {برصنوفيوس} إذ علم بما في قلبه، أرسل إليه قائلاً:

📖 أولاً وقبل كل شيءٍ أمجِّد الثالوث الأقدس المتساوي في الجوهر، وأقول: المجد للآب، والابن، والروح القدس، الآن، وعلى الدوام، وإلى دهر الدهور آمين.

📖 وليس بلا معنى أنني سبقتُ ووسمتُ في المقدِّمة مثل هذا التمجيد {الذكصولوجية}، بل لكي أُظهِر للشيطان، الذي يُبغض الصلاح، أنه في الخيالات التي تظهر منه، لا يظهر شيء مثل هذه الذكصولوجية، بل تكديرٌ، وحزنٌ، وتثبيطٌ للعزم.

📖 والآن، أيها الأخ، هلم نشكر الله على إطلاقنا من التجربة العظيمة، التي أتت علينا بسبب نقص فهمنا، وعلى أنه برأفته لم يتركنا للهلاك الأبدي، لأنه صادقٌ ذاك الذي قال: «حيٌّ أنا، يقول السيد الرب، إنّي لا أسرُّ بموت الشرير {أو الخاطئ} بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا» {حز٣٣: ١١}.

📖 فالآن لنشكر على كل حال ذاك الذي خلّصنا، وهو دائمًا يخلِّص، الذي تشكره الملائكة، والقوات العلوية، وجمهور السماويين، والشيروبيم والسيرافيم بأجمل الأصوات، وبدون توقُّف، أو انقطاعٍ، صارخين قائلين: «قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت» {إش٦: ٣}.

📖 دعنا، إذا، ننتبه ونشكر ذاك الذي له السماوات كرسيّ، والأرض موطئُ لقدميه {إش٦٦: ١}، الذي تخدمه الخليقة كلها {يهوديت١٦: ١٤}.

📖 ولنبدأ من هذا النموذج المذكور سابقًا، ونحن أيضًا نقدِّم الشكر للآب لأنه رحم العالم و«لم يُشفق على ابنه» و«أرسل الابن {الوحيد} مخلِّصًا للعالم» {رو٨: ٣٢؛ ١يو٤: ١٤} وفاديًا لنفوسنا. ولنقدِّم الشكر للابن لأنه «وضع ذاته، وأطاع حتى الموت، موت الصليب» {في٢: ٨} لأجلنا نحن البشر.

📖 ولنقدِّم الشكر للروح القدس المعطي الحياة، الذي تكلم في الناموس والأنبياء، والمعلِّمين، الذي أظهر بطرس تائبًا، وأمره أن يذهب إلى

كرنيليوس {أع١٠: ١٩و٢٠}، ومجّده وأعطاه قدرةً أن يُقيم الموتى مثل طابيثا {أع٩: ٤٠}.

📖 الذي يسبق دائمًا ويحطِّم فخاخ العدو، عن الذين يدعونه، حسب نبوة داود النبي: «الفخ انكسر ونحن انفلتنا، عوننا باسم الرب الصانع السماوات والأرض» {مز١٢٤: ٧و٨}.

📖 ها هو، إذن، قد صنع معنا رحمةً وشفانا من مرضٍ خطير بهذا المقدار، فلنسمعه وهو يقول: «ها أنت قد برئتَ، فلا تخطئ أيضًا لئلاّ يكون لك أشرّ» {يو٥: ١٤}.

📖 ليتنا نتضع في كل الأمور، لأنّ المتضع يرقد على الأرض، والذي يرقد على الأرض فأين يسقط؟ ولكن واضحٌ أنّ الذي هو مرتفعٌ يسقط بسهولةٍ. فإن كنا قد رجعنا وصحّحنا أنفسنا، فهذا «ليس منا، هو عطية الله» {أف٢: ٨}، لأنه قيل: «الرب يُقيم الساقطين، ويُعطي حكمةً للعميان ... إلخ» {مز١٤٦: ٨ حسب النص}.

📖 ولكن أن تكتب لي: «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح» {رو٨: ٣٥}؟ فالكلمة لها وزنٌ كبير. ها نحن قد قاربنا أن نقطع حبل محبة المسيح، مسرعين إلى الترتيب للموت، ومبارحة سفينة المسيح.

📖 ولكن حتى لا أفضّ الختم، وأتكلم بهذيانٍ كثير، حسنًا لأنّ واحدًا ينخسني قائلاً: «لا تستعرض الحكمة أينما يوجد الحكماء» {سيراخ٧: ٥ حسب النص}.

📖 والآن سأتوقّف عن الكلام، فقد كتبتُ كما لحبيبٍ حقيقي، ولكنك إذ تعمل بذلك تبلغ إلى الطريق الذي يقود إلى الحياة الأبدية التي في المسيح يسوع ربنا، الذي له مع الآب والروح القدس المجد والقدرة إلى أبد الدهور. صلِّ من أجلي أيها الأخ.

أقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٣٠ ـ ٣٣١

📖 ١١٠- عندما أُنقِذ شيخ من تجاربه بصلوات الشيخ الكبير {برصنوفيوس}، وتعليمه الروحي، أرسل إليه يشكره.

📖 **جواب القديس برصنوفيوس:**

📖 فلنعطِ التمجيد كله لرب المجد، ولنرتل له على مدى الدهور، آمين.

📖 لأنّ المجد لا يليق بنا، بل به وحده، مع ابنه، وروحه القدوس.

📖 لقد جاء الله بمحبتك إلى ضعفنا، لكيما تكون لنا معونة بواسطة بعضنا بعضًا في الله، لأنه يريد أن يُحقِّق فينا أيضًا ما قاله الكتاب: «أخٌ معانٌ من أخٍ، مثل مدينةٍ قويةٍ حصينة» {أم ١٨: ١٩ سبعينية}.

📖 بل ولعله يتحقّق لنا جميعًا أن نكون معانين من أخينا الكبير: يسوع! لأنه سُرَّ أن يجعلنا إخوةً له، وهكذا نحن، فقد أعلن الملائكة أننا مبارَكين، لأنّ لنا هذا الأخ القدير، حتى يجعلنا قادرين وأقوياء، حتى يقسِّم لنا غنائم العدو {انظر لو١١: ٢٢}،

📖 وقائدًا أعلى، لكيما يسحق في القتال الذين يشنّون الحرب علينا،

📖 وطبيبًا لكيما يُشفينا من أوجاعنا،

📖 ورئيس سلامٍ لكيما يجعل لإنساننا الداخلي سلامًا، مع إنساننا الخارجي، مُخضِعًا هذا لذاك، ومُربِّيًا لكي يُغذِّينا بالطعام الروحي،

📖 وحيًّا لكيما يُحيينا، ورحومًا لكيما يرحمنا، وشفوقًا لكي يُشفق علينا،

📖 وملكًا لكي يجعلنا نحن أيضًا ملوكًا، وإلهًا لكي يجعلنا نحن أيضًا آلهة! فإذ علمتَ، إذن، أنّ كل الأشياء هي فيه، فتضرّع إليه لأنه «يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه» {مت٦: ٨}،

📖 وهو يمنحك بنفسه سؤلات قلبك، إن لم تعوّقها أنت.

📖 واعْطِ التمجيد دائمًا له هو، لأنه يليق به المجد إلى الأبد، آمين.

📖 صلِّ لأجلي، أيها الأخ، لكيما أعرف ضعفي وأكون متضعًا.

أقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٥٤ ـ ٣٥٥

📖 **وقال القديس برصنوفيوس:**

"الذين يريدون أن يسلكوا طريقاً ما، إن لم يسيروا مع من يريهم الطريق مع بدايتها إلى نهايتها، لن يستطيعوا الوصول إلى المدينة.

فإن لم يترك التلميذ رغباته خلفه، ويخضع في كل شيء ويتضع، لن يبلغ مدينة السلام. أما الذي لا يفعل رغباته، ولا يلاجج بكلمة، فأنه يستريح".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٨ ـ ١٧٩



سئل القديس برصنوفيوس:

"قل لي يا أبي: رأيك فيما لو قلنا لأحد الأخوة ببعض القتالات، ونلتمس منه الصلاة بخصوصها؟"

الجواب: "جيد أن نقر لمن له قوة أن يسمع، ولا نقر بمن هو بعد شاب. وأما ابتغاء الصلاة فجيد أن نطلب من كل واحد".

وقال أيضاً: "شاب لا ينفع شاباً حتى ولو سقاه بكأس جميع تعاليم الكتب الإلهية، فلن ينتفع منه".

وسئل أيضاً: "أخبرني يا أبي: إن كان ينبغي أن نخبر المشايخ بكل الأفكار النابعة من القلب، وهل ينبغي للمصلي أن يعلي صوته، أم أنه يصلي بعقله".

الجواب: "لا ينبغي للإنسان أن يسأل الآباء عن الأفكار التي تنبع من القلب، لأنها كثيرة جداً، لآن الإنسان إذا سمع كثيرين يفترون عليه، فإنه لا يعتني بافترائهم، ولا يهتم به، فأما إن انتصب له واحد فقط وافتري عليه وقاتله، فحينئذ يجد السبيل كي يستعد له أمام السلطان. كذلك الحال في الأفكار.

أما من جهة قراءة المزامير والصلاة، فلا يجب أن تقال بالعقل فقط، بل بالشفتين أيضاً، لآن النبي هكذا قال: "يارب افتح شفتي ليخبر فمي بتسبيحك". كما يقول الرسول أيضاً: "ثمرة شفاه شاكرة لاسمه". ولا يجب أن يكون في الصلاة شيء من الأفكار الأرضية،

كما ينبغي أن تكون معقولة بالدموع والاتضاع، لآن الآباء لم يقدموا شيئاً ألا بالتعب والاتضاع".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٨ ـ ٢٨٩



سؤال {للقديس برصنوفيوس}:

"يا أبي: إن الأخ يحتقرني جداً، وأحب أن أبدله بتلميذ أخر. أو ابقي وحدي، لآن فكري يقول لي: "لوكنت وحدك ما كنت تحزن".



الجواب:

لا يجب أن تقبل تزكية نفسك، ولا تقل: "لو كنت وحدي ما كنت أحزن"، لأنه لا يكون خلاص بدون أحزان. لآنك بقولك هذا تبطل الكتاب القائل: "كثيرة هي احزان الصديقين، ومن جميعها ينجيهم الرب". وأيضاً: "كثيرة هي جلدات الخطأة".

فإن كنت صديقاً، أو كنت خاطئاً، فواجب عليك قبول الأحزان. وليست هناك أشياء يتساوى الآمر في فائدتها مثل الأحزان، لآن الأحزان هي مقدمة الخلاص، لآن الرسول يقول: "أننا بأحزان كثيرة ندخل إلى ملكوت السماوات".

فالذي يطلب النياح في كل شيء، ليسمع: "إنك بأحزان كثيرة تدخل إلى ملكوت السماوات". وليسمع: "إنك قد أخذت خيراتك في حياتك". فإن كان ربنا قد صبر من أجلنا على الأوجاع، فواجب علينا أن نصبر على الأحزان لنكون شركاءه في آلامه المحييه.

أما بخصوص استبدال تلميذك بتلميذ أخر، فالأمر واحد، لآنك إذا اتخذت أخر، وصادفك منه ما يحزنك فما عملت شيئاً. فيجب عليك إذن احتمال التلميذ الذي لك، وسياسته، ويلزمه هو القبول منك، على أن تحتمل أنت ثقله بخوف الله.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٤٤٧



{٦}
توما الكمبيسي

📖 لا تكشف قلبك لكل إنسان، بل عالج أمرك مع الحكيم المتقي لله، كن في النادر مع الأحداث، والغرباء. انهٌ لأمر عظيمً جدا، أن يعيش الإنسان في الطاعة، خاضعاً لرئيس، وغيرٍ مالك زمام نفسه.

📖 إن الخضوع لآمن بكثير من الرئاسة.

كتاب الاقتداء بالمسيح - توما الكمبيسي - صفحة ٢٣



📖 كثيرون هم تحت الطاعة عن اضطرار، أولى مما عن محبة، فهؤلاء هم في عذاب، وبسهولة يتذمرون. ولن يحصلوا على حرية الروح، ما لم يخضعوا، من كل قلوبهم، لأجل الله. جل حيثما شئت: فإنك لن تجد الراحة، ألا في الخضوع، بتواضع، لتدبير الرئيس. كثيرون ظنوا أن تبديل الأماكن يفيدهم،ّ فغرهم ظنهم.

📖 لاّ شك أن كلٍ واحد يحب العمل بحسب رأيه، ويميلّ بالحري الى الذين يرون رأيه. ولكن، إن كان الله فيما بيننا، فمن الضروري،ً أحيانا، أن نتخلى حتى عن آرائنا الذاتية، لأجل السلام. ومن تراه صار {كاملاً} من العلم، بحيث يعرف كل شيء تمام المعرفة؟

كتاب الاقتداء بالمسيح - توما الكمبيسي - صفحة ٢٤



📖 فلا تثق إذن برأيك بإفراط، بل أضع أيضاً بارتياح لرأي الآخرين.

📖 إن كان رأيكً صائبا، وتركته لأجل الله، واتبعت رأياً آخر، فإنك تجني من ذلك فائدة أعظم.

📖 كثيرا ما سمعت أن الإصغاء وقبول المشورة، آمن من إسدائها. وقد يتفق أيضاً أن تكون آراء كلٍ واحد حسنة، ولكن رفض مجاراة الآخرين، عندما يقتضيها العقل أو الأحوال، لدليلٌ على الكبرياء.

كتاب الاقتداء بالمسيح - توما الكمبيسي - صفحة ٢٥



ف١٣: في طاعة المرؤوس المتواضع على مثال المسيح:

المسيح: يا بنيّ، من حاول التملص من الطاعة، تملص من فعل النعمة، ومن طلب الخصوصيات، فقد العموميات.

ما من عدو أشد مضايقة لك وإضرارا بنفسك، منك أنت لذاتك، إن لم تكن على حسن وفاق مع الروح. فعليك حتما، أن تحتقر ذاتك احتقاراً صادقا، إن شئت أن تتغلب على اللحم والدم.

لكنك إذ لا تزال تحب نفسك بإفراط، فأنت تخشى أن تفوّض أمرك تماماً الى إرادة الآخرين. وما هو العظيم في أن تخضع نفسك لإنسان من أجل الله، وأنت تراب وعدم، في حين أني أنا القدير العلى، الذي خلق كل الأشياء من العدم، قد خضعت للإنسان متواضعاً من أجلك؟

لقد صرت أوضع الجميع وأحقرهم، لكي تغلب أنت كبرياءك بتواضعي. تعلم أن تطيع أيها الغبار، تعلم أن تتضع أيها التراب والطين، وأن تنحني تحت أقدام الجميع.

احتدم على ذاتك، ولا تدع فيك مكاناً للانتفاخ، بل أبد من الخضوع والتصاغر، ما يتيح للجميع أن يمشوا عليك، ويدوسوك مثل حما الأسواق. فما لك تشكو، أيها الإنسان الباطل الرأي؟

بم تستطيع، أيها الخاطئ، أن ترد على معيّريك، وأنت ً كثيرا ما قد أهنت الله. وكثيرا ما استحققت جهنم؟

لكن عيني قد أشفقت عليك، لأن نفسك كانت كريمة أمامي، لكي تعرف أنت محبتي، وتكون أبداً شكورا لإحساناتي، مستسلماً للخضوع. والتواضع الحقيقيين، ومحتملا بصبر ما يلحقك من الهوان

كتاب الاقتداء بالمسيح ـ السفر الثالث ـ صفحة ٢٠٥ ـ ٢٠٨



الشيخ الروحاني

لا يلام الآباء إذا تكلموا بما يفوق قدرة السامعين

📖 **{١}** من الآباء من يتكلم خفيتاً في أسرار الله، وفي وحدانية المسيح ربنا. منهم من يتكتم روحانيا.

📖 ومنهم من يقيس معرفته، على قياس صبا السامعين.

📖 وهذه الأفهام كلها يظهرها الروح في عبيده لتدبير الجميع، إذ يعطي كل الأذهان القابلة له حاجتها من الحياة، كلاً بحسب درجته.

📖 فمن ذاك الذي يتكلم بعاليات العارفين؟

📖 فتلك الرفيعة توضع أمام رؤية ذهنه، وبها يتأمل، ويصبح حكيما.

📖 والذي يتحدث بالوسطانية، والدنيا، إنما يكون ذلك لتقدم التلاميذ، وهذه تظهر في ذهنه لتفسيرها، إذ إن على كل درجة أن تجد لها معلماً يماثلها، ويُرتفع بواسطته نحو معرفة الأزلي، رب الكل، المعرفة الواحدة، التي هي غاية وميناء، ومنزلة كل العقول الناطقة.

📖 **{٢}** مدبرو رعية المسيح فقط، علمهم الروح كل الأسرار الرفيعة، والوسطانية، والدنيا، ليكونوا مع الكل، مثل الكل، ولكي يصل الجميع بواسطتهم إلى الحياة.

📖 وكذلك، إن كل ذهن إذ يتقدم وينتقل إلى مرتبة أعلى من السابقة، ينسى المرتبة التي اجتازها، وتختفي عنه أفهامها، ويصبح حكيماً بتلك التي هو قائم فيها، ويضيء الروح رشده.

📖 أما الجهلة، إذ لا يعرفون حكمة الله، الكثيرة الأفهام، نراهم يلومون الآباء المتكلمين بالروح القدس، حيث إنهم يحسبون الذي يتكلم بالأسرار الخفية، الفائقة معرفتهم، غريبا وغير صادق.

📖 والآخر الذي يتحدث بالروحانيات ماديا لتعليم الأطفال، يعتبرونه ضالاً وغير عارف. ولم يفطنوا أنهم عندما يعيبون أولئك، إنما يشتمون الروح الفاعل فيهم. إن ذلك لا يعطينا لذة، إذ هو في بلد

محجوب عن معرفتنا، ويشرق في أذهان طاهرة شبيهة بالله.

📖 {٣} إن الروح يتنازل بحبه بسبب ضعفنا، ويتكلم في قديسيه لتنشئة طفولتنا؟، لأنه لا يليق أن نحسب الذي يتكلم روحانيا عظيما، فقط من أجل تعالي فهمه.

📖 وأن تدعو من يعلم الصبية ناقصاً بسبب مادية كلمته، إذ إن الروح الذي يفعل كما يشاء بكل أولئك هو واحد، وهو يعطي كل رعية المرعى الصالح على يد راعيها.

📖 كما لا ينبغي أن يفتخر ذاك الذي يفسّر، على ذلك الذي يكتب ألف باء، لأن الروح ينير أفهامه بأحرفه. وكذلك لا يليق بالذي هو قائم في الروحانية، أن يستهين بمعلم طفولته، الذي بواسطته اقترب من معرفة الكمال. فالناطقون بالمستورات معلمو الظاهرات، هم في منزلة واحدة، يستحقون لديه التمجيد.

📖 {٤} ألا أن كل واحد منا يطلب إلى آبائنا، بسبب قلة معرفته، أن تكون تعاليمهم مثل درجته. ولم يفطن أن هوى المعلم ليس من يتكلم بالأمور المتعالية، أو الدنيا، بل إن الروح هو الذي يتكلم بالذي له، إلى من هو له، لحياة الكل، إذ يخلط في الجميع لذة تنعمه من أجل الذين يطيعون. إذ بواسطته يقتربون للمشاركة، والخلطة معه.

📖 {٥} لك المجد يا رب الكل، المحجوب عن الكل. إنك تفعل في الكل لتظهر مجدك للكل، بحسب درجة قربه منك إلى أبد الآبدين. آمين.

ميامر الشيخ الروحاني ـ الميمر الرابع عشر ـ صفحة ٩٤ ـ ٩٦

{٨}
القديس مكاريوس الكبير

📖 **سأل أخ أنبا مقار قائلا:** كيف أعيش تحت الطاعة يا أبي؟

📖 **فقال أنبا مقار:** كما أن حجر الرحى إذا دار على الحنطة ينزع عنها قشرتها، ويصبح الخبز نقيا، هكذا أنت يا ابني. فالحجر هو أبوك، وأنت هو الحنطة. فإذا أطعته فسوف يطلب من الرب من أجلك لكي ينزع عنك كل قشور الشيطان، وعوضا عن الخبز، النقي تصير ابنا لله.

📖 **قال أنبا بيمن:**

📖 ذهبت دفعة إلى أنبا مقار وقلت له: كيف تريد يا أبي أن أعامل الإخوة؟ لأني إذا كلمتهم لا يسمعون لي.

فقال: ربما الرسن {الزمام الذي يوضع على فم الجمل لتسهيل قيادتها} في يد آخر، لذلك لا يسمعون لك، فاستوضحته قائلا: وماذا يكون الرسن؟ فقال لي أنبا مقار: ربما كان تدبيرهم من آخر.

واعلم هذا، أنه إن كان هناك رجل مؤمن مرتبط بامرأة مؤمنة، وكلاهما يحفظان طهارة الزيجة، فإنهما يمضيان زمانهما معا في سلام، ويكونان في راحة تامة حتى أن الأقرباء، والجيران، يغيرون من فطنتهما، لكن لو أن الشيطان حسدهما حتى أن الرجل يتطلع من نافذة البيت إلى جمال فتاة صغيرة، والمرأة هكذا، فيقبلان الخميرة الغريبة، فلن يكون لهما سلام قط حتى ينفصلان الواحد عن الآخر.

📖 هكذا الإخوة، إن كانوا يتركون عنهم مشورات آبائهم، ويأخذون المشورة من أخرين، لأن مشورة آبائهم لا ترضيهم لأنها توبخهم، فيظلون في تذمر سرا وعلانية، حتى ينفصلون عن آبائهم. وحينما سمع أنبا بيمن هذا من أنبا مقار أعجب من إفرازه الكائن في روحه وفكره، وقال له: بالحقيقة الأمر هو هكذا يا أبانا. وبعد ذلك صلي ومضي منتفعاً.

📖 كان إخوة جالسين حول أنبا مقار، وإذ وجدوا دالة عنده سألوه عن

{مثل} حبة الحنطة، وعلى أي شيء ينطبق تفسيرها، فأجاب قائلا: شبه حبة الحنطة بالعقل، لأنه إذا سكنت معرفة ربنا يسوع المسيح في الإنسان، يقال إن عقله نير. فكما أن حبة الخردل صغيرة، وطيبة المذاق، فهكذا يقال إن المعلم {ذي العقل النير} طيب، وزكي الفهم.

📖 **قيل عن أنبا مقار الكبير:** إن شيخا مضى لزيارته مع أحد الإخوة وقالا له: أنا نريد {الشيخ والأخ الذي معه} أن نسكن معا يا أبانا.

📖 **فقال أنبا مقار للشيخ:** اتخذ لنفسك أولا شبه الراعي. إن كانت ذبابة الماشية تنقل الديدان إلى أحد الحملان، فإنه يداويها حتى يقتل الديدان. وإن صار بها {بالحملان} قراع فهو يغسلها حتى يزول منها، **فقال له الشيخ:** فسر لنا هذا القول.

📖 فقال له أنبا مقار: الذبابة تشبه الشيطان، والحمل هو الأخ الذي معك، والديدان هي أوجاع، وملذات الشياطين التي تسكن في النفس، وتغشي القلب، كالدود الذي يدب في جروح الجسد، والدواء الذي يشفي القراع هو الزهد والنمو {في عمل} التعاليم الإلهية الخلاصيه التي تطهر النفس وتجعلها نقية من كل وجع، ومن كل شر الأعداء الأردياء والشياطين.

كتاب فضائل أنبا مقار ـ صفحة ٢٦

📖 **قال أنبا مقار الكبير:** إذا لم توجد آثار أصابع يد المعلم، والمدبِّر ظاهرة على خدّ ذاك الذي هو تحت طاعته، {و} يوجد في صبر عظيم وبلا تذمّر، فلا يمكن له أن ينال إكليل وأجر البنوة الكاملة وكرامة تلاميذ ربنا يسوع المسيح.

📖 لأن المعلم قد أخذ صورة وشبه الراعي الحقيقي، ذاك الذي جعل آثار المسامير والحربة في جسده كشهادة ولعنة على اليهود، وهذا احتمله بإرادته، وبوداعة عظيمة.

📖 وكذلك أيضاً أولئك الذين يقودون كل مَن كان تحت طاعتهم، إن لم

تكن لهم هذه الوداعة وهذه العذوبة، لا يمكنهم أن يلدوا أولاداً روحانيين على مثال إيليا الذي ولد أليشع، وبولس الذي ولد تيموثاوس وأُنسيموس.

كتاب فضائل أنبا مقار ـ صفحة ٣٩



📖 **قال أنبا مقار الكبير:** كما أن الربّان، أي المدبّر، يظل في خوف من أجل المركب وحمولتها حتى يوصّلها إلى الميناء، هكذا الأب الروحي الذي له أبناء، يهتم بخلاصهم. لأن الربّ ألا يغفل أبداً عن الاهتمام بالمركب في كل وقت، إذ أنه يفحص فواصل ألواحها إن كان أيّ منها تتسرّب منه المياه، أو كان بها أي عطب، فيسدّها كلها لئلا تغرق المركب في الماء وتهلك.

📖 بالمثل أيضاً كل مَن كان أباً على إخوة، يجب عليه أن يفحص كافة الأوجاع وأفكار الشيطان الشريرة التي تكون فيهم، لكي يرى أي من تلك الأوجاع يسمح بمرور الماء {المُغرِق} الردي في نفوسهم، لئلا يهمل الاهتمام بهم من أجل حجة جسدانية فيصبح في شدّة ودينونة أمام الله، لأنه نسى تدريب الإخوة الذين معه حتى غرقوا في اللجج والأمواج الطاغية التي لمكائد الشياطين أعداء الطاعة والنسك.

كتاب فضائل أنبا مقار ـ صفحة ٤٥



📖 **قال أخٌ كبير السنّ للأب بيمين:** عندما أمكث عندك هنا، يا أبي، تهاجمني الأفكار لكيلا أجيء إليك مرةً أخرى.

📖 فسأله أنبا بيمين: لماذا؟

📖 فقال له الأخ: لأنني آتي عندك، وأسمع كلامك، ولكنني لا أُنفِّذه، أيمكن ألاّ يكون قولك دينونة لي في اليوم الأخير؟!

📖 فقال له الأب بيمين: لقد تحدّثتُ يومًا عن هذه المشكلة مع الأب مكاري في الإسقيط فقال لي: اثبت ولا تكفّ عن زيارة الشيوخ، ففي الحقيقة ستأتي أيام إذا أردتَ فيها أن تخدم الله فستنتصر بكلام الشيوخ، وإذا هاجمتكَ الأفكار مرةً أخرى فستتذكّر أقوال الشيوخ

وتجد فيها معونةً وتخلص.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٢٩٩



توسل أنبا بيمين لأنبا مقار قائلاً:

قل لي كلمة لأخلص بها. ولكن الشيخ أجابه: إنّ ما تبحث عنه قد اختفى الآن من بين الرهبان. {صاروا لا يعملون بما يسمعون}.

سأل إخوةٌ شيخًا: عن معنى القول السابق:

فقال الشيخ:" لأنه كان قد سأل بخشوعٍ ونشاطٍ وحرصٍ عظيم، ففرح به وقال له ذلك، ومعناه أنّ كثيرين اعتادوا أن يسألوا عن الفضائل والحروب ولا يعملوا بنصائح الشيوخ.

وقال أنبا بيمين: الذي يعرف ما يضرُّه، يسأل عن أفكاره الخفية، ويعمل بما يسمعه، فهذا أخٌ عمّال من أجل الله يطلب خلاص نفسه.

وقد حارب قتال التجديف أحد الإخوة، ولما كشفه لأنبا بيمين انصرف عنه فوجد راحةً.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٣٠٠



من الرسالة الثالثة للقديس مكاريوس:

أولئك البواسل، والمستعدّون لطاعة مشيئة الله، هم الذين يتقدّمون إلى الحرب الروحية، والإعداد الجيد والكفاءة لهذه الحرب ضدّ الأعداء الخفيين، يكونان في ترك الإنسان لأبيه وأمِّه، وكل اهتمامات الحياة، وإعطاء نفسه لله بالإضافة إلى إنكاره لذاته، متخلِّيًا عن كل ما اكتسبه من ثروةٍ، وما أخذه من والديه الجسدانيين، وكل ما يخصّه، وحتى نفسه، ويعهد بها كلها - بعد الله - إلى الأب الروحي الناسك لكي ما يتصرّف فيها بالطريقة التي يريدها.

وحتى لا يقلق فيما بعد من احتياجه إلى أي شيء، وحتى لا يُدين، ولا يمتحن ذاك الذي اختاره كقاضٍ وكمدبِّرٍ لنفسه، التي استودعها

بين يديه كرجلٍ ذي خبرةٍ، ليُحضرها إلى الله، وحتى لا يتركه كمن هو غير كفءٍ بسبب ماديات تافهة، لأنّ الأب حينئذٍ يُنظَر إليه أنه هو الأكثر نُسكًا في هذه الأمور ممن هو خاضعٌ له لأجل الله.

📖 أخبرني يا مَنْ تفعل ذلك: إنك تضع نفسك بين يدي الأب الناسك قائلاً: ها أنا أُخضِع نفسي لك"، وتنطرح عند قدميه متوسلاً إليه: خُذْ نفسي وأحضرها إلى الله"، وأنت تعلم أنك تفعل ذلك ليس لإنسان، بل لله الذي قال: «مَنْ يسمع منكم يسمع مني» {لو١٠: ١٦}.

📖 وهل تظن أنك غير مخطئ عندما تحنث بوعدك الذي قدّمته لله؟ وَتعتقد أنّ استردادك لما أعطيته لله ليس خطية؟ إنّ كيفية سرقته هي هكذا: لقد وثقتَ بالأب الناسك واستودعتَ له نفسك لكي يُحضرها إلى الله، وها أنت بسبب أمور مادية تافهة دنيئة دنيوية، تُدينه وتُحاسبه.

📖 فكيف إذن لا تعتقد أنك أخطأت؟ وهي ليست أيّة خطية، بل إنها خطية سرقة المقدّسات! هذه الخطية التي كشفها القديس بطرس الرسول عندما انتهر حنانيا وسفيرة عندما استردّا جزءًا من ثمن حقلهما الذي باعاه من أجل خدمة الله، إذ كان قد خُصِّص لخدمة الإخوة، ثم حكم الرسول عليهما بموتٍ شنيع فحلَّ خوفٌ عظيمٌ على الكنيسة كلها {أع٥: ١-١١}.

📖 ولكنك تقول: إنني لم أستردّ أيّ شيءٍ إطلاقًا مما تركته، إنني فقط أتدبّر فيه بطريقةٍ ملائمةٍ وبحكمةٍ وبصيرة". ولكنّ المنطق، بصفةٍ خاصة، لا يسمح لك أن تراقب، أو تحكم على شيء لم يعد يخصّك، لأنك في الحقيقة لا تعرف ما هو ملائمٌ أن تفعله، وما هو غير ملائم، كما أنّ استردادك لما تركته يستوجب اللوم والتعنيف، فضلاً عن اقتناعك بأنك تكذب عندما تقول إنك لم تسترده.

📖 أخبرني بالحق، أَلم تُعطِ نفسك، ثم ممتلكاتك لله على يدي الأب

الناسك؟ إذن، فهي لم تعد تحت سلطانك. فالترك الحقيقي، والأكيد للنفس، هو عندما لا يُتمِّم الإنسان مشيئته قط بل أن يكون مثل مجرد مادة خام في يد الصانع {الأُسطى} مُخضِعًا كل حواسه لذاك الذي أخضع نفسه له بعد الله، متطلِّعًا بعينيه بجدِّيّةٍ إلى توجيهاته.

📖 وكما أنّ المادة الخام لا تقاوم صانعها الذي يرغب أن يصنع منها آنيةً للكرامة، أو للهوان، لأنّ المادة ليست لها حياة، ولا حواس، هكذا المنطق يتطلّب منك أن تكون.

📖 لأنك عندما سلّمت نفسك لناسكٍ ذي خبرةٍ، ولم تعُد بعد لذاتك، فعليك أن تتركه يقودك إلى حيث يشاء وكيفما شاء. وإذا كان هذا هو ما ينبغي بخصوص النفس، فكم بالأكثر يكون عليك أن تكون فاقد الإحساس بالممتلكات الأرضية الفانية، التي تقول إنك تخلَّيتَ عنها؟!

📖 فإذا كنتَ تتعالى بإدانتك للأب الناسك، وتريد أن تفرض مشيئتك، فانظر كم خطية ترتكبها: فأنت أولاً: تسقط في خطية سرقة المقدسات، وبعد أن تخلّيتَ عن مشيئاتك تسترجعها مرةً أخرى.

📖 وثانيًا: أنت تدين مَنْ اخترته ليكون قاضيًا {أو مدبِّرًا} لك.

📖 وثالثًا: هذا يؤدِّي بك إلى مرض العجرفة، وحب الذات، وروح السيطرة.

📖 ورابعًا: ستحتقر الإخوة {الرهبان} القدامى، الذين ينبغي أن توقِّرهم، وذلك لأنهم كانوا فقراء صعاليك، لم يكن لهم أي شيءٍ أمكنهم أن يتركوه، وستريد أن تجعلهم تحت سلطانك، لأنك أنت الذي زودتهم بالملابس واحتياجاتهم الأخرى.

📖 وهكذا عندما تجول في الدير، يبدو لك أنّ كل ما فيه هو ملكٌ لك، وهكذا يكون تفكيرك:" إنني قبل حضوري كان الأب فقيرًا يُرثى له، وبفضلي أنا وممتلكاتي رفع رأسه، وباستخدامه لممتلكاتي بدا منيرًا لأصدقائه العابرين به وذا سمعة حسنة لديهم.

📖 إنه قبل ذلك كانت ملابسه رثّة، أما الآن فهي برّاقة وتعطيه كرامات، وها هو هذا الرجل المجرّد من المشاعر يريد أن يجعلني مساويًا لبقية الإخوة ويجعلني كلا شيء.

📖 هكذا يريد هذا الإنسان أن يُجبر الأب الناسك على تغيير حكمه العادل، ويُجبره بالضغط عليه، على أن يُقيمه رئيسًا على مجمع الإخوة، وإذا كانت له ثقافة عالية، يكافح لكي يجلس على كرسي المعلِّم، ويعتقد أنه جديرٌ بأن يبارك آباءه الذين لم يذق - ولا حتى بطرف شفتيه - حياتهم النسكية، هؤلاء الذين جاهدوا في كل نوع من الفضائل النسكية

📖 ثم إنه ربما يرغب في إبعاد الأب كليّةً عن عمله القيادي، وهو في كل هذا يظن أنه لم ينحرف، ولم يختلس، أو يعوِّج شيئًا، طالما أنه لم يسترجع ماله، في حين أنه بطريقةٍ شريرةٍ، وغير لائقةٍ، يسعى إلى انتزاع نفسه من بين يدي الأب الناسك.

📖 كم كان من الأفضل أن يأخذ ماله ويرحل في الحال! لأنّ التخلُّص السريع من الضرر، أكثر نفعًا من أي مكسبٍ مادي.

📖 فيرحم نفسه من أقسى العقوبات، التي تستحقها كل شروره غير المحصاة، والتي نتجت عن تركٍ {للعالم}، مثل هذا، كما أنه يُجنِّب الأب، ومجمع الإخوة كله المزيد من الآلام، والاضطرابات!

📖 أمّا عنك أيها الناسك بطل التقوى، فإذا أردتَ أن تعبر هذا البحر العظيم الواسع، هذا المحيط الرهيب، فما دمتَ قد تقدّمتَ بعيدًا عن الأرض، وفصلتَ سفينتك من المادة {أي الدنيويات} فلا ترجع ثانيةً نحو الشاطئ، وتطلب الرجوع إلى الوراء، بل ثبّت نظرك بجدِّيّةٍ نحو السماء، لأنّ تلك السماء التي أدعوك أن تثبِّت نظرك إليها ستجد فيها كواكب، يعرف الربّان السماوي وحده عددها وأسماءها.

📖 وستجد فيها كل الأنوار: الآباء والبطاركة والأنبياء والرسل

والشهداء، أي الكواكب الحقيقية الثابتة التي تضيء ليل الحياة المظلم.

📖 وإذ تركِّز بصرك عليها توجِّه سفينة التقوى بأمان حتى ميناء الراحة: أورشليم السماوية، إذ تركت كل شيء متشبِّهًا بأولئك القديسين، فلا ترجع إلى شيءٍ مما تركته إطلاقًا.

📖 كثيرون في الحقيقة هم الذين يتفرّغون للسيئات، أما الذين يعيشون بالتقوى فهم نادرون. أما أنت فعزمك على الترك الصعب، لا يدخل ضمن عمل الكثيرين، الذين يسلكون الطريق الواسع، بل بين الذين يغصبون أنفسهم بواسطة الطريق المستقيم الضيق، للدخول إلى الحياة الأبدية.

📖 فعليك، إذن، أن تحتفظ بنذرك في ذهنك على الدوام، ولا تنساه إطلاقًا، لأنك بذلك يمكنك أن تتحمّل بشجاعةٍ جميع الضيقات.

📖 لأن المستعدين لتنفيذ مشيئة الله، ليسوا هم أي أناس، بل الشجعان الذين يسيرون في الطريق المستقيم، ويصارعون بلا توقُّف ضد أرواح الشر، فيرثون الملكوت بحقٍّ كجنودٍ مختارين لله.

📖 هذا هو ما أُوحي بطريقةٍ أخرى لموسى خادم الله عندما قال إنّ ذوات الأربع التي لها حوافر مشقوقة، والتي تجترّ هي طاهرة، وأنّ الباقية غير طاهرة {أنظر لا ١١: ٣ وما بعدها}.

📖 وهذا يتفق مع أنّ رجل الله، لا يجب أن يهتم باتباع فكرٍ واحدٍ، بلا تمييز في حين أنه يرتاح دائمًا إلى الفكر الشرير، الذي يسكن فيه ويسرّ به، ولكنه يجب - على كل حال - أن يمتحن نفسه في كل وقتٍ، بعنايةٍ وإفراز، جاعلاً أفكاره الطبيعية نفسها، كأعداءٍ محرِّضين أردياء على فعل الشر.

📖 فيجب أن يكون مشقوق الظلف {أو الحافر} ويجترّ {أي يتأمل} كلمات وصايا الله، ويمتحن فكره بإزائها. كل هذا لكي يتغلّب الفكر الصالح المضاد للشر الذي يسكن فينا على الشر الذي فينا، حتى تُلبَس قوةً

من الأعالي {لو٢٤: ٤٩}، فنحطِّم هذا الشر الذي يسكن فينا بسلطانٍ، وهكذا يتجلَّى الفكر النقي من طبيعة الإنسان النقية.

📖 هكذا يُعتبر الذين يصارعون، ويُمارسون هذا الإفراز في نفوسهم، أنهم أنقياء أمام الله، حيث إنهم يبتعدون عن الأخطاء الإرادية ويُخضِعون مشيئتهم الخاصة لله بقدر استطاعتهم.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٣٥٥ ـ ٣٥٨



📖 **وبخصوص سؤالين كتبتم إلى عنهما:**

📖 هل يجب على مَنْ يوبِّخ أحدًا أن يقول له سبب توبيخه له؟

📖 إن كنتَ لا تقول له فكيف يمكن أن يُصلِح حاله؟

📖 إن كنتَ لا تُظهِر للجريح جرحه، فكيف يتم علاجه؟

📖 لذلك فمن الأفضل أن تقول له، أمّا إذا كانت النفوس ضعيفة، ولا تقدر أن تسمع، فنحن نحاول أن نقول لها بطريقةٍ مستترةٍ، ونراعي ضعفها، وذلك مثلما يُعطَى الخمر للمريض مخفَّفًا بالماء، وأمّا للسليم فخمرًا نقيًّا، فإذا وجدته قادرًا أن يسمع فمن الأفضل أن تُعرِّفه بغلطته.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٣٦٧



{٩}
كتاب فردوس الآباء

📖 **اعترفت فاستراحت من أفكارها:**

📖 وسمعت عنه {مكاريوس الإسكندراني} أيضًا شابة صغيرة في تسالونيكي اسمها "ليديا"، وكانت كاتبة وقد نسخت وألّفت كتبًا كثيرة، كما أنها كانت ناسكة مثل الرجال، إذ قضت سنة بأكملها في مغارة.

📖 ولما جاءت إلى أنبا مكاري كانت تقابله كل يوم، وسألته عن أفكار كانت خفية في داخلها، فنالت راحة من الله بصلوات الشيخ، ثم

رجعت إلى بلادها ممجِّدةً الله.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٣٩٠



عظمة الطاعة:

جاء أربعة رهبان من الإسقيط {إلى نتريا} مرةً لزيارة أنبا بامو، وهم يرتدون جلودًا. ثم كشف كل واحدٍ منهم عن فضيلة الآخر في غيابه: فالأول كان يصوم كثيرًا.

والثاني كان يعيش حياة الفقر.

والثالث قد اكتسب محبةً عظيمةً.

وقالوا عن الرابع إنه عاش ٢٢ سنة تحت طاعة شيخ.

فقال لهم أبّا بامو: أقول لكم إنّ فضيلة هذا الأخير هي الأعظم، فكل واحدٍ منكم في الحقيقة قد حصل على الفضيلة التي رغب هو في اكتسابها، أما الأخير فقد قطع مشيئته تمامًا وعمل بمشيئة آخر، ومن بين أمثاله يصير قوم شهداء إذا ثابروا إلى النهاية.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٢٦



سأل أخٌ أنبا شيشوي أن يقول له كلمة:

فقال: لماذا تطلب كلامًا؟ اصنع مثلما ترى.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٥٨



قال أنبا موسى لأحد الإخوة : لنقتنِ الطاعة التي تلد الإتضاع، وتجلب المثابرة، والصبر، وتأنيب الضمير، والمحبة الأخوية، والرأفة، فهذه هي في الحقيقة أسلحتنا في حروبنا.

وقال أيضًا: أيها الأخ، فلنسلك بالطاعة الحقيقية، لأنها هي التي تسبِّب لنا الإتضاع، والقوة، والفرح، والمثابرة، والصبر، والمحبة الأخوية، وتأنيب الضمير، والرأفة، لأن هذه هي الطاعة الصالحة، التي تتمم كل وصايا الله.



📖 **وقال أيضًا:** الراهب الذي يكون تحت إرشاد أب، ولا يمارس الطاعة، والاتضاع، فهو لا يقتني فضيلةً واحدةً، ولا يعرف حتى ما هو الراهب.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٠٢

📖 **سأل أخٌ أنبا بيمين قائلاً:**

📖 لماذا لا أكون حرًّا في أعمالي، دون أن أكشف أفكاري للشيوخ؟

📖 فأجابه الشيخ: إنّ أنبا يؤنس القصير قال: إنّ العدو لا يفرح بشيءٍ مثل الذين لا يكشفون أفكارهم لآبائهم.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥١٧

📖 **وكان القديس يؤنس يقول للإخوة:**

📖 اخضعوا بطاعةٍ كاملةٍ حسب سيرة آبائنا.

📖 اقبلوا المشورة بإيمانٍ، وبالأخص باتضاع، ونقاوة، وخوف الله، والثبات في الله، والانشغال به. هذه الأمور هي أسمى من كل الفضائل، وتجعل النفس تضيء بالله باستقامتها.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٢٩

📖 وقد ذكر الآباء عنه أنه كما أن الأرض لا يمكنها أن تسقط، كذلك كان أنبا يؤنس القصير، لا يمكنه أن يسقط بسبب عظم اتضاعه.

📖 فقد أكمل طاعةً عظيمةً، وهو تحت الخضوع لأبيه الروحاني، إذ كان متّقدًا بنار الروح القدس.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٢٩ - ٥٣٠

📖 **سأل أخٌ الأب بيمين:** إن كنتُ أشعر بخسارةٍ في نفسي، وأنا أسكن مع أبي، فهل تنصحني بأن استمر في السكنى معه؟ ففهم الشيخ أن الأخ كان يخسر في معيشته مع أبيه، وتعجّب كيف سأل هذا السؤال.

📖 فقال له: اسكن معه إن شئت.

📖 ففعل الأخ كما قال له الشيخ، ولكنه عاد ثانيةً إلى الشيخ:

📖 وقال له: إنني أشعر بخسارةٍ في الروح.
📖 فلم يجبه الشيخ بشيء. ولما جاء إليه الأخ لثالث مرةٍ وقال: بالحقيقة إنني لا أستطيع السكنى معه.
📖 قال له أنبا بيمين: الآن أنت تعرف كيف تعيش، اذهب ولا تسكن معه بعد ذلك. ثم قال القديس: عندما يرى إنسان أنه في خطر فقدان نفسه، فهو لا يحتاج أن يسأل نصيحةً.
📖 جيدٌ أن يسأل عن الأفكار الخفية، ويترك للشيخ أن يختبرها.
📖 أما الأخطاء الواضحة، فلا داعي أن تسأل بخصوصها، بل اقطعها في الحال.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٧٨

📖 **قال أنبا بيمين:** لا تُعطِ قلبك لمن لا يُشبعه.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٨٧

📖 **وقال أيضًا أنبا بيمين:**
📖 لا تكشف ضميرك لأي إنسان، لا تثق فيه، في قلبك.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٨٨

📖 **قال لي الأخ: الذي كان يعمل ناسخًا للأب سيرابيون:**
📖 قال لي الشيخ {أنبا سيرابيون} إنّ أبّا ألونيوس الذي من "تامرياس" عاش مع أبيه حتى رقد هذا الأب.
📖 وقبل رقاده كشف الرب بعض الأسرار لأبّا ألونيوس، وأظهر له علامات {أو آيات} عظيمة جدًا، ولكنه لم يفهم ما رآه، فكشف أفكاره لأبيه، ولكن أبوه لم يفهم معنى هذا الأمر.
📖 ثم روى له الأمر مرةً أخرى، ولكنه أيضًا لم يفهم.
📖 ثم مرةً ثالثة، ولكنه لم يستطع أن يفسّر هذا الأمر.
📖 ثم ذهب أبّا ألونيوس إلى الأب بيمين، وحدّثه في هذا الأمر:
📖 فقال له: اذهب إلى الأب "سيمياس" وهو سيفسر لك موضوعك

هذا. فقال له أبّا ألونيوس: لماذا لا تفسّره أنت لي؟
📖 فقال له الأب بيمين: إنني سأفسّره لك بسرور، ولكن مسكني قريب منك، وربما تأتي أنت إلى كثيرًا، وهذا لا يكون مريحًا لأبيك، ولكن اذهب إلى الأب سيمياس، وهو سيكشف لك موضوعك.
📖 فاتخذ أبّا ألونيوس طريقه إلى الأب سيمياس، حتى وصل إلى مقاطعة "أكسيفيتيس"، وكشف الرب الأمر كله للأب مينا الأسقف لأجل أبّا ألونيوس.
📖 فركب الأب أنبا مينا زورقًا صغيرًا لكي يعبر إلى الضفة المقابلة، ولما اقترب من الضفة الأخرى من النهر، وهو لا يدري أنّ أبّا ألونيوس هناك، ولم يكن يعرفه شخصيًا.
📖 صاح مناديًا: يا أبّا ألونيوس الذي من تامرياس.
📖 فلما سمع أبّا ألونيوس صوته نهض، وحالما وصل الأب مينا بقاربه إلى الشاطئ قال له: هل أنت حقًا أبّا ألونيوس الذي من تامرياس'؟
📖 فأجابه: نعم.
📖 فقال له الأب مينا: أَلست أنت ذاهبًا إلى الأب سيمياس؟
📖 فأجاب: هذا حق.
📖 فقال له: نعم، إنك ذاهبٌ إلى هناك بسبب الأسرار التي أظهرها لك الرب، لأنك رويتَ موضوعك لأبيك، ولكنه لم يستطع أن يفسّره، وهكذا مرةً ثانيةً وثالثةً، ولم يستطع، لأنه لم يكن كُفوًا لأن يشرحه لك. ثم ذهبتَ إلى الأب بيمين، ولكنه لم يرغب أن يكشفه لك خوفًا من أن تذهب إليه كثيرًا، فأرسلك إلى أبّا سيمياس، ولكنني أنا الآن هو المزمع أن أفسّر لك الموضوع الذي أظهره لك الرب وكيفية إنجازه. ولما رأى أبا ألونيوس أنه شرح له كل ما كان يطلبه قال: إذن فأنا لن أواصل مسيرتي إلى أبا سيمياس، لأن كل ما كنتُ أطلبه أظهرته أنت لي.
📖 فقال الأب مينا: اذهب إلى الشيخ لأنك عندما تراه ستخلِّص نفسك'.
📖 فذهب أبا ألونيوس إلى أبا سيمياس، ومكث بعض الوقت عنده.

ثم قال له أبا سيمياس: قم اذهب لترى أبيك، وإذا سُرّ بك عُدْ مرةً أخرى. وفي الحقيقة إنّ أبا سيمياس كان قد رأى بالروح الأب الروحي لأبّا ألونيوس مريضًا، ومشرفًا على الموت.

فأطاعه أبا ألونيوس، وقام وذهب، ولما وصل إلى أبيه وجده مريضًا مشرفًا على الموت، ثم رقد ودخل إلى راحته.

فانظروا آيات الرب، وأسراره التي يكشفها لخدامه الذين يطيعونه ويخافونه، إذن فطوبى للإنسان الذي يخاف الرب، وللذين يرتعدون من صوته.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٨٨ - ٥٨٩



قال أنبا بيمين:

الخبرة شيء صالح، فهي التي تمتحن {أعمال} الإنسان.

قال لي أخٌ {أنبا بيمين}:

زرتُ أحد الشيوخ لعدة أيام، فلاحظ أحد الإخوة ذلك وحسدني وقال لي: كم أنت تزور هذا الشيخ؟ وعلى ذلك أَليس عندك عمل؟

فقلتُ للشيخ: ألا ترى هذا الأخ الذي يوبخني على مجيئي إليك؟

فقال لي الشيخ: كثيرًا ما سألتُ أنبا بيمين بخصوص ذلك، فقال لي: "ألا ترى هذه البقعة من الأرض؟ طالما أنها مليئة بالثمار، فلا بدّ أنها لاقت اهتمامًا، ولكنك إذا ذهبتَ إلى ما بعد هذه البقعة، فلن تجد سوى ثمار قليلة، لأنّ أصحاب الأرض وعمّالهم، يتسلّحون بعصيّ، ويسهرون حتى لا تأتي حيوانات، أو طيور وتأكل الثمار.

ففي الحقيقة إنّ هذه الأرض هي الأزمنة الأخيرة، التي لن يوجد فيها سوى القليل من الشيوخ مثل أيامنا هذه، لا يغضبون من الذين يزورونهم بغرض أن يعيشوا للرب.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٢٣



كان الأب يوسف يقول:

📖 عندما كنا جالسين مع الأب بيمين، دعا أبّا أغاثون بكلمة "أبّا".
📖 فقلنا له: إنه لا يزال شابًّا فلماذا تدعوه أبّا؟
📖 أجاب: إنّ فمه جعله مستحقًا أن يُدعى "أبّا".

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٧٤

📖 **سُئل الأب إشعياء:**
📖 كيف ينبغي على الراهب أن يستعمل خدمته في الترتيل.
📖 وتدبير الصوم؟ فأجاب: عليه ألاّ يعمل شيئًا يزيد عن المرسوم له.
📖 فقد أراد كثيرون أن يزيدوا على ما رُسِم لهم، وبعد ذلك لم يستطيعوا أن يُتمّموا حتى ما هو أقل من ذلك!

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٩٣

📖 **وقال أيضًا أنبا إشعياء:**
📖 للذين يجعلون لأنفسهم بدءًا حسنًا، بخضوعهم لتوجيه الآباء القديسين: مثل صبغة الأرجوان، فإنّ اللون الأول لا يُفقَد أبدًا.
📖 وكما أنّ البراعم الصغيرة يسهل تشذيبها وثنيها.
📖 هكذا أيضًا يكون المبتدئون الذين يعيشون في الخضوع.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٩٥

📖 **وقال أيضًا أنبا إشعياء:**
📖 المبتدئ الذي ينتقل من دير إلى آخر، يكون مثل حيوان يقفز بطريقةٍ وبأخرى خوفًا ممن يقيِّده.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٩٥

📖 اِلتف الإخوة حول الأب كاسيان ساعة انتقاله، وكان مستعدًا للرحيل بشغفٍ وفرح إلى الله. فطلبوا منه أن يترك لهم قولاً مختصرًا نافعًا كميراثٍ لهم، يمكّنهم من أن يصيروا كاملين في المسيح.
📖 فتنهّد وقال لهم:" لم أتمّم مشيئتي قط، ولا علّمتُ بأي شيءٍ لم أكن قد عملتُ به سابقًا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٢٨



📖 **وقال أيضًا القديس كاسيان الرومي:**

📖 أوصانا أنبا موسى بألاّ نكتم أفكارنا، بل نكشفها لشيوخ روحانيين، لهم معرفة وتمييز، وليس لمَنْ طال عمره وشاب شعره.

📖 لأنّ كثيرين قصدوا كبار السن، وكشفوا لهم أفكارهم، ولأنه لم تكن لديهم معرفة، فبدلاً من العلاج طرحوهم في اليأس.

📖 ثم روى قصة الأخ الذي أوقعه أحد الشيوخ في اليأس، وكان على وشك أن يرجع إلى العالم، لولا أنّ رحمة الله أنقذته بواسطة الأب القديس سلوانس {راجع أقواله}.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٢٧



📖 **قال الأب هيبريشيوس:**

📖 الطاعة هي فخر الراهب، فمَنْ يقتنيها يسمع الله صلاته، ويقوم أمام المصلوب رب المجد بدالة. لأن إلهنا من أجل طاعته لأبيه صُلِب عنا

{أو: لأن الرب المصلوب صار مطيعًا حتى الموت}.

كتاب فردوس الآباء - القديس الأب هيبريشيوس - الجزء الثالث ١٦٥



📖 **سأل أخ أبّا شيشوي أن يقول له كلمة:**

📖 فقال: لماذا تطلب كلامًا؟ افعل مثلما ترى.

كتاب فردوس الآباء - القديس أنبا شيشوي الصعيدي - الجزء الثالث ٢٣٦



📖 **قال الأب روفس:** الذي يظل جالسًا تحت قدمي أبيه الروحي، يأخذ مكافأةً أعظم من الذي يعيش منفردًا في البرية. وأضاف إلى ذلك أن أحد الآباء قال: لقد رأيتُ أربع مراتب في السماء:

📖 في الأولى المريض الذي يشكر الله،

📖 وفي الثانية الذي يهتم بإضافة الغرباء، ويخدمهم،

📖 وفي الثالثة الذي يعبر البرية دون أن ينظر أحدًا،

📖 وفي الرابعة الذي يطيع أباه ويظل خاضعًا له من أجل الرب.

📖 وإن ذاك الذي يعيش في خضوع كان مرتديًا سلسلةً من ذهب،

وترسًا، وله مجدٌ أعظم من الآخرين.

🕮 فقلتُ لمن كان يقودني: لماذا هذا الأخير له مجد أكثر من الآخرين؟

🕮 فأجابني: إن الذي يضيف الغرباء يعمل حسب مشيئته، والذي يعيش في البرية ينطلق حسب إرادته الحرة، ولكن الأخير له طاعة، وإذ نبذ كل الرغبات، فهو يعتمد على الله وأبيه، فلهذا السبب أخذ مجدًا أكثر من الآخرين.

🕮 أُنظر يا بُنيَّ، كم أن الطاعة صالحة عندما تُتخذ لأجل الرب!

🕮 لقد فهمتم، يا أولادي، جزئيًا عناصر هذه الفضيلة.

🕮 إيه أيتها الطاعة فاتحة السماوات، وجاعلة البشر يصعدون إلى هناك من الأرض!

🕮 أيتها الطاعة طعام جميع القديسين الذين رضعوا من لبنك، والتي بواسطتك صاروا كاملين! إيه أيتها الطاعة رفيقة الملائكة.

كتاب فردوس الآباء ـ القديس الأب روفس ـ الجزء الثالث ٢٣٩ ـ ٢٤٠

🕮 أحد الإخوة قال لأحد الشيوخ الكبار:

🕮 أريد يا أبي أن أجد أحد الآباء الشيوخ يتفق مع رغبتي، وأنا أموت معه {أعيش معه حتى الموت}. فضحك الشيخ وقال: حسنًا، يا إلهي!

🕮 ولكن الأخ كان مقتنعًا أنّ هذا الأمر جيدٌ، ولم يستطع أن يدرك فكر الشيخ. ولما رأى الشيخ أنه يظن بالفعل أنه يبحث عن شيء صالح قال له: إذا وجدتَ شيخًا بحسب رغبتك أَيمكنك أن تسكن معه؟

🕮 فأجاب الأخ: نعم.

🕮 فقال له الشيخ: ربما أنك لستَ أنت الذي ستتبع مشيئة الشيخ، بل إنه هو الذي سيتبع مشيئتك، فهل هذا يريحك؟

🕮 حينئذٍ نهض الأخ إذ فهم قصد الشيخ، وانطرح أمامه قائلاً: اغفر لي يا أبي، فقد كنتُ مخدوعًا، وظننتُ أنني أقول شيئًا حسنًا، ولكنني وجدتُ أنه ليس لي منفعة من ذلك.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٩



🕮 **كان الآباء يقولون:** إذا كان إنسان له ثقة في آخر {أب روحي}، ويسلِّم نفسه له في خضوعٍ كاملٍ، فهو لا يحتاج أن يلتفت إلى وصايا الله، ولكن يمكنه أن يعهد بمشيئته كلها لأبيه، وهو لن يُلاقي توبيخًا من الله، لأنّ الله لا يتطلّب شيئًا من المبتدئين أكثر من التخلِّي عن كل شيء بواسطة الطاعة.

كتاب فردوس الآباء - الفصل الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٤٠



🕮 ٩٦ - سؤال من الأخ نفسه إلى الشيخ نفسه:

🕮 أيها الأب، إنني نصحتُ الأخ بمحبة الله، وهو لا يقبل، وقد تكدّرت، فماذا أفعل إذن؟، وإذا قابلتُ الأخ الذي أمرتني أن أقابله، فأخبرني إن كان لا يهتم أحدٌ بذلك.

🕮 إجابة الأب يوحنا:

🕮 طالما أنكَ لا تلاحظ ما نقوله فاسمع:

🕮 كل نصيحةٍ تجلب التكدير إلى قلب الإنسان، لا تكون نصيحة إلهية، بل تكون من عمل الشيطان، ممتزجةً بتبرير الذات.

🕮 فإن كنتَ قد نصحتَ قريبك بحسب الله، فكيف تكدّرت؟

🕮 لأنّ الحزن التقويّ، لا يدع أي إنسان يتكدّر.

🕮 ولكن حتى إذا تكلَّم ذاك الذي ينتصح، ضد الذي ينصح، فلا ينبغي أن يتكدّر، بل يحمل أثقاله.

🕮 وقد تبيّن لك أيضًا أنّ الأثقال كانت تجربة، ولكنّ الله أبطلها، ولا زال يُبطلها. الرب يمنحك صحة النفس والجسد، لكي تفهم ما هي مكائد الشرير فتهرب منها. صلِّ لأجلي.

🕮 أمّا عن مقابلة الإخوة الذين تتكلّم عنهم، فإذا تمّت أيضًا في محبة الله، فهي لا تسبِّب أيّة عثرةٍ بل تهذيب وإصلاح.

أقوال القديس برصنوفيوس - كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - صفحة ٣٤٦

🕮 قيل عن تلميذ كان مع أبيه الروحي في زمان الاستشهاد. فأراد الأب

أن يجرب تلميذه، فقال له: لعلك يا بُنيَّ تريد أن تصير شهيدًا فاذهب.

وكان الأخ يشتهي ذلك، ولكنه لم يُطع هواه، فقال للشيخ: إنني يا أبي إذا صرتُ فوق مرتبة الشهداء فبركتك لي كل يوم أفضل!

فلما رأى الله أمانته في أبيه جعله يسمع صوتًا يقول: لأجل إيمانك في أبيك، فإنني أحسبك في مجمع الشهداء، وطقس القديسين.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٨٩

سأل أخٌ شيخًا: يا أبي، لي خمس وعشرون سنة أخدم شيخًا، والآن قد ثقل على وأريد أن أتركه.

فقال له الشيخ: لك خمس وعشرون سنة تحت شجرة الحياة وأنت تأكل من ثمرتها، وها أنت تريد أن تأكل الزوان، إن كنت تترك الشيخ، لأن شجرة الحياة التي تعيش بها هي كلمة الله التي تسمعها من أبيك، والزوان هو أفكار إبليس، فإن أنت قبلتها فهي تُغريك وتُبعدك عن شجرة الحياة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٩٠



أخبر أحد الآباء: أنه رأى أربع رُتب مرتفعة في السماء:

الأولى: مريض صابر شاكر لله.

والثانية: صحيح الجسم يُضيِّف الغرباء، وينيّح الضعفاء.

والثالثة: منفرد في البرية مجتهد.

والرابعة: تلميذ ملازم لطاعة أبيه من أجل الله.

ورأى أن رُتبة التلميذ أرفع من الرُتب الثلاث الأخرى.

فسأل الذي أراه ذلك قائلاً: كيف أن الذي هو أصغرهم صار أكبر منهم في الرتبة؟ فقال: إن كل واحد منهم يعمل الخير بهواه، أما هذا فقد قطع هواه، وأطاع معلّمه من أجل الله، والطاعة لأجل الله هي أفضل الفضائل

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٨٩

📖 **قال شيخ:** إن لم يحفظ الإنسان التعليم الروحي، وينقّي قلبه من الأفكار الخاطئة، فكل تعليم يسمعه ينساه ويذهب عنه.

📖 وعند ذلك يجد العدو فيه مطمعًا ويُسقطه، لأن النفس مثل مصباح مضيء فإن توانيتَ عنه ولم تتعهده بالزيت انطفأ.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٢٦

📖 **قال شيخ:** لا تكتم أفكارك الشريرة، وخطاياك القديمة، فإذا وجد فيك الشيطان هوى واحدًا مكتومًا ففيه يطرحك، لأن الشيطان ليست له قوة أن يُجبر إنسانًا على فعل الخطية، ولكنه إذا رأى أن هواه مائلاً إلى شيء من الخطية ففيه يطرحه، وإذا رآه متحفظًا ويُشاور في أموره كلها، ويُطيع ما يُشار إليه، فلا يقوى عليه في شيء قط.

📖 وكان يقول: إنني لا أعرف للراهب سقطة إلاّ إذا تصرف حسب هواه، فإذا رأيتَ راهبًا قد سقط فاعلم أنه سقط بهواه، لأنه تصرف حسب رأيه.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٤٢ ـ ٥٤٣

📖 **قال أخ:** إنني قلتُ لتلميذ أنبا بفنوتيوس، تلميذ الأب مكاريوس الكبير: قل لي كلمة يا أبي لكي أحيا بها.

📖 فقال لي: احفظ القناة التي تجري إلى مزرعتك.

📖 فقلتُ له: ما معنى هذا؟

📖 فقال لي: القناة هي فمك، فإذا لم تحفظه لا تثمر نفسك.

📖 فقلتُ: كيف أحفظه؟

📖 فقال: إذا لم تسكن مع فلاح فمن أين تعرف ما تشتمل عليه الفلاحة، من حرث وبذر وحفظ وري وحصاد وغيره؟

📖 فقلتُ: ما معنى هذا؟

📖 قال: إذا لم تسكن مع شيخ مجرِّب حتى يعلِّمك الرهبنة فمن أين تتعلمها، إذا انتقلتَ من مكان إلى آخر، أو انفردتَ وحدك، أو صرتَ أبًا قبلما يتوجب لك ذلك من الله؟ فإنك تقيم كل زمانك ولا تعرف أن

تحصد ثمر الفضيلة، بل تضيّع الزرع الذي هو تعليم طريق الله.

📖 فيجب أن تسكن مع شيخك حتى تنال منه البركة الأخيرة، مثل إليشع الذي ثبت مع إيليا حتى رُفع إلى السماء فباركه وتضاعفت روحه عليه.

📖 ومثل تلميذي أنطونيوس اللذان سكنا مع الشيخ حتى طرح الجسد وبارك عليهما البركة الأخيرة، فحلّ عليهما روح الله وصارا راعيين صالحين. ويوحنا {القصير} سكن مع بمويه {أموي} أبيه حتى فارق جسده، فسلمه للشيوخ قائلاً: هذا ملاك وليس إنسان.

📖 ويوحنا تلميذ أنبا "بلاّ" أطاع أباه فأحضر الضبعة مربوطة.

📖 وتلميذ آخر لشيخ كان يمشي مع متوحد، فجاءا إلى نهر فيه تماسيح، وعبر التلميذ المطيع بينها، ولم يستطع المتوحد أن يعبر، فقال الشيوخ إن الذي كانت له طاعة كان أعلى من المتوحد.

📖 وتلميذ آخر كان طائعًا للأب مكاريوس، وكان قد أرسله أبوه إلى مصر فسقط في تجربة، فقال: يا إله أبي انقذني، ولوقته وجد نفسه يمشي في طريق الإسقيط.

📖 وقد كُتب: ابذر زرعك وقت الصباح، ولا تُبطل زرعك إلى وقت المساء، أي داوم على الصلاح الذي ابتدأتَ به إلى وقت وفاتك، وانظر إلى ما أصاب الذين تركوا آباءهم: كيف ترك عيسو والده واختلط بالأمم فرذله الله. وجيحزي لم يُطع إليشع فأصابه البرص.

📖 والتلاميذ الذين رجعوا إلى خلف وتركوا صحبة الرب قد أهلكوا ذواتهم. ويوحنا تلميذ الأب مكاريوس لم يُطع أباه فأصابه الجذام.

📖 ها أنا قد أخبرتك بطريقي الحياة والموت، فإذا دخلتَ من الباب الضيق الذي هو طاعتك لأبيك تصل إلى الحياة الأبدية، وإن سلكت في الباب الواسع الذي هو أهواء قلبك تصل إلى الهلاك.

📖 فقلتُ له: يا أبتاه، لقد جاء إخوة إلى أبي ولا أقدر أن أسكن معهم.

📖 فقال لـي: لـو كـان عنـدك اِتضـاع لكنـتَ تسـكن مـع الوحـوش، فكـم بالحري مع الإخوة؟ واسمع قـول داود النبـي: «مـا أحسـن وأحـلا أن يسكن الإخوة معًا»!

📖 فقلتُ له: يا أبي، إنني أريد أن أصير شهيدًا.

📖 فقال لي: إن خالفتَ أباك فأنت تتعب ولا تصير شهيدًا، فإن شيخًا قال لتلميذه في زمان الاضطهاد: يا بُنيَّ، لعلك تريد أن تصير شهيدًا، فاذهب. وكان الأخ يريد ذلك، ولكنه لم يُطع هـواه بـل قـال: حتـى لـو صرتُ فوق رتبة الشهداء، فبركتك لي كل يوم أفضل يا أبي.

📖 فلما رأى الله أمانته في شيخه أرسل لـه صـوتًا يقـول: لأنـك أطعـت أباك فإنني أعطيك إكليل الشهداء، وأجعلك في رتبة جماعة القديسين.

📖 أما الذين تركوا آباءهم في الله قائلين: إننا نتوحد، ونصـوم، ونهـرب من الناس، فانخدعوا مـن الشـيطان، ولـم يتوحـدوا، ولا صـاموا، ولا هربوا من النـاس، بـل تنقلـوا بـين الأديـرة والمـدن والقـرى، وزينـوا ملابسهم، ففرح بهم الشيطان لأنهم قبلوا خداعه فهزأ بهم.

📖 فقلتُ له: لقد ربحتُ منك يا أبي وأريد أن أسكن معك في حياتي.

📖 فقال لي: أما أن أباك حي؟ فقلت: نعم.

📖 فقال لي: هذا عدم أدب، فإن مَنْ ليس لـه أب فأنـا أقبلـه، وذلـك لـئلاّ تكون أنت قد أفسدتَ بنوتـك، وأكـون أنـا قـد بلبلـتُ قـانون الرهبنـة. وآباؤنا كانوا يحفظون ضمير بعضهم بعضًا، وبغيـر طاعـة لـم ينـجح أحد. فقلتُ: يا أبي، ماذا أفعل حتى أكمّل الطاعة؟

📖 فقال لي: اسمع: قد سمعتُ أنا عـن رجلـين أُعطـى كـلٌّ منهمـا سـبعة أفدنة قمح ليحصدها في يوم واحد، فلما رأى أحدهما الأفدنة قال: مَنْ من الناس يقدر أن يحصد هذه في يـوم واحـد؟ فلمـا أُحـبط ذهـب ولـم يحصد شيئًا.

📖 والآخر قال: أنا أعمل بقدر قوتي ولا أبطل الأمر.

📖 فمَنْ منهما أرضى سيده؟ فقلتُ: الذي عمل بقدر قوته.

📖 فقال لي: اذهب أنت واعمل بقدر طاقتك، وأنا أومن أنك في الملكوت تُحسَب مع الذين أكملوا الطاعة.

📖 ثم قال: إن الخروف الثابت في المراح {الحظيرة} محروس، أما الذي يترك مراحه ويذهب إلى قطيع آخر فإنه يبقى وحشيًا، ولا يسلم من ذئب أو لص. وهكذا الراهب الذي يترك ديره، فيشبه أيضًا حمارًا سائبًا، وكل مَن يجده يركبه فيُعقَر، وليس له صاحب يعتني به فيهلك من الجوع، والتعب، والجراح.

📖 وهكذا الراهب الذي يترك ديره، وأباه، وإخوته، ويسكن عند أخرين، فإنهم يرسلونه إلى هنا وهناك، فيسقط في الزنى ويهلك، ولا يجد مَنْ يُنهضه، فمَنْ هو الذي يترك العناية بأولاده ويهتم بأولاد غيره؟!

📖 وقد قال أبي إن المفترقين يتعبّدون كل واحد بحسب هواه وإرادته، وأما الذي يطيع أباه من أجل المسيح، فقد قطع مشيئته لأجل الله وهو أفضل.

📖 فقلتُ له: يا أبي، إن النجاسات التي يبذرها الشيطان فيَّ سواء أكملتها بالفعل، أو لم أكمّلها، فلا يتركني العدو أن أُخبر بها أبي بسبب الاحتشام!

📖 فقال لي: لا تُطع عدوك، بل أخبر أباك بها كلها حتى بأحلام الليل، ولا تُخف عنه شيئًا من أفكارك، إن كنتَ مطيعًا له في كل شيء من أجل الله، ومؤمنًا أنه يُحاسَب عنك بسبب طاعتك له، وكل ما تُخفيه عنه تُحاسَب أنت عليه.

📖 فقلتُ له: وهل أعرِّف شيخًا آخر يطيب له قلبي بنجاساتي؟

📖 فقال: إذا توفى أبوك وعيّن أخًا يصيّره بعده أبًا للإخوة فاتبعه، لأن روح أبيك قد تضاعفت عليه، مثل إليشع بعد مفارقته لإيليا، ويشوع بعد موسى النبي.

📖 فقد قال الآباء: لا تُخبر بجراحك غير أبيك الروحاني، وإن كان أبوك قد توفي ولم يعيّن للإخوة أبًا، فابحث عن أب شيخ قديس كاملاً في أعماله قدام الله، واظهر له جميع أمراضك، وهو يصلّي لأجلك فتتعافى، وهذا واحد من ربوات.

📖 لأن الآباء قالوا: لا تُظهر خطاياك لكل الناس، لئلاّ تعثر كثيرين، وتؤذي الضعفاء، وأخيرًا تقع فيهم. وبالإجمال، فإذا لم تضرّهم، أو تتضرّر منهم، فلا تنتفع منهم، وتُحرَم من الانتفاع بغيرهم، لكن كما كانت الأحكام الصغيرة تُرفَع إلى الفهماء من شعب إسرائيل فيحكمون فيها، والأحكام الكبيرة والمسائل الصعبة تُرفَع إلى موسى النبي فيحكم فيها، وما صعب عليه فيها يسأل الله عن حكمه فيها.

📖 هكذا الأمور الصغيرة أخبر بها الفهماء من الإخوة، والأمور الصعبة أخبر بها الأب، وما صعب عليه منها فهو يطلب إرشاد الله عنه.

📖 واحذر أن تقول بقلة إيمان كلمة رديئة على أبيك، أو إخوتك، حتى لا يمنعك الله من دخول أرض الميعاد وأكل ثمارها، كما حدث لشعب إسرائيل مع موسى أبيهم، ويشوع وكالب أخويهم، وانتبه إلى أنه لم يدخل منهم أرض الميعاد إلاّ هذان اللذان أطاعا أباهما، أما الذين رجعوا بقلوبهم إلى مصر فقد ماتوا جميعًا في البرية.

📖 فاثبت أنت مع أبيك مثل يشوع مع موسى، لتصير مثله نبيًا، وصانع عجائب، وأبًا لأُمّة كبيرة، ووارثًا لأرض الميعاد، ومتمتعًا بثمارها أنت وبنوك.

📖 وقد قال الله: أكرم أباك وأُمّك ليطول عمرك ويُحسن إليك.

📖 وقال: مَنْ يقول كلمة رديئة على أبيه أو أُمّه يهلك، وهذا عن الأب الجسداني فكم يكون عن الروحاني!

📖 والذي يترك أباه ويسعى فيه {يشوّه سمعته} يشبه يهوذا الذي ترك

معلّمه وسلّمه. والذي يستهزئ بأبيه يرث لعنة حام الذي ضحك على أبيه لما انكشف، ويُحرَم من بركة سام ويافث اللذان سترا جسده.

🕮 قُلتُ له: يا أبي، إن الشيطان يُتعب الرهبان أكثر من أهل العالم.

🕮 فقال: نعم، مثل ملك يريد أن يطرد من مملكته قومًا، ويُدخل إليها غيرهم، فلا بدّ أن يُعادي الذين أخرجهم، الذين أجلسهم على كراسيهم، ويفعلون بهم كل ما يقدرون عليه من الشر.

🕮 فلأن الرهبان يجاهدون لدخول هذه المملكة، والجلوس على كراسيها، فالشياطين يقاتلونهم بالأكثر.

🕮 فيجب يا بُنيَّ، أن نطيع ونتضع لأبينا الروحاني لئلاّ نسقط مثلهم، فبالعظمة والمعصية على أبي الأرواح سقطوا وهلكوا.

🕮 وقلتُ له: يا أبي، سمعتُ عن قوم أنهم يطوون يومين يومين، وأربعة أربعة، وستة ستة، فغرتُ وأريد أن أصوم مثلهم.

🕮 فقال لي: إن الذي يفعل هكذا بغير مشورة من أبيه يرفعه الشياطين بالأكثر، ثم يحطّونه إلى أسفل سريعًا، والذي يعمل أكثر من قوته يقتل جسده، وحينئذ ينكسر كالقوس التي تُوتَّر أكثر من حدّها.

🕮 وقلتُ: وإن شتمني أخٌ فماذا أفعل؟

🕮 فقال: إذا احتمل المشتوم تُغفَر له الخطية التي شُتم بسببها، وتصير على الشاتم، وذلك مثلاً كأن يقول له: يا سارق، يا كذاب.

🕮 لأن ذلك يكون مثل الاعتراف، فلما انكشفت خطية المشتوم وسكت واحتمل، فكأنه أقرّ بها ودين عليها، أما الذي شتمه فتحمّل وزرها لكونه دان أخاه بذكرها، وقد أُمر بأن يُظهر خطاياه هو فأظهر خطايا غيره. وقد قيل إنه من الجهالة أن يهتم الإنسان بمرض غيره، ولا يهتم بمرض نفسه، أو يترك ميته ويبكي على ميت غيره.

🕮 وأيضًا: ما أعظم الجهالة أن يغفل الإنسان عن خطيته، ويذكر خطايا أخيه.



📖 كان بعض الإخوة يتحدثون معًا، وكان بينهم أخٌ له موهبة نظر الخفايا. فلما كانوا يتكلمون عن الروحانيات رأى ملائكة يقتربون منهم وهم فرحون، ولما تكلموا في أمور غير نافعة، ابتعدت عنهم الملائكة، واقتربت منهم الشياطين.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٥٤٤ ـ ٥٤٧

{١٠}

القديس الأنبا أنطونيوس

📖 **قال الأنبا أنطونيوس:**

📖 لا تكن قليل السمع، لئلاّ تكون وعاءً لجميع الشرور، اجعل في قلبك أن تسمع لأبيك، فتحلّ بركة الله عليك

📖 لا تتوهّم أنك عالمٌ، وحكيمٌ، لئلاّ يضيع تعبك، وتمرّ سفينتك فارغة

الأنبا أنطونيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٥

📖 لا تستحِ أن تسأل أباك ببكاءٍ، واتضاع، أن يعرِّفك ما أنت عاجز عنه

الأنبا أنطونيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٦

📖 **قال أحد الشيوخ:** {أنبا أنطونيوس في بعض المراجع}:

📖 إنّ الإفراز الحقيقي، لا يكون إلاّ من الاِتضاع، والاتضاع هو أن نكشف لآبائنا أفكارنا، وأعمالنا، ولا نثق برأينا، بل نستشير الشيوخ المجرَّبين، الذين نالوا نعمة الإفراز، ونفعل كل ما يشيرون به علينا، فالذي يكشف أفكاره الرديئة لآبائه، تخفّ عنه، وكما أنّ الحيّة إذا خرجت من موضعٍ مظلم إلى ضوء، تهرب بسرعة، كذلك الأفكار الرديئة، إذا كُشِفت تبطل، من أجل فضيلة الاِتضاع.

📖 وإذا كانت الصناعات، التي نُبصرها بعيوننا، ونسمعها بآذاننا، ونعملها بأيدينا، لا نقدر أن نعملها من ذواتنا، إن لم نتعلمها من

معلِّميها، أفليست هي جهالة، وحماقة، لمن يريد أن يعمل الصناعة الروحانية غير المرئية، التي هي أكثر خفيةً من جميع الصنائع، والخطأ فيها أعظم خسارةً، من كل ما عداها، بغير معلِّم

الأنبا أنطونيوس - كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٩

📖 قيل إنّ اثنين من الإخوة كانا يعيشان في دير، وكان كلٌ منهما قد وصل إلى درجةٍ عاليةٍ، في الحياة النسكية، فقد كرَّس أحدهما نفسه، لحياةٍ صارمةٍ، من إنكار الذات، والفقر، وكان الآخر مطيعًا ومتضعًا. وإذ حدث نقاشٌ بينهما، أرادا أن يعرفا أي نوع من حياتهما هو الأعظم، فنزلا في نهرٍ، كانت فيه تماسيح كثيرة، فدخل الأخ الذي كانت له ملَكة الطاعة، ووقف بين التماسيح، فانحنت كلها له. ثم صاح مناديًا زميله، الذي كان إنسانًا نائحًا، فقال الأخير له: اغفر لي يا أخي، فلم أبلغ بعد إلى درجة إيمانك هذه.

📖 ولما رجعا إلى الدير سمع أنبا أنطونيوس {أب الدير} صوتًا يقول له: إنّ الإنسان المطيع، أفضل من ذاك الذي، يعيش حياة فقر اختياري.

📖 **وقال أيضًا أنبا أنطونيوس:**

📖 ينبغي على الراهب الشاب، أنه في كل خطوةٍ يخطوها في قلايته، وكل نقطة ماء يشربها {ان} يشاور الشيوخ، لأنني رأيتُ رهبانًا كثيرين، بعد تعبٍ كثير، سقطوا في دهشة العقل، والكبرياء، والعُجب بالنفس، لأنهم اتّكلوا على معرفتهم وحدهم، إذ لم يُصغوا إلى الوصية القائلة: "اسأل أباك فيُخبرك وشيوخك فيقولوا لك" {تث٣٢: ٧}.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٢

📖 **قال المغبوط أنطونيوس:**

📖 عندما يسعى الراهب في طريق الحياة الرهبانية لكي يصل إلى قمم الكمال، ويكون قد تعلَّم أهمية التعقُّل والإفراز حتى يصير قادرًا أن يحكم نفسه وأن يصل إلى ذروة حياة التوحُّد، فينبغي عليه بالضرورة

أن يجري وراء كل أنواع الفضائل، التي يجدها في أي إنسان:
📖 فواحد يجده مزيّنًا بزهور المعرفة، وآخر يكون محصّنًا بقوةٍ بفضيلة الإفراز، وآخر مؤسّسًا على رزانة الصبر، وآخر متفوقًا في فضيلة الإتضاع، وآخر في العفة، وآخر متحلياً بنعمة البساطة، هذا يفوق الجميع في الشهامة، وذاك في الشفقة، وآخر في الأسهار، وآخر في السكون، وآخر في جدّيّة العمل.

📖 وهكذا. فإنّ الراهب الشغوف إلى جمع عسلٍ روحي ينبغي أن يكون مثل النحلة الدؤوب يمتص الفضيلة من الذين يمتلكونها، ثم يجب أن يستودعها في آنية قلبه دون أن يفحص عما ينقص أي واحد منهم، بل يلاحظ فقط ويجمع لنفسه ما عند الآخر من فضيلة.
📖 لأنه إن أراد أحدٌ أن يكتسب كل الفضائل من شخصٍ واحدٍ، فإننا بكل صعوبةٍ، بل ربما يستحيل، أن نجد أمثلة مناسبة لنا لكي نقتدي بها، لأنه بالرغم من أننا نرى أن المسيح قد صار "الكل في الكل" كما يقول الرسول {١كو١٥: ٢٨}، فلا زلنا نستطيع أن نجده قليلاً قليلاً في الكل. فبينما توجد الحكمة في واحدٍ يوجد البرّ في آخر، والقداسة في آخر، واللطف في آخر، والعفة في آخر، والاتضاع في آخر، والصبر في آخر.
📖 فالمسيح مقسَّمٌ في الدهر الحاضر عضوًا عضوا بين جميع القديسين، ولكنه عندما يتجمّع الكل في وحدانية الإيمان والفضيلة يتشكّل المسيح "إلى إنسانٍ كامل" {أف٤: ١٣}، مكمِّلاً ملء جسده في مفاصل {أو رُبُط} وصفات كل أعضائه، وذلك حتى يأتي الوقت الذي يصير فيه الله "الكل في الكل"

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٨١

من الرسالة الثامنة عشرة للأنبا أنطونيوس

لأولاده الرهبان

📖 **الطاعة تحمي من الضلالة:**

📖 **٥-** فالآن، يا أحبائي، إذ قد عِلِمتم ذلك تحفَّظوا من مشورات الشيطان الرديئة، لأنه يأتي بصورة من يقول الحق، ليخدع ويطغى على مَنْ يقبله. فإذا أتاكم بشبه ملاك نور فلا تصدِّقوه، ولا تسمعوا منه، لأنه يصطاد المؤمنين بأساليب تبدو حسنة، وهي ليست كذلك.

📖 والذين لم يدركوا الكمال بعد، لا يعرفون حِيَل الشيطان هذه، ولا ما يُلقيه فيهم كل وقت.

📖 أما الكاملون فهم يعرفونها كما قال الرسول: «إن الطعام القوي هو للكاملين الذين درَّبوا حواسهم وعزائمهم، وعرفوا تمييز الخير من الشر» {عب٥:١٤}، فهؤلاء لا يقدر العدو أن يُطغيهم.

📖 أما المؤمنون الذين لم يكملوا بعد، فإذا لم يحترسوا لذواتهم، فإنه يخدعهم بطعامه الطيب في مظهره، وهو ليس بطيِّب، ويجتذبهم كما يجتذب الصيّاد السمكة، بعدما يُغطّي رأس الصِنَّارة بالطُعْم.

📖 فالسمك لكونه لا يعلم بالصنَّارة المستورة بالطُعم، يتقدّم ويبلع الطُعم، فيُؤخذ عاجلاً وبسهولة.

📖 فافهموا هذا: أن السمك لو علم أنه يُؤخذ بذلك الطُعم، لكان ينفر منه، ولا يقربه أصلاً. هكذا، كما قلنا عن المؤمنين غير الكاملين، فالعدو يصيدهم بالأسباب التي تشبه الحق، كما يقول سليمان الحكيم إنه: «قد توجد طريق يُظنُّ بها أنها مستقيمة وآخرتها تؤدّى إلى أسافل الجحيم» {أم١٦:٢٥}.

📖 ومكتوبٌ أيضًا في عاموس النبي: «يا عاموس، ماذا تصنع هنا؟ فقال: إني أرى شبكةً لصيد الطير» {عا٨:٢}.

📖 ومعلومٌ أن الطير، لفزعه من أن يُؤخذ في الأرض، فهو يتعالى في الجو، ويصنع له مكاناً في المواضع العالية لراحته ورقاده، فإذا رقد يكون بلا همٍّ، كونه لا يصل إليه أحدٌ فيمسكه، وقد نرى أن الصياد

يتحايل ويأتي تحت مكانه، وينصب له شبكته، ويخدعه بالطُعم، وبذلك ينزل به من ذلك العلو ويقتنصه.

📖 والشيطان يفعل هكذا ويصيد المؤمنين غير الكاملين بحيله، التي هي شبيهة بالحق، وهي ليست كذلك، ويُنزلهم من علوِّهم.

📖 لأنه هكذا فعل الشيطان لما اختفى في الحيّة وقال لحواء: «إنكما إذا أكلتما من الشجرة تصيران آلهة وتنفتح أعينكما» {تك٣:٥}، فلما سمعت حواء هذا الكلام مال قلبها إليه، وظنَّت أنه حقٌّ، لأنها لم تفحصه، فلما أكلتْ وأطعمتْ آدم، أصابهما الذلّ العظيم، وسقطا كلاهما من علوِّهما.

📖 ٦- هكذا يفعل الشيطان بالمؤمنين، الذين لم يدركوا الكمال بعد، عندما لا يفرِّقون بين الخير والشر، بل يتبعون أهويتهم ويقنعون برأيهم، ولا يرجعون ليتعلّموا من آبائهم الذين كملوا وميَّزوا بين الخير والشر، ويظنون أنهم صاروا كاملين، ومباركين من آبائهم.

📖 فهؤلاء، يا أولادي، يشبهون تلك الطيور التي صنعت أوكارها في الجو، وهبطت إلى الأرض فاقتنصها الصيادون بالحيل المخادعة.

📖 وهذا يكون لهؤلاء بسبب اتكالهم على ذواتهم، وعملهم حسب مشيئات قلوبهم، وتكميل إرادتهم، وعدم طاعتهم، واستماعهم لآبائهم.

📖 فإن الشيطان حينئذ يأتي عليهم بهذه المناظر الخادعة، ويملأ قلوبهم بالكبرياء، إذ يُريهم في الليل أحلاماً، ويحقِّقها لهم نهاراً ليضلَّهم.

📖 وليس هذا فقط، بل ويأتي لهم بأنوار في الليل، حتى إن مواضعهم تضيء، ويصنع مثل هذه أشياء كثيرة، وعلامات لا نستطيع أن نحصرها، أو نكتبها واحدةً فواحدة.

📖 وكل ما يصنعه لهم فهو لكي يُطمئن قلوبهم بأنه ملاك الله، فيقبلونه إليهم. وعندما يقبلونه بهذه الصفة، يهبط بهم عاجلاً من علوِّهم - مثلما ذكرنا عن تلك الطيور - بسبب روح الكبرياء التي تملّكتْ

عليهم. ويجعلهم يظنون أنهم صاروا عظماء، وأجلاّء في الروحانية أكثر من كثيرين، فلا يعودون يسمعون من آبائهم.
📖 وهكذا يتم عليهم المكتوب: «إنهم عناقيد زاهرة قاسية {أي مُرَّة}» {تث٣٢:٣٢}، وهم في الحقيقة كذلك، لأن التعلُّم من الآباء صار صعباً عليهم لظنِّهم أنهم عرفوا كل الأشياء.

📖 ٧- فيا أولادي المباركين، افهموا ما قلتُه لكم، فإنكم لا تقدرون أن تزدادوا في التقدُّم والنمو، ولا أن تكمُلوا، ولا أن تعرفوا أن تميِّزوا بين الخير والشر، إذا لم تسمعوا تعليم آبائكم الكاملين.
📖 لأن آباءنا هكذا صنعوا باستماعهم لآبائهم، وتعلُّمِهم منهم، فتقدّموا ونموا وصاروا معلِّمين كما هو مكتوب في حكمة يشوع بن سيراخ: «تعلَّموا من آبائكم لأنهم قد تعلّموا من آبائهم» {ابن سيراخ٨:٩}.
📖 فيجب عليكم، يا أولادي، أن تتمثلوا بهؤلاء الذين أطاعوا آباءهم، وسمعوا لهم في كل شيء، وقد علَّمهم آباؤهم جميع أعمال الله، التي تعلَّموها من آبائهم، وهم أيضاً صاروا معلِّمين لبنيهم المؤمنين الطائعين. لأن إسحق أطاع إبراهيم. ويعقوب أطاع إسحق.
📖 ويوسف أطاع يعقوب. وإليشع أطاع إيليا. وبولس أطاع حنانيا.
📖 وتيموثاوس أطاع بولس. فهؤلاء، وأمثالهم من القديسين، أطاعوا آباءهم، وأكملوا إرادتهم بتكميلهم الطاعة لهم في كل شيء، وعرفوا الحق وتعلّموا البرّ، واستحقوا أخيراً روح الله.
📖 عند ذلك صاروا ينطقون بالحق في كل شيء، كما هو مكتوب: «إني جعلتُك مدبِّراً لبيت إسرائيل» {حز٣:١٧}.
📖 فالآن، يا أحبائي بالرب، المستقيمين بقلوبهم، إن أردتم أن تأتوا إلى قدّام، وتنموا بزيادة، وتصيروا غير مضطربين بقلوبكم، ولا تقدر الشياطين أن تهزأ بكم في شيء، فاسمعوا من آبائكم وأطيعوهم وأنتم لا تسقطون.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ١٧٨ - ١٨٠

من الرسالة العشرون

لأنبا أنطونيوس

📖 أزيلوا من خواطركم ما سمعته عنكم، إذ تقولون إن الله ينسى أتعابكم، ولا يكافئكم عنها، حاشا. لأن ربنا له المجد لم يقُل إن المكافأة تكون هاهنا، بل التجارب، والضيقات والأتعاب، والأحزان، وهناك تكون المكافأة. لأن هذه الحياة هي طريق الأتعاب والتجارب.

📖 فإذا صبرتم وسمعتم وأطعتم آباءكم فإن الرب يُحسن مجازاتكم، لأن هذا هو التعب الذي يُذكَر أمام الرب.

📖 وأنا المسكين أباكم أعرِّفكم، يا أحبائي، أنني قد تعبتُ في الجبال والبراري، وطلبتُ في الليل والنهار أن يكشف لي الرب إرادته، فلم يُظهِر لي شيئاً حتى سمعتُ لآبائي في كل شيء، وقبلتُ معرفتها {أي معرفة إرادة الله} منهم. لأن كل مَنْ يسمع من آبائه فللرب يسمع.

📖 ومَن يسمع مِن الرب، فهو يسمع لآبائه.

📖 ومَن لا يسمع لآبائه، فهو لا يسمع من الرب.

📖 فيا أحبائي بالرب، اسمعوا لأبيكم فيما كتَبْتُه لكم لكي تحلّ عليكم بركته، وتجدوا راحةً ونعمةً وقوةً ومجداً ويسهِّل الرب جميع طرقكم.

📖 وهانزا قد أعلمتُكم في هذه الرسالة بطريقتَي العمل الجسداني والروحاني، والمقاومات الجسدانية والشيطانية، لكي تعملوا وتجتهدوا وتنالوا البركة الأخيرة، وتسكن فيكم نعمة عظيمة.

📖 والسلام لجميعكم، والخلاص من الرب يسوع المسيح يكون لأرواحكم المتواضعة، ولأفكاركم وقلوبكم المتطهِّرة. ولتحل بركته في كل موضع يكون فيه الاِتضاع. له السبح والمجد والإكرام من جميع الناطقين، ولأبيه ولروحه القدوس، الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ١٩٤

📖 **وقال القديس أنطونيوس:**

📖 "الطاعة والمسكنة يخضعان الوحوش لنا".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٩



📖 **قال القديس أنطونيوس:**

📖 "لا تكن قليل السمع، لئلا تكون وعاء لجميع الشرور، فضع في قلبك أن تسمع لأبيك فتحل بركة الله عليك".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٩



📖 **قال القديس أنطونيوس:**

📖 ينبغي للراهب الشاب أن يستشير الشيوخ قبل كل خطوة يخطوها في قلايته، وقبل كل نقطة ماء يشربها. لأني رأيت رهباناً كثيرين بعد أن تعبوا كثيراً – وقعوا في دهشة عقل، لأنهم توكلوا على معرفتهم فقط، إذ لم يصغوا إلى الوصية القائلة. "أسأل أباك فيخبرك ومشايخك فيقولوا لك".

📖 لا تقم بعمل من الأعمال، إلا بعد استشارة أب الدير.

📖 لا تتحدث بجميع أفكارك لجميع الناس، إلا للذين لهم قوة على خلاص نفسك، لئلا تكون عشرة.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨٠



📖 **قال أنبا أنطونيوس:** "لا تنكر خطيئتك التي صنعتها، لآن أفضل ما يقتنيه الإنسان هو أن يقر بخطاياه قدام الله، ويلوم نفسه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٧



{١١}
قديسون أخرون

{١٢}
الأسقف كاليستوس وير

📖 **أكثر أهمية من جميع الكتب:**

📖 عندما نقوم بالصعود إلى جبل للمرة الأولي، نحتاج أن نتبع طريقًا مطروقًا، كما نحتاج أيضًا أن يكون معنا، كرفيق ومرشد، شخص يكون قد صعد إلى الجبل قبل ذلك، ويعرف طريق الصعود.

📖 هذا هو بالضبط دور الـ "أبّا"، أي المرشد الروحي أن يكون رفيقًا ومرشدًا ـ وهو من يسميه اليونانيون "جيرون" ويسميه الروس "ستارتز"، وهذا اللقب يعنى في اللغتين "المتقدم في السن" أو "الشيخ". ونجد منذ بداية الرهبنة المسيحية الشرقية تأكيدًا على أهمية الطاعة "للشيخ". وهذا ما نجده واضحًا جدًا ـ على سبيل المثال ـ في أقوال القديس الأنبا أنطونيوس:

📖 "أعرف رهبانًا قد سقطوا بعد أتعاب كثيرة، وتشوش فكرهم، لأنهم اتكلوا على أعمالهم، ولم يلتفتوا إلى الوصية القائلة: "اسأل أباك فيقول لك" {تث٣٢:٧}، إن كان ممكنًا، فليكشف الراهب للشيوخ كل خطواته، لكي يتحاشى أن يخطئ فيما يفعله".

📖 والحاجة إلى الإرشاد الروحي كمبدأ رئيسي نجده في كل "أقوال شيوخ البرية": "اعتاد الآباء الشيوخ أن يقولوا: "إن رأيت راهبًا شابًا يصعد إلى السماء بإرادته، امسكه من قدميه واجذبه إلى أسفل، فإن هذا نافع له".

📖 "إن كان أحد يضع ثقته في شخص {الأب} ويسلم إرادته له بخضوع كامل، فإنه لا يحتاج إلى شيء، سوى أن يودع إرادته كلها بين يدي أبيه {الروحي}. وعندئذٍ سوف يكون بلا لوم أمام الله، لأن الله لا يطلب

شيئًا من المبتدئين أكثر من أن يتجردوا من ذواتهم، عن طريق الطاعة".

📖 شخصية "الستارتز" {الشيخ الروحي} التي نجدها بارزة في الأجيال الأولى للرهبنة المصرية، قد احتفظت بأهميتها إلى اليوم في المسيحية الأرثوذكسية: يوجد أمر واحد يفوق في أهميته جميع الكتب والأفكار، وأعني به مثال الشيخ الروحي الأرثوذكسي، الذي يمكنك أن تكشف كل أفكارك أمامه، ويمكن أن تسمع منه، ليس مجرد رأي خاص ذو قيمة كبيرة، بل تسمع منه مشورة الآباء القديسين.

📖 "فلنمجد الله، لأن مثل هؤلاء الشيوخ لم يختفوا إلى الآن من بلادنا روسيا"، هذا ما يقوله روسي علماني من القرن التاسع عشر، هو إيفان كيريفسكي من الحركة السلافية.

📖 كما يكتب الأب ألسكندر ألشانينوف كاهن المهجر الروسي في القرن العشرين: "إن مجال عمل هؤلاء الشيوخ لا حدود له، فهم قديسون بلا شك، فهكذا يعترف بهم كل الشعب. وإني أشعر ـ في أيامنا المأساوية هذه ـ أنه بواسطة هؤلاء سيُحفظ الإيمان ويتقوى في بلادنا".

المرشد الروحي كشخصية كارزمية

{صاحب مواهب}

📖 ما الذي يخول لشخص ما أن يعمل كمرشد روحي؟

📖 كيف وبواسطة من يكون تعيينه، أو تعيينها {كمرشد}؟

📖 توجد إجابة بسيطة على هذا السؤال: فالشيخ، أو الستارتز، هو أساسًا شخصية "كارزمية" ونبوية، يُفوض، أو تُفوض لهذا العمل من الروح القدس مباشرة.

📖 فالمرشدون الروحيون يُقامون لا بأيدي بشرية، بل بيد الله.

📖 فهم يعبّرون عن الكنيسة "كحدث" أو "كحادثة" أكثر منها كمؤسسة.

📖 لا يوجد في الحقيقة، خط فاصل بين العناصر النبوية، والمؤسسية في حياة الكنيسة، فكل منهما تنبع من الأخرى وتتشابك معها.

📖 فخدمة الشيخ المرشد، نفسها وهي كارزمية، مرتبطة بوظيفة محددة بوضوح في الإطار المؤسسي للكنيسة، وهي: وظيفة كاهن الاعتراف.

📖 ففي التقليد الأرثوذكسي لا يعطي حق قبول الاعترافات بصورة آلية عند رسامة الكاهن. فلكي يقوم الكاهن بقبول الاعتراف يحتاج إلى تفويض بذلك من أسقفه.

📖 ولذلك، فرغم أن سر الاعتراف هو بالتأكيد فرصة مناسبة للتوجيه الروحي، فإن خدمة الشيخ الروحي ليست مطابقة تمامًا لخدمة أب الاعتراف. فالشيخ الروحي يقدم النصيحة، ليس وقت الاعتراف فقط بل في أوقات أخري كثيرة.

📖 وإضافة إلى ذلك، فبينما أب الاعتراف ينبغي أن يكون كاهنًا، فإن الشيخ يمكن أن يكون راهبًا بسيطًا، غير حاصل على أي رتبة كهنوتية، بل يمكن أن يكون علمانيًا

📖 وأيضًا فإن خدمة الإرشاد الروحي يمكن أن تقوم بها راهبة أو امرأة علمانية، ففي التقليد الأرثوذكسي توجد أمهات روحيًا، كما يوجد آباء روحيون.

📖 فالشيخ المرشد سواء كان كاهنًا أو علمانيًا يكون حديثه عادة نابعًا من بصيرة داخلية، وسلطان، لا يتوفران إلاّ نادرًا في كهنة الاعتراف. ولكن، إن كان الآباء الروحيون، أو الأمهات الروحيات، لا يُقامون بعمل رسمي من رئاسة الكهنوت، فكيف إذن ينطلقون لممارسة خدمتهم؟

📖 يحدث أحيانًا أن الستارتز الموجود يقيم خليفة له قبل نياحته. وبهذه الطريقة، ففي بعض المراكز الرهبانية مثل دير ابتينو الروسي في

القرن التاسع عشر كان هناك نوع من "التتابع والتسليم" للمرشدين الروحيين.

🕮 وفي حالات أخرى، فإن المرشد يظهر تلقائيًا دون أي تفويض رسمي من الخارج. وكما يقول الأب " إلشانينوف" فإن المؤمنين يتعرفون عليهم هكذا كما هم {أي كمرشدين}.

🕮 وفي إطار الحياة المتواترة للجماعة المسيحية يصير واضحًا للشعب المؤمن ـ الذي هو الحارس الحقيقي للتقليد المقدس ـ أن هذا الشخص، أو ذاك، عنده موهبة الأبوة الروحية، أو الأمومة الروحية.

🕮 وعندئذٍ، فإن الآخرين ـ بطريقة حرة وغير رسمية ـ يبدأون أن يأتوا إليه أو إليها لطلب النصيحة والإرشاد.

🕮 ويلاحظ أن المبادرة لا تأتي ـ كقاعدة عامة ـ من المعلم، بل من التلاميذ. وستكون جسارة مهلكة أن يقول أحد في قلبه أو للآخرين، "تعالوا وسلّموا أنفسكم إلىَّ، فإني شيخ روحي، وأنا أملك نعمة الروح".

🕮 ولكن بالحري، فإن ما يحدث هو أنه ـ بدون أي ادعاءات من الشخص نفسه ـ فإن الآخرين يقتربون منه، ملتمسين نصيحته، أو طالبين أن يحيوا تحت رعايته بصفة دائمة.

🕮 ويُحتمل في البداية أن يبعدهم عنه، ويخبرهم أن يلجأوا لغيره.

🕮 ولكن فيما بعد تأتى اللحظة التي لا يعود فيها يبعدهم عنه، بل يقبل مجيئهم إليه، على أنه كشف لإرادة الله. وهكذا فإن أبناءه الروحيين هم الذين يجعلون الشيخ يكتشف موهبته.

🕮 شخصية الشيخ المرشد توضح المستويين المتداخلين اللتين توجد فيهما الكنيسة الأرضية، وتقوم بعملها.

📖 فيوجد أولاً المستوى الخارجي، الرسمي، الرئاسي بتنظيمه الجغرافي في تقسيمه إبرشيات ورعايا، ومراكزه الكبيرة في الكراسي القديمة {أورشليم، إنطاكية، روما، الإسكندرية، القسطنطينية، وهكذا}. وبواسطة الخلافة الرسولية للأساقفة.

📖 ويوجد من ناحية أخري المستوي الداخلي، الروحاني و"الكارزمي" {المواهبي} الذي ينتمي إليه الشيوخ المرشدون.

📖 وهنا في هذا المستوي الأخير فإن المراكز الرئيسية لا توجد في الكراسي الرئاسية، والمطرانيات، بل توجد غالبًا في عدة مواقع منزوية، التي تضيء من داخلها شخصيات قليلة امتلأت بالمواهب الروحية.

📖 فمعظم "الشيوخ" لم يكونوا يشغلون مراكز عالية في الرئاسات الرسمية للكنيسة، ومع ذلك فإن تأثير راهب بسيط مثل القديس سيرافيم ساروفسكي كان أكثر من تأثير أي بطريرك، أو أسقف أرثوذكسي، في القرن التاسع عشر.

📖 وبهذا الشكل، إذن، فإنه إلى جوار الخلافة الرسولية الأسقفية - يوجد أيضًا تتابع للقديسين، والشيوخ حاملي الروح.

بين الهروب والعودة

إعداد الشيخ المرشد الروحي

📖 رغم أن المرشدين الروحيين لا يرسمون لكي يقاموا في عملهم، لكن في الواقع الفعلي يوجد إعداد لهم. ويوجد نموذج لهذا الإعداد، فهناك حركة هروب، ثم بعدها هناك عودة، كما يمكن أن يلاحظ بوضوح في حياة القديس أنطونيوس الكبير، والقديس سيرافيم ساروفسكى، وهما مثلان يفصل بينهما ١٥ قرنًا.

📖 فحياة الأنبا أنطونيوس تتكون من نصفين، والخط الفاصل بينهما هو السنة الـ ٥٥ من عمره. فالسنوات منذ شبابه حتى سن ٥٥ كانت فترة

إعداد قضاها في عزلة عن العالم، وكان يزداد توغلاً أكثر فأكثر في البرية.

📖 ويقول كاتب سيرته إنه صرف ٢٠ سنة في قلعة مهجورة، ولم يكن يقابل أحدًا على الإطلاق. وعندما وصل إلى سن ٥٥، لم يطق أصدقاؤه صبرًا وكسروا مدخل صومعته.

📖 بعد ذلك خرج القديس أنطونيوس ـ وطوال الخمسين سنة الباقية من عمره لم يمنع الناس من المجيء إليه ـ دون أن يتخلى عن منهج حياة النسك، وصار بمثابة " طبيب مرسل من الله لمصر " بحسب تعبير القديس أثناسيوس كاتب سيرته.

📖 ويقول عنه أيضًا إنه " كان محبوبًا من الجميع، والجميع كانوا يرغبون أن يكون أبًا لهم " {حياة أنطونيوس ٨٧،٨١}.

📖 ويلاحظ هنا أن الانتقال من حالة المتوحد المعتزل إلى وضع الأب الروحي، لم يحدث بمبادرة من القديس أنطونيوس، بل حدث بفعل الآخرين. وينبغي أن نلاحظ أيضًا أن أنطونيوس كان راهبًا بسيطًا، ولم يرسم قط في أي درجة كهنوتية.

📖 والقديس سيرافيم ساروف في نفس الطريق. فبعد ١٦ سنة داخل مجمع الدير كمبتدئ وراهب وشماس وكاهن، ثم اعتزل لمدة ٢٠ سنة كمتوحد في الغابة، ثم عاد إلى الدير طاعة لأمر رئيس الدير حيث قضى ٣ سنوات كمتوحد في قلايته.

📖 وأثناء جزء صغير من هذه العشرين سنة كان يقابل من الزوار، ولكنه في معظم الوقت كان معتزلاً اعتزالاً كاملاً.

📖 وفي بداية توحده في الغابة صرف ١٠٠٠ نهار فوق جزع شجرة و١٠٠٠ ليلة فوق صخرة مكرسًا نفسه للصلاة بلا انقطاع، وفي السنوات الثلاث الأخيرة في الغابة لم يتحدث مع أي شخص.

📖 وخلال السنوات الثلاث التي قضاها متوحدًا في قلايته داخل الدير لم يذهب إلى الكنيسة حتى لكي يتناول من الأسرار المقدسة، بل كانوا يحضرون له الأسرار إلى باب قلايته.

📖 ثم في سنة ١٨١٣ عندما كان له ٥٣ من العمر أنهى عزلته مكرسًا العشرين سنة الأخيرة من حياته لخدمة "الإرشاد الروحي" وصار يقبل كل الذين يأتون إليه سواء من الرهبان، أو من المؤمنين الساكنين في العالم خارج الأديرة.

📖 هو لم يفعل شيئًا لكي يعلن عن نفسه، أو لكي يدعو الآخرين إليه، لكن الآخرين هم الذين بادروا بالاقتراب منه، وهم الذين جعلوه ينهي عزلته، فحينما كانوا يأتون بالمئات أو حتى بالألوف أحيانًا في يوم واحد لم يكن يصدهم، أو يرجعهم فارغين.

📖 وبدون هذا الإعداد النسكي المركّز.

📖 وبدون هذا الهروب الحاسم إلى العزلة.

📖 هل كان القديس أنطونيوس، أو القديس سيرافيم، قد استطاعا أن يقوما بإرشاد معاصريهما، أو يلهمانهم بنفس الدرجة.

📖 ليس إنهما اعتزلا عن قصد خاص واعٍ أن يصيرا معلمين ومرشدين للآخرين. فهما قد هربا، لا ليعدا أنفسهما لمثل هذا العمل، بل ببساطة بسبب رغبتهم المشتعلة أن يكونا على انفراد مع الله.

📖 وقد قبل الله حبهما، ولكنه فيما بعد أرسلهما ليعودا ويكونا أداة لشفاء العالم الذي قد هربا منه.

📖 وحتى لو انه لم يُرجعهما إلى العالم بالمرة، فإن هروبهما كان سيظل مع ذلك خلاقًا بدرجة فائقة، وذو فائدة عظيمة للمجتمع، لأن الرهبان والراهبات يساعدون العالم ليس بأي شيء يفعلوه، أو يقولوه بل أساسًا بواسطة كيانهم ذاته، أي بواسطة حالة الصلاة بلا انقطاع ـ التي هي بالنسبة للبعض منهم ـ قد صارت متطابقة مع عمق أعماق

كيانهم. فلو أن القديس أنطونيوس، أو القديس سيرافيم لم يفعلا شيئًا سوى الصلاة في العزلة، لكانا قد خدما الآخرين إلى أقصى درجة.

📖 ولكن الله هو الذي حوّل الأمور حتى يقوما أيضًا بخدمة الآخرين بطريقة مباشرة أكثر. ولكن هذه الخدمة المباشرة والمنظورة لم تكن هي هدفهما الأصلي، بل قد كانت نتيجة جانبية لم يقصداها، ولم تطرأ على خيالهما أصلاً، بل هي نتيجة خارجية لخدمتهما الداخلية غير المنظورة، التي كانا يقدمانها من قبل بواسطة الصلاة.

📖 يقول القديس سيرافيم: "اقتنِ روح مملوءة بالسلام والهدوء، وعندئذٍ فألوف حولك سوف يخلصون". هذا هو نموذج الأبوة، أو الأمومة الروحية.

📖 أسس نفسك في الله، وعندئذٍ يمكنك أن تأتى بآخرين إلى حضرته.

📖 ينبغي لكل واحد أن يتعلّم أن يكون على انفراد، وهكذا في سكون القلب، سوف يبدأون أن يسمعوا حديث الروح الذي بدون كلمات، وهكذا يكتشفون حقيقة أنفسهم وحقيقة الله. وعندئذٍ تصير كلمتهم للآخرين كلمة ذات سلطان، لأنها كلمة خارجة من سكون.

📖 وإذ يتشكل الشيخ الروحي بهذه الطريقة بلقائه مع الله في العزلة، فإنه يستطيع أن يشفى بحضوره بالذات.

📖 فهو يرشد الآخرين ويشكلّهم، ليس أساسًا بالنصائح بل برفقته، بواسطة مثاله الحي الخاص الذي يقدمه.

📖 فهو يعلّم بصمته كما يعلّم بكلامه

📖 يعلّم بمجرد حضوره كما يعلّم بكلمة المشورة التي ينطق بها.

📖 هذا ما جعل الأنبا بموا لا يرى سببًا أن يقول أي كلام لرئيس أساقفة الإسكندرية ثاؤفيلس، وكما قال الشيخ: "إن لم ينتفع بصمتي، فهو لن ينتفع بواسطة كلماتي".

📖 وهناك قصة لها الطابع ذاته، قيلت عن الأنبا أنطونيوس "اعتاد ثلاثة من الآباء أن يذهبوا كل سنة إلى المغبوط أنطونيوس، فكان إثنان منهم يسألانه عن الأفكار وخلاص النفس، أما الثالث فكان يصمت ولا يقول شيئًا.

📖 وبعد فترة طويلة قال له الأب أنطونيوس: لك زمان تزورني دون أن تسألني شيئًا. أجاب ذلك الأب: يكفيني أن أراك يا أبتى".

📖 ولكن رحلة الشيخ المرشد الحقيقية، مع ذلك، ليست رحلة خلال المكان إلى داخل البرية، بل هي رحلة روحية إلى داخل القلب.

📖 فالعزلة الخارجية، رغم قيمتها الكبيرة، ليست مما لا يمكن الاستغناء عنه، ويمكن لشخص ما ان يتعلم الوقوف على انفراد أمام الله بينما هو يزاول حياة خدمة عاملة وسط المجتمع.

📖 وقصة الطبيب السكندري المساوي للأنبا أنطونيوس، والذي كان يرتل تسبحة الثلاثة تقديسات طوال النهار مع الملائكة، توضح لنا أن الحياة الصوفية و"الملائكية" ممكنة في المدينة مثلما في البرية.

📖 الصلاة بلا انقطاع ليست وقفًا على المتوحد المعتزل، فإن هناك أناسًا مثل الطبيب السكندري قد ساروا في الرحلة الداخلية دون ان يقطعوا ارتباطاتهم الخارجية مع المجتمع.

📖 هذا النمط من الهروب والعودة، لا ينبغي إذن، أن يُفهم بطريقة حرفية قاطعة بشكل تام. هاتان المرحلتان أي الهروب، والعودة لا يلزم بالضرورة أن يتم التعبير عنهما بصيغ خارجية ومكانية.

📖 وأيضًا لا ينبغي أن يتم التمييز الحاد بينهما في تتابع زمني.

📖 فلنأخذ مثلاً، حالة معاصر القديس سيرافيم الأصغر منه، أي القديس أغناطيوس بريانتشانينوف.

📖 فهذا عمل أولاً ضابطًا بالجيش، وبعد ذلك انسحب هاربًا وترهب في دير، ولكنه بعد أربع سنوات فقط في الرهبنة عين وهو في سن

٢٦ سنة مسئولاً عن دير كبير بالقرب من بطرسبرج. وبعد ٢٤ سنة كرئيس للدير، رسم أسقفًا. ثم بعد ٤ سنوات استقال ليقضى السنوات الست الباقية من حياته كمتوحد.

🕮 وهكذا ففي حالة القديس أغناطيوس هناك فترة طويلة من العمل الرعوي والأبوة الروحية سبقت فترة اعتزاله للتوحد.

🕮 ولابد أنه حينما صار رئيسًا للدير في البداية ـ بالتأكيد قد شعر بعدم استعداده. وكان يمارس دخوله إلى داخل القلب بطريقة سرية طوال السنوات التي كان يدبر الدير ويرعى الأبرشية، ولكن هذا الدخول إلى القلب لم يجد تعبيرًا خارجيًا، إلاّ قرب نهاية حياته.

🕮 وحالة القديس أغناطيوس يمكن أن تكون مثالاً لكثيرين منا في العصر الحاضر، حتى رغم أننا ندرك أننا ناقصون جدًا عن المستوى الروحي الذي وصل إليه.

🕮 فتحت ضغط الظروف الخارجية ـ وربما بدون أن نتحقق بوضوح ما هو الذي يحدث لنا ـ فإننا نباشر مسئوليات التعليم، والكرازة، والإرشاد الرعوي، بينما نحن لا نملك أية معرفة عميقة بالبرية، وسكونها الخلاق. ولكن عن طريق تعليم الآخرين ـ فربما نحن أنفسنا نبدأ أن نتعلم.

🕮 وشيئًا فشيئًا نكتشف أننا عاجزون عن شفاء جروح البشر بواسطة البرامج الخيرية، وبالمعرفة البديهية والتحليل النفسي. وعندئذٍ يتحطم اعتمادنا على الذات، ونعرف نقص كفايتنا، وهكذا نبدأ أن نفهم معنى ما قصده المسيح بقوله "ولكن الحاجة إلى واحد" {لو١٠:٤٢}.

🕮 وهذه هي اللحظة التي يبدأ فيها الشخص ـ برحمة من الله ـ أن يتقدم في مسار "المرشد الروحي". فربما بواسطة اختبارنا الرعوي، ومن خلال تألمنا لأجل آلام الآخرين، تقودنا رحمة الله للسير في الرحلة

إلى الداخل، وأن نطلب كنز الملكوت المخفي الذي فيه وحده، يمكن أن يوجد الحل الحقيقي لمشاكل العالم.

📖 لا شك أن القليلين منا، بل ربما ولا واحد منا يجرؤ أن يفكر في نفسه "كمرشد روحي" بالمعنى الكامل، ولكن إن كنا نسعى ـ بإخلاص وتواضع ـ أن ندخل إلى "الغرفة السرية" لقلبنا، فيمكننا جميعًا أن نشترك إلى حد ما في نعمة الأبوة، أو الأمومة الروحية.

📖 وربما لن نعيش حياة راهب متوحد ـ فهذا غالبًا يعتمد على ظروف خارج حدود سيطرتنا ـ ولكن الأمر الذي له الأهمية هو: أن كل واحد منا ينبغي أن يدرك أنه محتاج أن يكون "متوحدًا في داخل القلب".

المرشد الروحي في المسيحية الأرثوذكسية ـ كاليستوس وير ـ د. نصحى ـ طبعة ٢٠٠٥

{١٣}

القديس مار أوغريس

لا يجب أن تدين معلمك

📖 إذا سمعت كلمة تعليم من معلمك، فلا تكون قاضيا في أعماله، بل افحص كلامه، لأن هذه هي عادة الأفكار المظلمة، أن تطلعك على نقائص معلمك، حتى يقنعوك بأن تدينه بمجرد رؤياه، وبهذا يبعدونك عن تعليم الحياة.

📖 لا تزهد التعليم ولو كنت زائدا في المعرفة، فالواجب تعادلهما مع بعضهما بخوف الدينونة، لأن الذي يسد أذنيه عن سماع وصية أبيه، فهو أيضاً غير مطيع لوصية الناموس.

📖 ولا تتكلم فقط في فضائل أبهاتك بفرح، بل أيضاً أيقظ ذاتك نحو أفعالهم، والذي يطلب بتعب تقويم أفكاره، فهو حكيم في مقاومة العدو، أما الذي يبعد عقله عن تذكار الله، فهو يخطئ بغير تمييز، بالحواس الخارجية، ولا يقدر أن يمسك لسانه، ولا كلامه.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ٣١

🕮 هناك أناس يصادقون الخائفين من الله لأجل الشهرة، وليس من أجل الاهتمام بالنفس، فيزينون ذواتهم بهذه الصداقة، بغير أتعاب وجهاد في الحياة الروحية.

🕮 أما الذي يكون قلبه محترقا بالمحبة من أجل السمائيات، فهو يطهر نفسه من كل المجد الباطل على الأرض.

🕮 فلا نفتخر بمصادقة الآباء الصالحين، بل نتمسك بسعيهم، وسلوكهم في طريقهم الروحي، فالحاسية التي تيقظك لا تغفل عنها، وتسمع فكر الأشرار الذين يحسنون لك الخطية.

🕮 ألا تمدح لسانا يكون سريعا في الكلام، بل الشفاه التي تتحرك بهدوء عميق، وإذا سمعت كلمة فميزها بعقلك، فإن أفرزتها عرفت كمالها.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ٣٤

🕮 الذي يأتي مستجدا إلى مجمع الرهبان البهي، يلقي عنه الأفكار التي تحيره بتذكار الكرامة التي له من جنسه.

🕮 ولا يطلب مجدا من قبل الناس، بل يكون مدحه من قبل الوصايا.

🕮 ولا يخاف من الشياطين الذين يضعفونه بالرجف لأنه قيل: " إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف" {رو ٨: ١٠}.

🕮 يهيئ الشيطان بغضة تجاه الأبوة الروحية – للمستجدين - قليلا قليلا وكأن الأب الروحي ينتهرهم بغير وجه حق في ذلك، حتى يقلقهم في أشياء كثيرة فيتمكن أن يخرجهم من حضن آبائهم.

🕮 الذي تحت الطاعة في كل زمان لا يقلق من الشتائم، بل يكون حكيما، طويل الروح، ومتزين بالاتضاع، ولا يقبل فكر قمقمة مضادة لأبيه الروحي، ولا أعمالا تعييه، ولا قساوة قلب على الإخوة.

🕮 الشيطان يطرح أفكارا على الرهبان هكذا أن نير الرهبنة عبودية، وليس حرية، لكي يجعلوه طاغيا من بعد أن كان في الطاعة صالحا، وبالجملة يجلبون عليه كل رباطات السجس لكى عندما يسلموه للقلق

يلقون فيه البغضة لسعي الرهبنة، ويعروه من حب الإخوة، والأتعاب الصالحة.

كتاب تعاليم مار أوغريس - صفحة ٣٦ ـ ٣٧



فيما يجب على المعلم
أن يمارسه للمبتدئين في الرهبنة

🕮 مدبر السفينة الغير حكيم يغرق المركب.

🕮 والرئيس الذي ليس فيه حكمة يهلك تلاميذه.

🕮 الراعي الغير خبير يكسر سيقان غنمه.

🕮 الرئيس العادم الحكمة يعوج طرق تلاميذه.

🕮 والراعي وقت الضباب لا يقدر أن يجمع غنمه.

🕮 والرئيس الذي بلا حكمة في ضباب التجارب، لا يعرف أن يعطي تدبير، ليجمع شمل تلاميذه.

🕮 أما الرئيس الحكيم فهو كقائد جيش الحرب، وكطبيب الآلام معا، فلا يترك أحدا من تلاميذه بأن يجرح بسهم العدو، وإن عرض له من ذلك وانجرح، فهو سريعا يشفيه.

🕮 ولكن إن كان تلميذا غير مطيع، فهو كمثل خشبة معوجة، لا تتقوم بكلام التبكيت. أخ غير مطيع فهو كمثل جزء من القيثارة الرديئة الصوت ويحبط البقية. كمثل نحل وكري يأكل عمل النحل.

🕮 والأخ المنحل الذي يحبط عمل الإخوة، كمثل رجل جبان يخاف من القتال، ويرخي ضمير المجاهدين، فهو كذلك يعيق الإخوة.

🕮 خلية النحل تظفر بقرص الشهد، هكذا اتفاق، ومحبة الإخوة، تظفر بالملكوت. البوق ينبه ضمير المحاربين، وتعليم السيرة، والتدبير، ينبه ضمير التلاميذ. فثبت تلاميذك في كل وقت بكلام التعليم.

🕮 وبحسن تدبير سيرتك. وشجعهم بالرجاء والمحبة.

🕮 وألبسهم خوذة الإيمان المستقيم. والاتكال على الله وحده.

📖 وحاذ أرجلهم باستعداد الإنجيل. ومنطق حقويهم بكلام العفة.
📖 وضع في أيديهم سيف الحرب، مقابل آلام الشهوة.
📖 واعرف إن كانوا مستعدين لهذه الحرب.
📖 وأريهم مخافة الدينونة الرهيبة المزمعة أن تكون.
📖 والذين تجدهم غالبين امدحهم، لأن المديح شيء عظيم، ينشطهم ولا يدعهم يتغلبون، بل دائما منتصرون.

📖 إن انغلب أحدهم اشفه بلا حنق، فلا يليق أن تثير غضبك عند زلة أخ، لئلا قبل أن تشفي أخرين، تمرض أنت نفسك.
📖 فيجب عليك أن تعطه دواء الشفاء بطول روح وتأن، مثل الطبيب الحكيم، ليس بغضب يشفي المسقومين. فكن مثل موسى مع الذين خرجوا من مصر إلى طريق البرية. علمهم الصبر في ضيقتهم.
📖 وإذا بدأوا في المسيرة، أوصلهم إلى اليم ثم أريهم السبعين نخلة، وقدمهم إلى الاثني عشر عينا، وبعد ذلك سيرهم ليبلغوا أرض الميعاد، وهناك يبقون بلا ألم، ويأخذون أجر أعمالهم الحياة الأبدية، من مخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد مع أبيه الصالح وروح قدسه إلى الأبد آمين.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ١٦٠ ـ ١٦١

{١٤}

القديس مار إفرام

📖 قد وعظنا تادرس المتورع كثيراً بعظاتٍ كثيرة، ألا يبتعد عن موضعه، وما أمكننا أن نقنعه، بل قال أنا: إن أردت أن تعينني، وتخلص بعد الله نفسي فأرسلني إلى ديرك.
📖 فأجبته: يا هذا إن اهتمام الدير قد فوضته إلى يوحنا الأخ، وبدون رأيه لا يمكنني أن آمر أحداً بسكناه، فقد فعلت فعلاً حسناً إذ قبلت

الأخ السالف ذكره، لأنه حين عاد إلينا أخبرنا عن أي تعطف أوضحته له.

📖 لأن مثل هؤلاء الذين أحبوا الرب، ينبغي أن يكونوا عندك مكرمين، أكثر من الأب والأم والإخوة والأخوات والمرأة والأولاد والأنسباء والأصدقاء.

📖 فلقد صنعت حسناً لأنك خصصت نفسك للأعمال الحسنة، ولا سيما إذ صرت قدوة للإخوة الساكنين معك، مثل الأمر الذي اتضح في المسيح حين صنعه، إذ رفع تلاميذه إلى سمو التواضع.

📖 فقال: إنما أعطيتكم نموذجاً لتعملوا أنتم نظيره، وذلك لكي الذين لا يقنعهم القول، يقنعهم الفعل. وبولس الرسول يعظ قائلاً: "صيروا متشبهين بي، كما تشبهت أنا بالمسيح".

📖 فلا تتهاونوا أنتم بالخدمة الروحانية، ولا تكونوا بحجة الأمور الجسدانية متوانين في صلواتكم، لأن أقوال الرب إذا درست ورُتلت دائماً تغذى النفس، وتحفظها، وتوقى الجسد، وتؤدبهُ، وتطرد الشياطين وترهبهم، وتجعل في النفس سكوناً عظيماً.

📖 أما عن الذين ابتدأوا بأفعال تفوق طاقتهم، فقد سقطوا في تجارب لا نَهاية لها، فحسب أقوال بولس الرسول: "لا يرتأى الإنسان فوق ما لا ينبغي أن يرتأى، بل يرتأى إلى التعقل". واسمع من الحكيم الذي قال: "لا تصير صدِّيقاً كبيراً، ولا تحاكم حكماً زائداً لئلا تُدهش".

📖 لأنه أتفق في هذه الأيام أن قوماً من الإخوة تركوا قلاليهم، ومضوا إلى الأرض القفرة التي لا ماء فيها، ولا تمر لها، فزجوا ذواتِهم فيها، بعد أن وُعِظوا عظات كثيرة من الآباء والإخوة، ولم يذعنوا لرأيهم قائلين: "نحنُ نمضي لنكون سواحاً".

📖 فلما وصلوا إلى البرية القاحلة جداً، وعاينوا أن الأرض التي لا تُسلك قد اكتنفت ذواتِهم، صاروا يستصعبون الأمر جداً، ثم حاولوا

أن يعودوا إلى الأرض المسكونة فلم يقدروا أن يُخرجوا ذواتِهم من البرية الصعبة، لأنَهم لم يوصلوا إليها بسهولة.

🕮 فأشتد عليهم الجوع، والعطش، والحر، وجلسوا مكتئبين، وظامئ النفس. ثم بتدبير من العناية الإلهية صادفهم قوم، وهم قد قاربت أنفسهم أن تنتزع منهم، فوضعوهم على دوابِهم وحملوهم إلى المواضع المسكونة.

🕮 ومجموعة منهم ماتوا، وأكل أجسادهم الطير والوحوش.

🕮 والذين نجوا لبثوا مرضى مدة طويلة، فعند ذلك عرفوا بالخبرة، ألا يعملوا شيئاً بغير مشورة. وكثيرين إذ كان فيهم فكر العظمة، وذهبوا إلى أرض لا ثمر فيها، ولا ماء، فسببوا لأنفسهم موتاً محققاً.

🕮 وآخرون إذ لم يريدوا أن يطيعوا، ولم يحتملوا أن يخدموا إخوتِهم، سقطوا في هذا الأمر نفسه.

🕮 وآخرون إذ لم يرتضوا أن يعملوا بأيديهم فسدوا.

🕮 وكذلك آخرون هُزئ بِهم من فكر الاعتداد بالذات، والتشامخ بالسبح الباطل، فتصيدوا المديح من السامعين: "أنَهم قد صاروا سواحاً"، وإذ لم يفكروا في الأتعاب التي تصادفهم، ألقوا أنفسهم في هذه المعاطب نفسها.

🕮 فلا ينبغي الآن أيها الحبيب أن ننقاد لأفكارنا بلا تمييز، لأننا نحتاج كثيراً أن كل واحد منا يعرف مقداره، ويتواضع لقريبه بمحبة الله.

🕮 وإن شعر أحد أنه قد قوَّم الفضيلة، ومسك الآلام، وتملَك على الشهوات، فلا يثق هكذا برأيه، لئلا يقال عنه الفصل المكتوب: "أن الملك الجسور يسقط في المساوئ، وملاك الرب ينجيه".

🕮 لكن ربما يغتر أحد فيقول: "وكيف نجد قوماً من الآباء قد قوموا هذه الفضيلة؟" فقد احتجنا أن نظهر لكم هذه الشهادة من أخبار سير الآباء القديسين، ونوضح أن الآباء القديسين ما عملوا شيئاً عبثاً، ولا

جزافاً، لأنه قد حكي عن مكاريوس الراهب أنه قال:
📖 "بينما أنا كنت جالساً في قلايتي بالإسقيط آذتني الأفكار قائلة: أمضي إلى داخل البرية، وافهم ماذا تعاين هناك.
📖 فلبثَ محارباً للفكر خمسة سنوات، خائفاً أن يكون هذا الفكر من الشيطان. فأبصِر فهم الرجل أنه لم ينقاد للفكر، ولا عمل به، بل لبث يميزه صائماً ساهراً مصلياً، ليعرف أن كان من الشيطان أم لا".

📖 فنحنُ إذا جاء إلينا الفكر ونحن ثابتون، فننفرد وننعزل ولسنا نميزه، مصلين بتوجع قلب، بل ولا إذا وعِظنا من أخرين نقتنع ونخضع لرأيهم، فلذلك يسبينا المعاند بسهولة".
📖 ثم لما ثبت الفكر ودام، خرج إلى البرية فصادف هناك بحيرة مياه، وجزيرة في وسطها، فإذ بأنعام البرية قد جاءت تشرب منها، ورأى في وسطهم رجلين مجردين. فبعد أن سلما على بعضهما بعضاً. قال لهما مكاريوس: كيف يمكنني أن أصير راهباً.
📖 فقال له: إن لم يزهد أحد في الأشياء التي للعالم كلها، مبتعداً عنها، فلا يستطيع أن يكون راهباً.
📖 فقال لهما: أنا ضعيف، ولا أستطيع أن أكون مثلكما.
📖 فقال له: إن لم يمكنك أن تصير مثلنا، فأجلس في قلايتك، وأبكِ على خطاياك. يا لجسامة تواضع الإنسان الإلهي، ويا لسمو فهم النفس المتورعة، من قد أوضح مقدار تلك النصرات الممدوحة، ومثل عِظم جسامتها؛ فلم يوضح من ذاته أنه مستحق للأمر لكن قال لهما: "أنا ضعيف، ولا أستطيع أن أكون مثلكما".
📖 فنحن لا اضطهاد قام علينا، ولا اضطهدنا أحد، ومع ذلك نسلك بسيرتنا بالتهجم، والاعتداد بالذات؛ ونبتدئ بأفعال تفوق حدودنا كمجربين الرب الإله، الأمر الذي هو مُرهَب جداً.

📖 الويل للإنسان المتوكل على قوته، ونسكه، أو على ذكائه، ولا يكون

اتكاله على اللــه، لأن منه وحده العزة والقوة.

📖 وإن أطلعنا على سيرة أنطونيوس الراهب، نجده صـانعاً كـل أفعالـه من استعلان إلهي. ألم يجلس في دير؟ أو ما احتاج ملابس؟

📖 أو ما أكل خبزاً؟ أو ما عمل بيديه؟

📖 أو ما أقتنى تلاميذ؟ أما كفنوه مائتاً ودفنوه؟

📖 أو هل استعمل المغبوط أنطونيوس وحده هذه السيرة؟

📖 بل وباقي الآبـاء الـذين أكمـل اللـــه بِهـم آيـات وأشـفيه، لأنَهـم كـانوا كالمصابيح البهية مشهورين بالفضائل.

📖 فلنسـر نحـن يـا أحبـائي سـيرتَهم، ومـذهبهم، ونسـلك فــي الطريقـة الملوكية، غير جانحين إلى يمينها، ولا إلى يسارها.

📖 فلنثابر على السكوت، الصوم، السهر، الصـلاة، الـدموع، الصـلوات الجامعة، عمل اليد، مخاطبة الآباء القديسين، إطاعـة الحـق، استماع الكتب الإلهية لكيلا يصير فكرنا بوراً عاشباً بالآلام.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة الأولي في الصبر والحذر ـ صفحة ٣ ـ ٥

📖 **{٢٣}** أيها الحبيب إذا جلست في طاعة أب روحــاني، لا تضـع لـك حداً فتقول، ما يمكننــي إن أعمـل هـذا أو ذاك، فإنـك إن لـم تعمـل مـا تفلت من مداينة المعصية.

📖 فمنذ الآن تحتاج بتدبير إن تصون نفسك، فإن هذه الأفكار مـا تثبـت في النفس، فإن عرض إن تـؤمر بمـا يفـوق القـوة فـلا تقـاوم بغضـب ترتيب الرئيس، بل بتواضع وتوسل وصوت منخفض تُعرف الـرئيس بالأمر الذي يفوق قوتك، ولنقاوم الخطية إلى الدم.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ٢٣٨

📖 **{٥٦}** أخ آخر يعطيه الخبيث نشاطاً في النسك وتقشـف، سيرة فـي نِهاية الصعوبة، وبعد زمن يسير يبدأ يأتي له بأن الـزمن طويـل، وأن هناك تعب، وهو لا يستطيع إن يصبر إلى النهاية في هذه الصـعوبة،

ربما يعرض منه أخيراً مرض الجسد.

🕮 فإن كانت نفس الأخ ظامئة للخلاص، لا يثق بنفسه في تمييز الأفكار الخادعة، بل يذعن لوعظ ومشورة الناس المجربين، والمتقين الرب، فيصد عنه انتصاب الأفكار.

🕮 وإن لم يكن هذا يستعمل الفضيلة يجني فيه الآلام، ويرتبط بالنسك، غير مؤثر إن يكون مع الإخوة، ناظرا نفسه في الموضع لكيما يستعمل الشهوة كما يشاء.

🕮 لكن مثل هؤلاء يخزون في السقوط، لأنَهم إنما نسكوا الفضيلة لاسترضاء الناس، ولأن أساسهم لم يكن مبني على الصخرة بل على الرمل، فلذلك حين جاء المطر منحدراً والأنْهار، وهبت الرياح وفسخته بالأفكار سقط.

🕮 لأنَهم حين ظنوا أنَهم اقتنوا الفضيلة، حصلوا متشامخين بكبرياء جزيل، وحين سقطوا دفعوا ذاتَهم إلى اليأس، الذي ما يجب الجنوح إليه، لأنه قد كتب قال الرب: "هل من سقط لا ينهض".

🕮 و"لست أشاء موت الخاطئ، كما أشاء إن يعود فأحييه".

🕮 أما السائر بما يشاء الله، إن قوم الفضيلة فما يتشامخ، وما يترفع مكرر التفكر في عظمة الرب، وأنه واضع ذاته وصار طائعاً إلى الموت موت الصليب. بل ويندهل من اتقاء الموت، كما يعلم القائل: "أحسب ذاتي تراباً ورماداً".

🕮 فالفضيلة تضاهي برفير المملكة، لا يمكن إن ينسج فيه شيء من الأنواع الغريبة، فالذي يريد إن يتنسك كما يشاء الله، لا يفضي إلى سقطة صعبة، وإن تحرك إلى هفوة بما أنه إنسان.

🕮 لكن الله إذ قد عرف عدم {ميلان} قلبه للشر، يثبت نفسه ويعضدها بعظات عبيده، أما من يُوعَظ فيجاوب، يضاهي فرساً صعباً، لا يرهب العنان إلى إن يكردس راكبه، لأن القاسي القلب يسقط في

المساوئ.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ٢٤٧ ـ ٢٤٨



{١٥}

القديس باسيليوس الكبير

هل يجب أن نطيع الناس في جميع ما يأمروننا به؟

📖 **سئل:** إن ربنا قال: "مَن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين" {مت ٥: ٤١}. وبولس الرسول علّمنا أن نخضع بعضنا لبعض بخوف المسيح، فهل يجب أن نطيع الناس في جميع ما يأمروننا به؟

📖 **فأجاب:** أما أوامر الناس ـ وإن كانت كثيرة ومختلفة ـ فليس لأحد أن يخالف أمراً فيه منفعة. وموسى لم يخالف صهره، فيما أشار به عليه من الخير {خر ١٨: ٢٤}. ولما كان من وصايا الناس ما يضاد وصايا الله، ومنها ما يفسدها، إذ تخلط بأشياء رديئة.

📖 ومنها ما يوافق وصايا الله، ومنها ما يوافق في الظاهر.

📖 فلذلك يجب أن نتذكر قول بولس الرسول: "لا تُطفئوا الروح، لا تحتقروا النُّبوَّات، امتحنوا كل شيءٍ، تمسَّكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شرٍّ" {١تس ٥: ١٩ ـ ٢٢}.

📖 وأيضاً: "هادمين ظنوناً، وكل عُلْو يرتفع ضد معرفة الله، ومُسْتأسِرينَ كل فكر إلى طاعة المسيح" {٢كو ١٠: ٥}

📖 فإذاً إن أمرنا إنسان بشيء يضاد وصية الله، أو يفسدها، أو يجعل فيها عيباً، حينئذ نقول نحن أيضاً أنه: "ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس" {أع ٥: ٢٩}.

📖 ونتذكر قول ربنا، إن الخراف لا تتبع الغريب: "وأما الغريب فلا تتبعهُ بل تهرب منهُ، لأنها لا تعرف صوت الغُرباء" {يو ١٠: ٥}.

📖 وننظر إلى الرسول الذي جسر من أجل بنياننا، على أن جعل كلامه يبلغ إلى الملائكة إذ قال: "ولكن إن بشرناكُم نحن، أو ملاكٌ من السماء بغير ما بشرناكُم، فليكن أناثيما!" {غل ١: ٨}.

📖 وإن أمرنا إنسان بما يوافق وصية الله، أو يعين على عملها فلنوافقه.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٥٠ ـ ٢٥١

الطاعة

كيف تكون؟
وما هي حدودها؟

📖 **سئل:** كيف ينبغي أن يطيع بعضنا بعضاً؟

📖 **فأجاب:** قد علمنا الرسول هذا إذ وضع لنا طاعة المسيح الذي صار طائعاً إلى الموت موت الصليب {في ٢: ٨}.

📖 وقال: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً" {في ٢: ٥}. وفي موضع آخر قال: "تعبدوا بعضكم لبعض بمحبة الروح".

📖 وكما قال ربنا: "إذا أراد أحدٌ أن يكون أوّلاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل" {مر ٩: ٣٥}. وقال عن نفسه: "لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم" {مر ١٠: ٤٥}.

📖 **سئل:** عن الذي يزيد في عمل الخير عما يؤمر به.

📖 **فأجاب:** هذا إنما يرضي ذاته، ولا يطيع الرسول القائل: "فليُرض كل واحدٍ منَّا قريبه للخير، لأجل البُنيان" {رو ١٥: ٢}.

📖 وقال: "لأن المسيح أيضاً لم يُرض نفسهُ" {رو ١٥: ٣}.

📖 فالذي يرضي ذاته وحده غير خاضع.

📖 **سئل:** هل ينبغي للإنسان أن يطلب غير العمل الذي سلم له؟

🕮 **فأجاب:** قد قلنا إن حد الطاعة هو أن يطيع الإنسان إلى الموت.

🕮 فمَن رفض عملاً رسم له وطلب غيره فهو يحل الطاعة ويفسدها، وهو لم يرفض ذاته بعد، بل يطلب هواها.

🕮 وهو يصير سبباً لأن يتعلم منه غيره المضادة.

🕮 وهو يعتاد مقاومة الوصايا.

🕮 ولأن الإنسان لا يعرف ما هو الأصلح له، فقد يختار هذا له الشيء الذي يضره وهو يظن إنه ينتفع به. كما أنه يجعل الإخوة يشكون فيه. وبالجملة فقلة الطاعة هي أصل شرور عظيمة، فإن كان يظن أن له عذراً قاطعاً فليذكره للرؤساء، ويتركهم يختبرون الأمر ويدبرونه كما يرون.

🕮 **سئل:** إذا أُمر أخ بعمل وجاوب قائلاً {ما أعمله}، وعندما يمضي إلى قلايته يريد أن يعمله، فهل يعمله أم لا؟

🕮 **فأجاب:** إذا ما جاوب فقد علَّم أخرين أن يجاوبوا، وقد صار أيضاً تحت خطر الذين كُتب عنهم في الأمثال: "الشرِّير إنما يطلب التمرُّد، فيُطلق عليه رسولٌ قاس" {أم ١٧: ١١}.

🕮 وليعلم أنه قد جاوب الرب القائل: "الذي يسمعُ منكم يسمع منِّي، والذي يُرذلكم يُرذلُني" {لو ١٠: ١٦}.

🕮 وإذا ما نغزه {أي نخسه} قلبه، وحزن على قلة الطاعة والمجاوبة فليعمل ما رُسم له.

🕮 **سئل:** فإن أطاع واحد في عمل، وبعد ذلك يتقمقم؟

🕮 **فأجاب:** هذا غريب عن وحدانية الإخوة، وقد قال الرسول: "افعلوا كل شيءٍ بلا دَمدَمةٍ ولا مُجادلةٍ" {في ٢: ١٤}.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٧١ ـ ٢٧٣

في الطاعة

من أجل أنه ينبغي للناسك أن يتقدم بفكر ثابت إلى الطاعة الكاملة.

🕮 ينبغي قبل كل شيء للذي يتقدم إلى هذه الفضيلة، أن يكون له فكر ثابت غير متزعزع ليكمل ما حكم به، لئلا يقدر روح الضلالة أن يعمل فيه، ولئلا يرجع إلى الخلف.

🕮 وأن يظهر صبر الشهداء. ويلصق نفسه بوصايا الله.

🕮 ويكمل الطاعة للرؤساء عليه، وهذا هو رأس هذه الفضيلة.

🕮 لأنه إذا كان الذي قد دفع ذاته لتعلم واحدة من هذه الصنائع الحقيرة، التي إنما تنفعنا زماناً يسيراً في حياة هذا العالم الحقير، يسمع من معلمه في كل شيء، ولا يجاوبه {يجادله}، ولا يفترق منه.

🕮 فكيف لا ينبغي للذين يتقدمون لتعلم العبادة، أن يظهروا كل طاعة لرئيسهم؟!

🕮 مقتنعين نفوسهم أنهم إنما يستطيعون أن يتعلموا منه التعليم الذي تقدموا إليه، بسماعهم منه، وطاعتهم له من غير مجاوبة، ومن غير أن يطلبوا أن يعرفوا سبب أمره لهم، بما يأمرهم به.

🕮 بل الذي يجب لهم هو هذا وحده، وهو أن يفحصوا عما يجب لخلاصهم.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثالث - صفحة ١٧١

وصايا للآباء والأبناء

وصية للأبناء على طاعة آبائهم الروحانيين، وللآباء على الاجتهاد في تثقيف سيرة أبنائهم

🕮 **واجب الرئيس، أو الأب المعلم:**

🕮 هذا قلناه للإخوة. والذي نقوله للرئيس عليهم هو أنه، ولا إذا لحق أحد أصابع اليد مرض صعب، ينبغي أن يقطع.

🕮 بل أولاً: يخشى أن يزداد الألم عند قطعه.

📖 وثانياً: إن احتمال آلامه، أفضل من أن تعدم اليد بكاملها ورتبتها.
📖 فليس يجوز للرئيس أن يعلم الذين تحت يده تعليماً رديئاً، لئلا يحتجوا به، ويفترق بعضهم عن بعض وعنه.
📖 ولكن فلنتأمل ما الذي يصنعه الآباء مع بنيهم الطبيعيين.
📖 وما الذي يصنعه المعلمون الجسدانيون، بالذين تحت أيديهم.
📖 ونحن نرى أن كل واحد من الآباء يؤثر بطبعه أن يكون أولاده صالحين، حكماء، محتشمين، متواضعين، لأن كرامة الأبناء تلحق الآباء. وكذلك المعلمون يريدون أن يكون المتعلمين تحت أيديهم جيدي الأعمال فاضليها.

📖 كالذين يعلمون جهاد الحرب: فإنهم يجتهدون في أن يكون المتعلمون أقوياء، عارفين بصناعة القتال جيداً، لكي بهذين الأمرين يغلبون معانديهم.
📖 وبفضل أعمال المتعلمين وبغلبتهم يتمجد المعلمون، لأن هذا لاحق بكمال قصدهم. وعلى هذا الحكم يجب بالأكثر للرئيس ـ الذي هو الأب الروحاني، والمعلم للأمور التي لله تعالى ـ أن يكون قصده وطلبته أن يكون الذين هم تحت يده ودعاء لا شر فيهم.
📖 حكماء بالحكمة الروحانية. حسنى الجهاد في العبادة.
📖 أقوياء ثابتين، غالبين لمعانديهم الروحانيين.
📖 وذلك ليستحق من المسيح أكاليل المجد، إذ جعل عبيده ـ باهتمامه الحسن ـ مقتربين منه، محبين له، عاملين حسب إرادته.
📖 وليستحق منهم غاية الإكرام، إذ قد صيرهم بتعليمه إخوة الرب، لأن الرب بتفضله الواسع قال "لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي، وأختي، وأمي" {مت ١٢: ٥٠}.

📖 فأما إن كان الذين تحت يده غير مستقيمين في عبادة اللَّه، لأجل أنه يدبرهم ردياً. أو لأنه ما يدبرهم جيداً، أو يتوانى في تدبيرهم جيداً؛ فسيخزى خزياً أبدياً في يوم دينونة الخليقة.

📖 إذ يدخل المستحقون الحياة إلى فرح سيدهم، ويقيم غير المستحقين في العذاب؛ وتكون الملائكة والناس جميعاً ناظرين.

📖 وهذا يكون في الدهر المنتظر، وأما في هذا الزمان الحاضر: فإذا كان المتعلمون أردياء، قاوموا المعلمين، وكانوا مثل الهوام المسمومة التي تلقى سمها أولاً على والدتها ومربيتها. فينبغي للمعلم أن يجتهد بكل نوع، ويصلي أيضاً، رغبة في أن يكون المتعلمون أبراراً.

📖 واجب أبناء الطاعة:

📖 فلنعد إلى الكلام من أجل عمل الطاعة.

📖 ونبين بأي مقدار حدها كلمة اللَّه للإخوة، في إظهارها للرئيس عليهم. وهذا وجدناه في الكتب التي هي أنفاس اللَّه.

📖 قال بولس الرسول في رسالته إلى الروم {أهل رومية} "لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة" {رو ١٣: ١}، يعني سلاطين هذا العالم، لا الروحانيين.

📖 قال: "إن من يقاوم السلطان ... يقاوم ترتيب اللـه" {رو ١٣: ٢}.

📖 فإذا كان كلام اللَّه قد ألزم عابدي اللَّه أن يخضعوا لأراكنة و{لرؤساء} في هذا العالم، هؤلاء الذين تقلدوا الرئاسة كناموس البشر. مع أن أراكنة ذلك الزمان كانوا منافقين عابدي أوثان؛ فماذا يجب أن يظهر الناسك من الطاعة للذي أقامه اللَّه رئيساً مدبراً، وأخذ الرئاسة من قبل ناموس اللَّه؟ لا سيما وقد صرخ الرسول في مكان آخر بطاعة المقدمين الروحانيين، فقال: "أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً. لكي يفعلوا ذلك بفرح لا أنين، لأن هذا غير نافع لكم" {عب ١٣: ١٧}.

🕮 وتأملوا يا إخوتي كم هو مقدار الطاعة للرؤساء، التي ذكرها ربنا في الإنجيل، إذ قال "من قبلكم فقد قبلني"، وقال "الذي يسمع منكم يسمع مني، والذي يرذلكم يرذلني" {لو ١٠: ١٦}. فهذا القول الذي قاله الرب للرسل الذين هم الرؤساء الأولون، وضعه ناموساً لجميع المقدمين. فينبغي لنا يا أحبائي أن نتشبه بطاعة القديسين.

🕮 تأملوا ما ذُكر عن أبينا إبراهيم لما أمره الله قائلاً: "أخرج من الأرض التي وُلدت فيها. واترك عنك بيتك ومدينتك وأموالك وقناياك وأصدقاءك" {تك ١٢}. وعوضاً عن هؤلاء تكون في أرض غريبة في موضع لا تعرفه، وتبقى تائهاً من هنا إلى هناك، محتملاً الفقر والخوف والمصاعب والأحزان التي تحل بالغرباء!

🕮 فأطاع الله بغير توان، وترك عنه كل محبوباته، والنياح الذي كان له في بيته، واختار من أجل الله أن يكون غريباً شقياً، فهذه فضيلته الأولى. ولما أتى إلى فلسطين، الأرض التي عرّفه الله أن يتغرب فيها، وحدث غلاء في تلك الكورة فانتقل إلى مصر، وأخذوا زوجته منه هناك: لم تصغر نفسه ولا تذمر على تدبير الله، بل احتمل هذا الظلم الصعب من أجل الله بوداعة.

🕮 وليست هذه الدفعة وحدها بل أيضاً عندما أخذ أبيمالك الملك زوجته، لم يقاوم بل احتمل بشكر، لأنه عندما حكم في قلبه أن يطيع الله في كل شيء، صبر ولم يفحص عما يصنع الله به، بل كان جميع اهتمامه أن يطيع الله بالكمال، بغير توان في كل ما يأمره به.

🕮 فلهذا أعطاه الله في الآخر الولد المبارك إسحق، وأنعم به عليه مثل الهدية عن إيمانه، وصبره الثابت الطويل.

🕮 وبعد هذا لما نما {إسحق} في القامة، وأظهر لأبويه رجاء حسناً أن به يثبت زرعهما من بعدهما، أمر الله إبراهيم أن يصعده على أحد الجبال، ويرفعه هناك قرباناً لله الذي أعطاه له.

🕮 فلما سمع هذا الأمر القاطع، وتميز هذه الخدمة المرهوبة التي تفوق الطبيعة، أعني أن يذبح ولده هذا بيده، أطاع واحتمل بوداعة وثبات، ولم يدهش عقله، ولا اضطرب قلبه، ولا خارت نفسه، بل مثل من يذبح خروفاً هكذا كان إذ حمل على نفسه نير الطاعة الحقيقية، وأتى مع ولده بخفر وهدوء ليكمل الأمر الذي أمره الله به.

🕮 ولم يفحص عن سبب هذا الأمر، ولا عن الغرض منه، بل كان اهتمامه ألا يحل من الطاعة شيئاً.

🕮 فلذلك صار مختاراً باراً من قبل إيمانه وطاعته.

🕮 ولنترك باقي الكلام عن الصديقين الذين استناروا بالفضيلة في العهد العتيق، للذين يريدون أن يتعلموا علم الطاعة وعملها، ليتأملوا أو يسمعوا الكتب المقدسة، ويفهموها بتثبيت.

🕮 ولنعد إلى الكلام على تلاميذ مخلصنا، ونبين مقدار طاعتهم فنقول:

🕮 إنه لما دعاهم تركوا كل شيء وتبعوه.

🕮 ثم أنه أخبرهم بما يلحقهم من الأحزان، والآلام من أجله.

🕮 فلم يفصلهم ذلك عنه، مع أنهم كانوا يرجون ضد هذه المكروهات، لأنهم كانوا يأملون أنه يملك سريعاً ويتمجدون معه في ملكه. ويدل على هذا كون بطرس منعه عندما أخبره بما هو مزمع أن يقبله من الآلام، ولكون ابني زبدي طلبا ما طلباه، فإنه مكتوب أن بطرس بدأ يمنعه قائلاً: "حاشاك يارب لا يكون لك هذا" {مت ١٦: ٢٢}.

🕮 وأن ابني زبدي أيضاً مع أمهما ـ في أملهما أنه يملك سريعاً ـ سألا أن يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله في ملكه {مر ١٠: ٣٧}.

🕮 ومع هذه الآمال قال لهم "ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب"

🕮 وقال "لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس، وفي مجامعهم يجلدونكم، وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم" {مت ١٠: ١٦، ١٧ ـ ١٨}. فلم يجاوبوه البتة، ولا قالوا إننا تقدمنا إليك راجين الغلبة

والسعة والحياة الدائمة والنياح والملك، والآن ها أنت تنذرنا بأضداد ما أملناه.

🕮 بل أحنوا قلوبهم تحت نير الطاعة، وللوقت أسلموا ذواتهم لما ذكره لهم واحتملوا الشتم، والضرب والرجم والإهانة والاقتياد إلى السجون والمجامع والصلب والقتل والميتات المختلفة.

🕮 واحتملوا هذه جميعها بنشاط عظيم، حتى أنهم كانوا يفرحون في الوقت الذي يستحقون فيه أن يشاركوا آلام المسيح، لأنه مكتوب أنهم كانوا فرحين إذ استحقوا أن يهانوا من أجل اسمه {أع ٥: ٤١}.

🕮 فيجب على الناسك يا أحبائي أن يظهر طاعة للمقدم بهذا المقدار، فإن السيد المسيح قد وضع في حال تلاميذه معه مثالاً لسيرتنا هذه.

🕮 فالمقدم ليس هو شيء آخر، ألا ليكمل مثال مخلصنا، أعني أن يكون وسيطاً بين الله والناس، يصعد لله خلاص الذين يطيعونه مثل القربان. وهذا علمناه من جهة المسيح لما أقام بطرس راعياً وقال له "أتحبني أكثر من هؤلاء؟ ارعَ خرافي". وهذا السلطان أعطاه بمساواة واحدة لكل الرعاة والمعلمين، الذين يأتون قوماً بعد قوم.

🕮 وبمساواة أيضاً أعطاهم أن يربطوا خطايا الناس ويحلوها.

🕮 فلهذا يجب على النساك أن يطيعوا معلميهم كطاعة الخراف للرعاة، بدون أن يفحصوا عن كيفية المقدمين عليهم.

🕮 وكما أن النجار والبناء يستعملان كل واحد آلات صناعته فيما تصلح له، وتلك الآلة لا تقول لا أكمل هذه الخدمة، بل تتبع يد الصانع بها؛ كذلك الناسك ينبغي أن يكون مع مقدمه كالخروف مع الراعي، وكالآلة مع الصانع، تابعاً له طائعاً لأمره ليكمل البناء الروحاني الذي هو المجمع، ولا يكون عاجزاً من جهة أحد.

📖 وكما أن الآلة لا تختار لذاتها العمل في شيء دون شيء، بل الصانع هو الذي يختار، وهي تابعة لا غير، كذلك ينبغي أن يكون الناسك. لأن المقدم أحكم منه، وأعلم بحركات نفسه.

📖 وعسر جداً أن يعرف الإنسان ذاته من نفسه، ويشفيها وحده، لأن عادة الناس أن يحبوا ذواتهم، فلهذا ينبغي ألا يقاوم الإنسان ما يؤمر به. وبهذا السبيل تكون السلامة في المجمع متيسرة، والمحبة بين الإخوة متوفرة.

📖 وبهذا يكونون قلباً واحداً، وتقوم أعمال الخلاص وتثبت.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الثالث ـ صفحة ١٨١ ـ ١٨٦

السفر والعمل لأجل المجمع

لا ينبغي للإنسان الناظر إلى الكمال أن يمتنع إذا أرسل في حاجة ضرورية للمجمع

📖 وإذا ما أرسل أخ ليمضي إلى خارج، ولو أنه سفر بعيد من أجل حوائج المجمع الضرورية، فيقول إنني أتأذى، ويخالف ولا يمضي.

📖 فليعلم أنه لم ينظر بعد إلى إقرار الطاعة.

📖 ولينظر إلى القديسين كيف كملوا الطاعة، ولم يجاوبوا في شيء عندما كانوا يؤمرون، مهما كان شيئاً متعباً عسيراً، وليتشبه بهم.

📖 وإن كان إنسان يتأذى بالحقيقة، فليطلب من جماعة الإخوة أن يصلوا إلى الله عليه.

📖 ويسأل الله برجاء ثابت من غير تشكك أن يعينه، ويجعله إناءاً مختاراً في الأعمال الروحانية، والجسدانية أيضاً، التي يضطر إليها.

📖 فبالحقيقة إن الله محب البشر، الذي يقبل إليه من يَغير على فعل الخير، ينعم عليه بقوة يكمل بها طلبه، ويخلصه من الشر.

📖 لأنه قال: "اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم".

📖 فلنذكر الله دائماً في كل أمر، فإن قلوبنا إذا اشتغلت عن تذكار الله، اشتغلت أفكارنا في أمور العالم، ووثبت الشهوات الجسدية على نفوسنا. وكما أن الذي يصير جندياً جديداً، لا يأخذ في البداية أن يقلب جميع الأجناد إلى إرادته وعادته، ولكنه ينقلب هو إلى شكلهم وعملهم، ويتبع عوائدهم وإرادتهم.

📖 فكذلك يجب على الذي يدخل إلى المجمع الروحاني، ألا يقصد أن ينقلب الإخوة إلى شكله، ويتبعوا عادته وإرادته، بل يجب أن يقلب هو شكله ويتبع قوانين المجمع الذي هو فيه.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثالث - صفحة ١٩٩ - ٢٠٠

وفي أنه يجب ألا يحتج بشغل له

📖 وإذا رسم لواحد عمل، فلا يقل "أنا مشغول في عمل نفسي".

📖 فليس للراهب الذي في المجمع سلطان أن يتفرغ لعمل يخصه.

📖 وكما أن الآلة لا عمل لها ألا ما يستعملها فيه الصانع، وكذلك لا يتحرك واحد من أعضاء الجسد دون إرادة الإنسان الجواني الناطق، الذي هو المعلم المدبر للجسد كله؛ كذلك الناسك لا سلطان له أن يعمل شيئاً بخلاف ما يرسمه له الرأس.

📖 وإذا قال: أنه من أجل ضعف جسده، لا يستطيع أن يعمل ما رسم له، فالأمر مفوض إلى الرئيس في امتحان عذره.

📖 والأفضل له أن يكمل ما يؤمر به، فإن الرسول قد قال إنكم "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطية" {عب ١٢: ٤}.

📖 وأيضاً "لذلك قوموا الأيادي المسترخية، والركب المخلعة، واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة" {عب ١٢: ١٢، ١٣}.

📖 والرئيس - هو أيضاً فليكن مثل أب يهتم ببنيه - يفتقد كل واحد ويمتحن حاجته، ويعطيه من الدواء ما يلائمه.

📖 وأما الضعفاء بالحقيقة فيحتملهم بمحبة ورأفة، كحال الأب مع بنيه.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس - الجزء الثالث - صفحة ٢٠٠



سُئل القديس باسيليوس:

كيف يجب على مَنْ عوقب بقانون توبةٍ أن يكون شعوره؟

فأجاب: مثلما يجب أن يفكِّر ابنٌ مريضٌ وهو في شدّة الموت، عندما يكون أبوه خبيرًا في الطبّ ويريد أن يداويه.

ورغم صعوبة العلاج وما فيه من تعبٍ كثير، ولكون قلبه يثق بمحبة أبيه له، وخبرته في الطبّ، وبسبب رغبته في الشفاء، فعليه أن يخضع لعلاجه، ويمكِّنه من نفسه حتى يُشفى ويحيا.

فالذي يُعاقَب بقانون توبةٍ عليه أن يكون شعوره هكذا نحو معلِّمه.

كتاب فردوس الآباء ـ القديس باسيليوس ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٩١

٥ـ المُرشد في حياة الشركة:

كل الذين يريدون أن يعيشوا في حياة مشتركة، لابد أن يكون لهم مرشد روحي، واحد يدبر الجماعة، ويختار بشروط معينة.

لابد أن يكون المرشد مثالاً أعلى في حياته، وطباعه، وطريقة أحاديثه، ولابد أن يكون سنه مناسباً، لأنه من الطبيعي للبشر أن يعطوا احتراماً أكثر للذين هم متقدمين في العمر.

فإذا اختير المرشد بحسب هذه الشروط، لابد أن تعطى له سلطة تامة، ويأمر بالطاعة الفورية له من كل الذين هم في نظام الشركة، مادامت هذه الطاعة تؤدى إلى حياة هادئة جيدة، وحياة تلمذة حقيقية، مثلما قال معلمنا بولس الرسول: "إننا لا نقاوم السلطات التي تفرض علينا من الله" {رو ١٣: ١}.

لأنه إذا فعل أحد ضد هذا، فلابد أن يعاقب من الله، فلابد أن يعلم الجميع أن هذه السلطة قد أعطيت له من الله، حتى نضمن أن التقدم دون عائق، طالما يعطى نصائح مفيدة ونافعة.

من أجل كل هذا لابد أن يكون القائد مثالاً صالحاً لكل الذين ينظرون إليه، وحاوياً في داخله لجميع الفضائل الروحية، ويكون مثل

ما قال به معلمنا بولس الرسول: "بلا لوم كوكيل الله، غير معجب بنفسه، ولا غضوب ... متعقلاً، باراً، ورعاً، ضابط لنفسه، ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح" {تيطس ١: ٧ – ٩}.

📖 وأعتقد أنه من المهم أن تفحص كل حياته، ولا ينظر فقط إلى عمره، لأنه ربما وجدنا تصرفات غير ناضجة لشخص ذو شعر أبيض ووجهه ملئ بالتجاعيد، وأيضا لابد أن تكون تصرفاته وأخلاقه ناضجة ومقبولة، حتى يكون لكل تصرفاته وأقواله قوة القانون، وله التقدم في هذه الحياة المشتركة.

📖 أما من جهة العائشين في هذه الحياة المشتركة فأنه يتعين عليهم أن يتبعوا أسلوب معلمنا بولس الرسول، ويعملون بأيديهم حتى يأكلوا خبزهم اليومي، وهذا العمل أيضاً لابد أن يكون تحت إرشاد رئيس الدير، الذي ينظم أعمالهم حسب الحاجة، حتى لا نحتاج إلى الخروج خارج الدير لسداد احتياجاتنا اليومية.

📖 لابد أيضاً أن نتبع قانون الاعتدال في كل أمور حياتنا، فلا تغالي في النسك حتى الجوع، أو الإفراط حتى السمنة، لأن الإفراط في كلا الحالتين سيؤدى إلى أضرار متساوية، وبذلك نتجنب السير بالتهاون في حياة متساهلة، أو نؤذى أجسادنا ونضعفها ونجعلها متكاسلة، لأن أرواحنا في كلتا الحالتين ستحرم من جهادها الذي تسعى بواسطته لتحصل على المواهب الروحية، لأنها ستكون محطمة، ويتسلط عليها إحساس الألم، وتهبط إلى أوجاع الجسد الضعيف المريض. لابد أن تكون حياتنا كلها وقت صلاة، حتى نصل إلى حالة الصلاة الدائمة.

📖 مداخل الأديرة لابد أن تغلق أمام النساء، وتفتح فقط للرجال الأتقياء، لأن الزيارات المتكررة تعطى فرصة للمناقشات الغير ملائمة والغبية، التي تؤدى بالتالي إلى أفكار غبية، وغير نافعة.

📖 وبهذا لابد أن تكون القاعدة العامة إنه لو كانت هناك أية محادثة ضرورة، يجب على رئيس الدير فقط أن يجاوب، أما الآخرين فلا يجاوبون على أية أسئلة توجه لهم من قبل الزوار، لئلا يتحطموا من الكلام الغير مفيد.

📖 لابد أن يكون هناك مخزن مشترك، ولا يضع أحد فيه أي شيء خاص له: مثل ملابس، أو أحذية، أو أي شيء آخر من المتطلبات الجسدية، مسؤولية رئيس الدير أن يقرر ماذا يفعل بهذه الأشياء، ويعطى كل واحد حسب احتياجاته من المخزن المشترك.

كتاب الطريق الى الفردوس - القديس باسيليوس الكبير صفحة ٣٥ - ٣٧

{١٦}

القديس أوغسطينوس

📖 أجتنب بسهرك خطايا المستقبل، وأمحُ ما مضي منها بالاعتراف، كملّوا على هذا النحو طريقكم، يا قديسي الله، أيها الأبناء، والبنات، والنساء، والرجال، والبتوليين، والبتولات كملّوا حتى النهاية

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية - الكتاب السابع - صفحة ٤٠٨

الفصل السادس عشر: في الإقرار بالخطايا

📖 تفهمُ الكتب الاعتراف على نوعين: اعتراف المادح، واعتراف الباكي. فاعتراف المادح، يناسب كرامة الممدوح، واعتراف الباكي، يناسب توبة من يشكو ذاته.

📖 حين تمدح الله تعترف به، وتعترف به أيضاً حين تشكو نفسك.

📖 ولا يمكن للسان أن ينطق بأكرم من ذلك. ولا شيء أنبل من هذين الفعلين، ولا ألزم للعقل، والفهم منهما.

📖 أشكر الله، وأشْك ذاتك، لأنه يغفر خطاياك برحمة منه، إذ لو أراد أن يعاملك بحسب استحقاقاتك، لما وجد فيك سوي ما يستحق اللوم.

🕮 ابتعد عن الإثم، والله لن يحاسبك على ما فات بل يحرق صكوك خطاياك ويفتح لك حساباً جديداً.
🕮 أتق وجهه قبل مجيئه، وأعترف بما عليك، كيلا يجد فيك سوي ما يستحق الثواب لا العقاب. ألا يليق بمجد الله أن تعترف بخطاياك؟
🕮 بالعكس، أنه ليناسب بنوع خاص تسبيحه.
🕮 بقدر ما تسوء حالة المريض يمُدح الطبيب.
🕮 أعترف أكثر بخطاياك إن راودك اليأس بسبب آثامك.
🕮 وكلما كثرت الخطايا المعترف بها، كلما عظُم مجد الغافر.
🕮 وطال ما إنكَ لم تعترف بخطاياك، فستظلّ نوعاً ما على خلاف مع الله. وكيف لا تكون هذه حالك، إن كنت تشكر ثم تعمل ما لا يرضيه؟
🕮 هو يعاقب السارق، وأنت تسرق.
🕮 وهو يعاقب المدمن على السكر، وأنت تمتدح السكر.

🕮 إن اعترفت بخطاياك وشكوتها، تبدأ مصالحتك مع الله الذي يتهم خطاياك. إن شكوتها من تلقاء نفسك، انضممت إلى الله.
🕮 هو صنع ما ارتضيته كإنسان، وأنت صنعتَ ما ارتضيته كخاطئ.
🕮 أنقضْ ما صنعتَ، ليخلص الله ما صنع.
🕮 عليك أن تكره فيك ما صنعته أنت، وأن تحب ما صنعه الله، وحين يبدأ عملك أن يزعجك ينبثق عن اتهام الأعمال الشريرة مبدأ الأعمال الصالحة. إن الإقرار بالأعمال الشريرة بداية الأعمال الصالحة.
🕮 لا تكن لطيفاً مع نفسك، ولا تداعبها، ولا تغترّ قائلاً في باطنك: أني بار. إذا أحببت النور والحق، فعليك أن تشكو فيك آثامك.
🕮 لا توفرّ نفسك، ولا ترحمها يرحمك الله، بل أعترفْ بما تريد أن يغفره لك. إن لم تعترفْ بإثمك فبأي لسان يسَعُك أن تقول له. "أصرف وجهك عن خطاياي لأني عارف بخطيئتي وأثمي أمامي في كل حين" مزمور ٥٠:٢.

📖 أتخذ إثمك قاضياً عليك، ولا تتخذه محامياً عنك.
📖 أجلسْ أنت على منبر ضميرك، وأمثل في قفص الاتهام.
📖 لا تتخذْ مكاناً لك وراء ذاتك، فيضعك الله أمامه.
📖 إثمك، سوف ينال عقابه، أما منك، وأمّا من الله.
📖 إن صدر عنك، كان بدونك. وإن صدر عن الله، كان بحضورك.
📖 كن أنت للخطيئة معاقباً، حتى يكون الله لك محامياً.
📖 لا تطلب لخطيئتك معذرةً إن كنت قد شئتها، أو حملك إليها آخر.
📖 لا تتهم أحداً مخافة أن يتهمك من لا تستطيع الدفاع عن نفسك أمامه. يغتبط الشيطان حين تتهمه، وهذا جلّ ما يتمناه حقاً، أنه يريد أن ترشقه بأنواع التهم، شرط أن يفقد اعترافك ما له من استحقاق.
📖 ومع إنكَ تريد أن تتهم نفسك، فإن من يشكوك ينتصر عليك.
📖 أتهم نفسك ليكون لك الله محامياً، سوف يشفي أمراضك كلها، ولكن إذا شئت، لأنه لو شفي كلَّ مريض لما شفاه رغماً عنه.
📖 لن تنال برّ الله إذا كنت لا تشتهيه، ولن تناله إلاّ إذا شئته.
📖 والبرّ ليس سوي برّ الله.
📖 برّ الله يبقي، وإن لم تشأ، ولكنه يحيا فيك، إلاّ إذا أنت شئت.
📖 إن من خلقك بدونك، لن يخلصك بدونك. لا يرتضي الله بتضحية نعجة ذبيح، بل بقلب منكسر.
📖 وأضعْ قلبك واسحقه، وأمتهُ لتنتقّي بالرحمة.

📖 أنت لا تتبرر إذا ثرت على نفسك، لكنك تتبرر جزئياً إذا أصلحت نفسك، وإن كنت لا تزال خاطئاً، إذا يجب عليك أن تصلح ذاتك.
📖 إن قسوت على نفسك دخل الله وسيطاً بينك وبينها، وكفَّ عن شجبك. ارتفع إلى الله، ولا تستكبر عليه.
📖 إن سجدت أمام الله رفعك، وإن استكبرت عليه خذلك.
📖 إن تكبرت، ظاهراً، جففتَ باطناً.
📖 أنا لا أقول لك: كُنْ أقلّ مما أنت، بل أعرف ذاتك، وأعترف

بضعفك وخطيئتك، ثم أعترف بأن الله هو الذي يبررّ، وأنك أنت وسخ. أكشف في اعترافك عن رحمة قلبك، تدخل في قطيع الله.

عواطف وصلوات

🕮 أقبل يا رب ذبيحة اعترافاتي، بواسطة لساني الذي كونته، ودفعته إلى الاعتراف باسمك.

🕮 وأشف جميع عظامي لتقول لك: من مثلك يا رب، من مثلك؟

🕮 إن من يعترف لك لا يستطيع أن يخبرك عما يجري في ذاته، والقلب الذي ينكمش على ذاته، لا يستطيع أن يهرب عن ناظريك.

🕮 ولا تستطيع قساوة البشر أن تصد يدك، إنكَ تحطمها ساعة تشاء برحمة منك، أو نقمة. ولا أحد ينجو من حركّ.

🕮 فلتمدحك نفسي، حباً بك، ولتعترف بمراحمك تمجيداً لك.

🕮 إن الخليقة بأسرها لا تنفك تسبحك، ولا تسكت أبداً.

🕮 إمّا بعقل الإنسان الذي يحدثك بلسانه من يتأملون فيها، حتى تخرج نفسنا من ضجرها، وترتقي إليك أيها الخالق العجيب، يا من تتجدد فيك حيث تجد القوة الحقيقية.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ١٨٣ ـ ١٨٥

{١٧}

كتاب طريق النساك

الفصل الثاني عشر: الطاعة

🕮 الطاعة هي وسيلة أخرى لا غنى عنها في الكفاح ضد مشيئتنا الأنانية. يقول القديس يوحنا الدرجي: إنك بواسطة الطاعة تقطع أعضائك الطبيعية {أهواءك}، حتى تستطيع أن تخدم أفضل بأعضائك

الروحية. وأيضًا: فإن الطاعة هي القبر الذي تدفن فيه مشيئتك الخاصة، والذى منه يقوم الإتضاع، ويولد.

📖 يجب أن تذكر أنك قد سلّمت نفسك بملء حريتك إلى نير عبودية المسيح، ودع الصليب الذي تلبسه حول رقبتك أن يكون مُذكرًا لك بهذا: أي أنه بواسطة العبودية تسير قدمًا نحو الحرية الحقيقية.

📖 ولكن هل للعبد مشيئة خاصة به؟ فالعبد ينبغي أن يتعلم أن يطيع دائمًا. ربما تسأل من هو الذي سأطيعه؟

📖 يجيب القديسون: ينبغي أن تطيعوا مرشديكم {عب٣:١٧}.

📖 وأنت تسأل ومن هم مرشدي؟ أين أجد مرشدًا واحدًا بالحق، فلقد أصبح الأمر نادرًا أن يجد الإنسان مرشدًا أصيلاً؟

📖 حينئذٍ يجيب الآباء القديسون، أن الكنيسة قد سبقت فرأت هذا أيضًا، لذلك فمنذ زمن الرسل، قد أعطتنا معلّمًا يفوق كل المعلمين الآخرين. وهو يستطيع أن يصل إلينا في أي مكان، حيثما نكون، وتحت أي ظروف نعيش.

📖 فسواء كنا في المدينة، أم في الريف، سواء كنا متزوجين أم منفردين، فقراء أم أغنياء، فإن هذا المعلم يكون معنا دائمًا، وعندنا دائمًا الفرصة أن نقدم له الطاعة، هل تريد أن تعرف اسمه؟ إنه الصوم المقدس.

📖 الله ليس محتاجًا إلى صومنا. بل هو لا يحتاج حتى إلى صلواتنا.

📖 فالإله الكامل لا يمكن أن نتصوره أنه يعاني أي نقص، أو يحتاج إلى شيء مما نقدمه نحن ـ صنعة يديه ـ له. وهو لا يطلب منا أي شيء كأنه محتاج إلينا، بل كما يقول يوحنا ذهبي الفم: "إنه يسمح لنا أن نقدم له تقدمات من أجل خلاصنا نحن".

📖 إن أعظم تقدمة نستطيع أن نقدمها للرب هي ذاتنا.

📖 ولا يمكننا أن نقدم ذاتنا بدون أن نتخلى عن مشيئتنا الخاصة، وان نتعلم أن نفعل هذا عن طريق الطاعة، والطاعة نتعلمها عن طريق الممارسة. وأفضل صورة للممارسة هي التي تزودنا بها الكنيسة في أيام الصوم ومواسمها المحددة.

📖 وإلى جوار الصوم يوجد عندنا معلمون آخرون يمكننا أن نطيعهم، إنهم يلاقوننا في كل خطوة في حياتنا اليومية، لو أننا فقط تعرفنا على أصواتهم. فمثلاً ... زميلك في العمل يسألك أن تسير معه مسافة قليلة: فاذهب معه لكي تمارس الطاعة.

📖 والطفل الصغير الذي لا يتكلم، يسأل العناية والمرافقة: فافعل حسب رغبته بأقصى ما في استطاعتك.

📖 وهكذا تمارس الطاعة، إن الراهب المبتدئ في صومعته لا يستطيع أن يجد فرصًا للطاعة، أكثر مما تجد أنت في بيتك، وأكثر مما تجد في مكان عملك وفى معاملاتك مع جيرانك.

📖 الطاعة تحطم حواجز كثيرة. فإنك تصل إلى الحرية والسلام، إذ أن قلبك يمارس عدم المقاومة.

📖 وعندما تمارس الطاعة فإن الحواجز الشائكة تنهار أمامك.

📖 وعندئذٍ فإن المحبة تجد الطريق مفتوحًا أمامها لكي تتحرك بحرية.

📖 إنك بالطاعة تسحق كبرياءك، وتسحق رغبتك في المعارضة، وتسحق اعتمادك على حكمتك الذاتية، وعنادك الذي يحبسك داخل قوقعة صلبة. وفى داخل تلك القوقعة لا تستطيع أن تلاقى إله المحبة والحرية.

📖 لذلك، عوّد نفسك أن تفرح حينما تُتاح لك فرصة للطاعة، فليس من الضروري بالمرة أن تبحث عن فرصة للطاعة، لأنك ربما تسقط بسهولة في عبودية من ترتيبك أنت، تقودك بعيدًا إلى متاهة البر

الذاتي. بل ينبغي أن تثق أن فرصًا كثيرة للطاعة يرسلها الله لك بقدر احتياجك، ومن نفس النوع الأكثر مناسبة لك.

🕮 ولكن إن لاحظت أنك تركت إحدى الفرص تفلت منك، فوبخ نفسك لأنك تكون قد تصرفت مثل البحّار، الذي ضيع فرصة الريح المواتية، دون أن يستفيد منها.

🕮 فالأمر بالنسبة إلى الريح لا يهمها إن يُستفاد منها أم لا، ولكن بالنسبة للبحار فإن الريح هي وسيلة للوصول إلى الميناء المقصود.

🕮 وهكذا ينبغي أن تفكر بهذه الطريقة في الطاعة، وفى كل الوسائل المقدمة لنا من الثالوث القدوس.

كتاب طريق النساك ـ صفحة ٤١ ـ ٤٣



🕮 **قال أخٌ لشيخ:**

🕮 لستُ أقدر أن أتمم الطاعة الكاملة. فقال له: اعمل كقوتك، وأنا أومن أن الله يحسبك مع من يكمل الطاعة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٨٧



{١٨}

ق: غريغوريوس السينائي

🕮 ٩٤ـ الكلمة الشفوية الموجهة لتعليم الآخرين، تختلف حسب الأساليب المتنوعة التي تجمع فيها.

🕮 لأن كلمة تأتى من التعليم. وكلمة أخرى من القراءة.

🕮 كذلك كلمة أخرى من التجربة. ثم كلمة أخرى من النعمة.

🕮 لكن كلها تماما كالماء، الذي هو ماء واحد في كل مكان، لكنه يتغير، ويكتسب صفة معينة حسب تكوين التربة التي يجرى تحتها، فيكون طعمه إما مرا، أو حلوا، أو ملحا، أو حمضيا.

🕮 كذلك أي كلمة تختلف حسب مستوى كل متكلم، فتترك أثرا مختلفا،

وفائدتها لا تكون دائما واحدة.

📖 ٩٥- الكلام الموجه إلى الكائنات الحساسة للاستفادة منه، يشبه تماما القيمة المشتقة من أنواع الطعام المختلفة، هكذا تختلف فائدة الكلام الموجه إلى النفس، والاقتناع به.

📖 كلمة التعليم تقوم مقام المعلم، الذي يشكل استعداد النفس.

📖 والكلمة المشتقة من القراءة، تشبه الماء الساكن الذي يغذيها.

📖 والكلمة الناتجة عن الخبرة تشبه "المراعي الخضر" تزداد خصوبة. وكلمة النعمة تشبه "كأسا ريا" {مز٢٣: ٥} تطفئ ظمأها، وتجعلها فرحة متهللة.

📖 وفرح النعمة الذي لا ينطق به يشبه "زيتا يدهن به الوجه فيجعله لامعا" {مز١٠٤: ١٥} الذي يفرح القلب، ويمده نورا.

📖 ٩٦- في الحقيقة لا تحتوي النفس فقط على هذا في ذاتها كالحياة نفسها، بل عندما تسمع مثل هذا التعليم من الآخرين تشعر به في الحال، طالما أن كليهما تحت قيادة "المحبة، والإيمان".

📖 عندما يصغى الواحد بإيمان، والآخر يعلم بمحبة، ويتكلم عن الفضائل بدون كبرياء، أو غرور. حينئذ تقبل النفس كلمة التعليم كمعلم، وكلمة القراءة كغذاء، والكلمة المشتقة من الممارسة كأحب أزياء العروس، وكلمة الروح القدس المنيرة مثل كلمة العريس، عندما يضم عروسه إلى صدره ليشعرها بالغبطة والفرح.

📖 كل كلمة تنبثق من شفتي الله تكون: إما كلمة تخرج من فم القديسين، ينشطها الروح القدس. أو من إلهام الروح القدس البالغ منتهى اللذة، الذي ليس للكل بل للقلة، أن تتمتع به، مع أن كل الناس الأذكياء هم الذين يتمتعون بالكلمة، يوجد عدد قليل جدا في هذا العالم يطرب لسماع كلمات الروح القدس.

📖 إن معظم الناس يعرفون عن طريق الذاكرة فقط، كيف يصيغون الكلمات الروحية المختلفة، ويستطيعون فقط أن يشتركوا فيها بهذه الطريقة، لأنهم لا يستطيعون حتى الآن أن يفهموا مباشرة كلمة الله، الذي هو الخبز الحقيقي في العالم الآتي.

📖 فهناك يعطى هذا الخبز وحده بكثرة، لهؤلاء الذين يستحقون كل نوع من الابتهاج، لأنه لا يفنى، ولا يستنفذ، ولا يسرق.

📖 ٩٧- إذا لم يكن للإنسان إحساس روحي، لا تستطيع حواسه أن تتلذذ بحلاوة كل ما هو لاهوتي، لأنه يكون تماما كإنسان تبلدت حواسه، فلا يستطيع أن يدرك الأشياء الحسية، فهو لا يرى، ولا يسمع، ولا يشم، لأنه ضعيف خائر القوى تماما، أو بالحري شبه ميت.

📖 هكذا الإنسان الذي يميت قدرات نفسه الطبيعية، بواسطة الانفعالات التي تجعلها لا تحس بالعمل، والمشاركة في أسرار الروح القدس.

📖 لأن الأعمى، والأصم روحيا، وعديم الإحساس، ما هو ألا إنسان ميت بالروح، حيث أن يسوع المسيح لا يسكن فيه، وهو نفسه لا يعمل، ولا يتحرك في المسيح.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - القديس غريغوريوس السينائي - صفحة ٧٢ - ٧٣

📖 ١٢١- لا يوجد صعود إلى المساكن الإلهية والملكية، بواسطة السلم القصير للفضائل، أقصر من إخضاع الانفعالات الخمسة المعادية للطاعة. وهي: {١} العصيان {٢} والمحاجاة {٣} وإرضاء الذات {٤} وتبرير النفس وغرور الذات المؤذي.

📖 هذه هي أطراف وأعضاء الشيطان الرجيم، الذي يلتهم الرهبان الزائفين، ويلقى بهم إلى هوة الثعبان.

📖 العصيان: هو فم الجحيم. والمحاباة: لسانه المشحوذ كالسيف.

📖 وإرضاء الذات: أسنانه الحادة. وتبرير النفس: زوره.

📖 والغرور المؤذي: الذي يطرح الإنسان إلى جهنم.

📖 ولكن هذا الذي عن طريق: "الطاعة" يقهر الأول، وبضربة واحدة يقضى على الباقي، وبخطوة واحدة يصل إلى السماء، هذه هي المعجزة غير المرئية التي تجل عن الوصف، المعدة لنا من إلهنا إله الرحمة، الذي أعطانا إمكانية الوصول المباشر إلى السماء بواسطة فضيلة واحدة، أو بالحري وصية مفردة، تماما كما أننا بواسطة خطية واحدة نزلنا، ولا نزال ننزل إلى الجحيم.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٨٧ ـ ٨٨

{١٩}

سمعان اللاهوتي الجديد

📖 ١٥ـ عندما تسلم نفسك إلى أبيك الروحي، اعلم من الآن أنك طلقت كل شيء أتيت به من الخارج: سواء كانت نقودا، أو مقتنيات.

📖 ولذلك لا تطلب منها شيئا يسرا، أو كبيرا، ولا تتصرف فيها دون إذن منه، ألا عندما هو نفسه برغبته يأمرك أن تأخذ منها شيئا، أو يعطيك بنفسه شيئا منها.

📖 ١٦ـ بدون إرادة أبيك الروحي لا تحاول أن تعطى صدقة من النقود التي أحضرتها معك، ولا تحاول أن تأخذ منها شيئا عن طريق وسيط ثالث، لأنه من الأفضل أن تعتبر نفسك متجولا خاوى الوفاض على أن تعطى وتوزع المال على الفقراء وأنت لا تزال مبتدئا، وضع كل شيء في يد أبيك الروحي كما في يد اللـه، هذا هو عمل الإيمان الكامل.

📖 ١٧ـ لا تستجد قطرة ماء حتى إذا كنت معذبا من شدة العطش، إلى أن يأمرك أبوك الروحي بالشرب إذا أراد.

📖 اضغط على نفسك وأجبرها على كل شيء، محذرا إياها هكذا: إذا أراد ورأى أني أستحق أن أشرب، فإنه سيوعز إلى أبى أن يقول لي اشرب، عندئذ تشرب بضمير صاف، حتى إذا كان الوقت غير مناسب.

📖 ١٨- أي راهب يحصل على خبرة ذات فائدة روحية، وينال إيمانا كاملا، يشهد الله ويقول: إني قررت ألا أسأل أبى طعاما، أو شرابا، وبوجه عام لن أقبل أي شيء، ألا إذا أوعز الله إليه فيأمرني وأنفذ، هكذا تصرفت ولم يخب لي رجاء.

📖 ١٩- أي إنسان يكتسب إيمانا فعالا في أبيه، في الرب، عندما يراه يظن أنه يرى المسيح نفسه، ولكونه في حضرته، أو في تبعيته، فإنه يؤمن إيمانا راسخا أنه مع المسيح، ويتبع المسيح.

📖 مثل هذا الإنسان لن يرغب مطلقا في أن يتحدث مع أي إنسان آخر، ولن يؤثر الأمور الدنيوية على محبة الله، وذكر اسمه.

📖 ترى أي شخص أفضل وأكثر نفعا، في الحياة الحاضرة والمستقبلة من أن يكون مع المسيح؟

📖 وأي شيء أحلى وأجمل من التأمل فيه؟ وإذا منح الإنسان أن يتحدث معه، حينئذ لابد أن يصف الحياة الأبدية من هناك.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٣٣ - ١٣٥

📖 ٣٦- الذي لا يتخذ لنفسه صورة ربنا يسوع المسيح، الإله المتأنس في إنسانه الباطن، أو الروحي، مع إدراك وشعور هو لا شيء غير لحم ودم، ولا يستطيع مباشرة أن يدرك المجد الروحي من الكلمات وحدها. تماما كهؤلاء الذين ولدوا عميانا، لا يستطيعون أن يدركوا شيئا عن نور الشمس، ألا عن طريق السمع فقط.

🕮 ٣٧- هكذا كل من يرى، ويسمع، ويفهم، ويعرف قوة ما يقال، لأنه قد اتخذ لنفسه الآن صورة السماء، وتحول "إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح" أف٤: ١٣، ولكونه على هذه الصورة، فهو أيضاً يستطيع حقا أن يقود قطيع المسيح على طريق وصايا الله.

🕮 لكن إذا كان الإنسان لا يدرك كل هذا، وليس على هذه الصورة، فهذا يبين أن حواس نفسه غير مستنيرة، وغير صحيحة، ومن الأفضل له أن يُوجَه بدلا من أن يُوجِه الآخرين لهلاكهم وهلاك نفسه.

🕮 ٣٨- إن من ينتبه، ويصغى إلى مدرسه ومعلمه، كما لو كان مصغيا إلى الله، لا يستطيع أن يجادل.

🕮 فالإنسان الذي يظن، ويقول إنه يستطيع أن يؤدى كليهما، أي الاستماع والجدال، فليعلم أنه في خطأ جسيم، لأنه لا يعرف كيف يقف رجال الله، بالنسبة إلى الله.

🕮 ٣٩- الإنسان الذي يؤمن بأن حياته وموته في يد راعيه، لن يجادل مطلقا. لأن الجدال يولد من الجهل بهذه الحقيقة، التي تسبب الموت الروحي الأبدي.

🕮 ٤٠- إلى أن ينطق بالحكم، فالسجين له الحق في أن يدافع عن نفسه، ويخبر القاضي بما حدث. لكن بعد تحقيق القضية، وبعد أن يصدر القاضي الحكم، لا يحق له أن يعارض من ينفذون الحكم فيه.

🕮 ٤١- إلى أن يدخل الراهب دار القضاء {التوبة - الدير}، ويكشف عما في قلبه، ربما قد يسمح له بأن يعارض أحيانا، إما عن جهل، أو عن رغبة في إخفاء بعض أعماله.

🕮 لكن بعد أن يعترف ويكشف أفكاره في صدق، لا يستطيع مطلقا أن

يعارض سيده وقاضيه في الرب إلى أن يموت.
📖 لأن الراهب الذي يدخل دار القضاء هذه، ويكشف عن أسرار قلبه، إذا كان رجلا عاقلا، يصبح مقتنعا من بدء حياته في الدار بأنه يستحق الموت مرات عديدة غير محدودة، ولكنه يؤمن عن طريق الطاعة والاتضاع، أنه سوف ينجو من العذاب والعقاب، على شرط أن يعرف حقا قوة هذا السر وهو التوبة.

📖 ٤٢- الإنسان الذي يحافظ على هذا منقوشا في عقله، لن يغرى قلبه أي شيء غير لائق عندما يتلقى التعليم، والتحذير والعرض.
📖 لأن إنساناً على هذا النمط إذا وقع في الخطية المميتة للجدل، مع أبيه الروحي، ومعلمه، وفى خطية عدم إيمانه به، يطرح في أعماق الجحيم حتى في حياته، ويصير مسكنا للشيطان مع كل جيوشه الدنسة، ويكون ابن الهلاك المتمرد.

📖 ٤٣- أطلب إليك يا من تعمل تحت نير الطاعة، أن تحافظ عليه باستمرار في فكرك، وتكافح إلى أقصى حد، حتى لا تسقط في الهاوية والعذاب الأبدي.
📖 ويجب عليك أن تصلى كل يوم بحرارة إلى الله وتقول: إلهى رب الجنود، يا من لك القوة على كل نسمة، وعلى كل نفس، أنت وحدك الذي تستطيع شفائي، اسمع صلاتي وأرسل روحك القدوس ليقتل الثعبان المستقر في أنا التعس المسكين.
📖 علمني وأرشدني، أنا العاري والخالي من كل فضيلة، لأركع تحت قدمي أبى، وأستعطف روحك القدوس أن يرحمني ويتراءف على.
📖 إلهي امنح الإتضاع إلى قلبي، واقبل توبتي أنا الأثيم الخاطئ الذي صمم على التوبة لك. لا تترك أبدا نفسي التي كانت مرة متحدة معك، واعترفت بك، واختارتك، وآثرتك على كل العالم.
📖 أنت تعلم ياربى كم أنا مشتاق إلى الخلاص، ولو أن عادات الشريرة

تعوق طريقي، لكن لك يا إلهي كل شيء مستطاع".

📖 ٤٤- هؤلاء الذين مع الخوف والرعدة، وضعوا الأساس السليم للإيمان، والرجاء في ساحة البر، والذين ثبتوا أقدامهم على صخرة الطاعة لآبائهم الروحانيين، يصغون إلى تعليمهم كما لو كانت صادرة من شفتي الرب.

📖 وعلى أساس هذه الطاعة الثابتة غير المترددة، يمارسون ما يتعلمونه في اتِضاع، يصلون بسرعة إلى النجاح.

📖 وأول عمل عظيم يقومون به في أنفسهم هو إنكار ذواتهم: لأن إطاعة مشيئة الغير بدلا من مشيئتهم، لا تقوى فقط إنكارهم أنفسهم، بل تجعل العالم كله ميتا بالنسبة لهم.

📖 ٤٥- تفرح الشياطين لإنسان يجادل ويحاجى أباه، ولكن الإنسان الذي يخضع ويذل نفسه أمام أبيه حتى الموت، يثير إعجاب الملائكة، لأن مثل هذا الإنسان يعمل عمل الرب، ويحاجى ابن الله الذي أطاع أباه حتى الموت - الموت على الصليب.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٤٠ - ١٤٣

📖 ١٥٧- كما أن سلطات الكهنة في القوات السمائية، ينيرها الله في سياق وتسلسل تام، كي ينفذ النور الإلهي من السلطة الكهنوتية الأولى، إلى السلطة الكهنوتية الثانية، ومن الثانية إلى الثالثة، وهكذا إلى جميعها. كذلك القديسون المستنارون بالملائكة الأطهار، يربطهم معاً، ويوحدهم رباط الروح القدس، وهكذا يصبحون على شاكلتهم، وفى مرتبة متساوية.

📖 وفضلا عن ذلك القديسون الذين يظهرون من جيل إلى جيل، ومن وقت إلى آخر، يحذون حذو القديسين الذين سبقوهم، ويصبحون متصلين بأسلافهم بواسطة إطاعة الوصايا المقدسة.

📖 وعندما يمنحون النعمة الإلهية يمتلئون بنفس النور.
📖 في مثل هذا التتابع جميعهم معا يصوغون نوعا من سلسلة ذهبية، يكون فيها كل قديس حلقة منفصلة تتصل بالأولى، بالإيمان، والأعمال الصالحة، والمحبة، سلسلة قوتها في الله، وبصعوبة يمكن كسرها.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٨٦ - ١٨٧

{٢٠}
القديس ثؤفان الناسك

📖 طاعة حقيقية من أجل الله:

📖 أنت تسمى بطاعة «اللاإرادية» طاعة «آلية».
📖 والحقيقة أن الطاعة الوحيدة التي تشكل سلوكنا فعلا، هي الطاعة التي تتم ضد إرادتنا وأفكارنا.
📖 فإن كنت تفعل شيئا، لأنه يتفق مع هوى قلبك، فأين اللاعة إذن؟!
📖 إنك إنما تتبع إرادتك وهواك فحسب.
📖 فإذا فحصت دوافع طاعتك، فقد تعتبر هذه الأفعال الإرادية أفضل قليلا؟ ولكن الطاعة الحقيقية، تتمثل في أنك تطيع دون أن تناقض، علة ما تكلف بعمله، وبالرغم من عدم تقبلك له.
📖 إن مثل هذه الطاعة لها بركة خاصة. بركة تحفظك من أي أذى قد يصيبك، بسبب العمل المفروض عليك. فعندما تكون الطاعة من أجل الله فقط، حينئذ يضع الله عبده المطيع تحت رعايته، ويظلل عليه بحمايته.

القديس ثؤفان الناسك - كتاب فن الصلاة - صفحة ٢٦٥

📖 طاعة بلا مناقشة أفضل من أية جهادات نسكية:

تقـولين إن أمـورك كانــت أفضــل قبــل أن تفـرض عليــك أعمــال السكرتارية، أنت تخدعين ذاتـك. فالطاعـة عنـدما تـتم بغيـر مناقشـة، وعلى غير هوانا، هي أثمن من أية جهادات نسكية.

القديس ثؤفان الناسك ـ كتاب فن الصلاة ـ صفحة ٢٦٦



وهـي قـد تكـون ضــارة فقـط، إذا أسـيئ تقـديرها، أو إذا مورسـت بطريقة مفتعلة. وفي الواقـع إن الله يكـافئ عـن أعمـال إنكـار الـذات، غير أنه يبدو إنك غير منزعجة بسبب رفضك إطاعة ما كلفت به.

هل نسيت أنك بالأمس تعهدت بطاعة رئيسية الدير في كل شي؟

فكيف ترفضين اليوم تحمل أبسط الواجبات التي كلفت بها؟!

أهكذا يكون تنفيذ العهد؟! إن عهدك مع الدير هو نذر الطاعة، وهـو أساس حياتك كراهبة. فإذا كنت قد كسرت هذا العهد، فقد تخليت عـن النذر الذي خطوتي في سبيله الخطوة الأولى.

لذلك ينبغي أن تندمي، وتذرفي الـدموع، لأن نظـام حياتـك الداخليـة سيختل بسبب عدم طاعتك، بل لعله يكون قد فسد فعلا، حتى وإن بـدا ظاهريا أنه قائم، من أجل هذا ينبغي أن تقدمي ندامة وتوبة.

يجب أن تقدمي ميطانيات وتسألي الله بدموع، أن يغفـر لـك خـداعك وعصيانك، الـذي تمثـل فـي تعهـد باللسـان، ثـم نقضـك للعهـد بعمـل، مخالف تماما، إنـدمى علـى خطيتـك هـذه فـي اعترافـك، فهـي خطيـة ليست بالنية فقط، بل بالفعل أيضاً، صل لكي يحـرك الـرب رئيسـتك، فتكلفك ثانية بأداء ما رفضت طاعته، وعندئذ توقفي عن الميطانيات.

القديس ثؤفان الناسك ـ كتاب فن الصلاة ـ صفحة ٢٦٧



حمام الرمل الشافي:

كتبت إلى تقولين: أنا أعمل كمبتدئة بين الراهبات المستجدات.

📖 وأنا لم أفهم أي نوع من العمل تقصدين؟! فالعمل لا يحكم عليه إن كان مقبول، أو غير مقبول، ألا على أساس الروح التي يتم بها، وعلى هذا الأساس يمكن أن تحكمي على العمل.

📖 وعندما تجدين أنك قد تتضايقي بسبب هذا العمل، فتقبليه لأنه يشبه حمام الرمل الشافي. ولكن احرص على ألا تفقدي روح المحبة نحو الذين يستخدمون معك هذا العلاج

القديس ثؤفان الناسك ـ كتاب فن الصلاة ـ صفحة ٢٦٧

{٢١}
كاليستوس وأغناطيوس

📖 {١٤} لكي يسلك الإنسان في الرب، على طريق الصمت بدون عثرة، فمن الضروري جدا أن يختار الطاعة التامة، مع الرفض الكامل لكل شيء آخر.

📖 باسم ربنا العظيم، ومخلصنا يسوع المسيح الذي قال: "أنا هو نور العالم". "أنا هو الطريق، والحق، والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب ألا بي" " يو٨: ١٢ ، ١٤: ٦ " و: "أنا هو الباب، إن دخل أحد بي، فيخلص، ويدخل ويخرج ويجد مرعى " " يو١٠: ٩ ". هذا هو حقا الخلاص.

📖 **اسمع ما نقول، وننصح به في إخلاص:**

📖 أولا اختر لنفسك حسب الكلمات المقدسة، نبذ العالم التام، والطاعة الكاملة الصادقة. وللوصول إلى هذه الغاية، لا تتوانى مطلقا في أن تجد لك معلماً، ومرشدا خاليا من الباطل، مملوءا بنعمة الروح القدس، يعيش حسب كلماته، ساميا في البصر العقلي، متواضعا في التفكير عن ذاته، ذا نزعة خيرة في كل شيء. وعلى العموم مثل هذا المعلم، يجب أن يكون حسب الكلمات المقدسة.

📖 وبعد أن تجد مثل هذا المعلم، التصق به روحا وجسدا، كما يلتصق الابن البار بأبيه، ومن ثم أطع كل أوامره بثقة تامة، واتفق معه على كل شيء، ولا تنظر إليه كأنه مجرد رجل، بل كأنه المسيح ذاته، ابتعد عن كل شك وريبة، واطرح كل الأفكار، والرغبات التي تخصك، واقتف أثر معلمك خطوة خطوة، كما لو كنت مرآة.

📖 اتبعه كما تتبع ضميرك، وحافظ على الطاعة التامة، دون معارضة، وإذا وسوس لك الشيطان، عدو كل خير، وأوعز لك بشيء مخالف لهذا، اهرب منه هروبك من التحرق، أو النار، واحذر في حكمة من المضلل، الذي يضع مثل هذه الأفكار في رأسك.

📖 قل لنفسك: "إن المقود لا يقود القائد، بل القائد هو الذي يقود المقود. لست أنا الذي أتحمل ذنب سيدى، بل هو عمل ذلك من أجلى، لست أنا بل هو الذي يحكم، ويقضى على، حسب القديس يوحنا الدرجي".

📖 إن الذي يريد أن يمحو صك خطاياه ويكون اسمه منقوشا في سجل الذين خلصوا، لا يجد وسيلة لهذا الهدف أفضل من إتباع هذا الأسلوب في الحياة، أي الطاعة.

📖 لأنه حسب قول بولس الرسول، إن ابن الله إلهنا الرب يسوع، الذي من أجلنا اتخذ صورتنا وشبهنا. وفى حكمته نال رحمة أبيه لنا، هو ذاته اتبع هذا الطريق، طريق الطاعة، بهذا أرضى الله أباه، وتمجد وهو في هيئة الإنسان: "إذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب، ولذلك رفعه الله أيضاً، وأعطاه اسما فوق كل اسم" " فى٢: ٨ ، ٩ ".

📖 من يجرؤ في وقاحة وغطرسة، إن لم نقل في جهالة، أن ينال مجد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، وبركات الآباء، دون أن يختار إتباع

طريق مرشدنا ومعلمنا، يسوع المسيح.

📖 لأن أي تلميذ إذا أراد أن يصير كمعلمه، يجب عليه أن يهتم بمراقبة حياة، وأعمال مرشده، كمثل أعلى له، وكأحسن نموذج فريد يقتدى به، ويجب أن يتبعه بثبات، وبكل نفس غيورة، ويجبر نفسه على أن ينهج نهجه دائما، وفى كل شيء.

📖 كما هو مكتوب عن ربنا يسوع المسيح نفسه: "كان خاضعا" لأبيه وأمه " لو٢: ٥١ " ويقول مخلصنا عن نفسه: "إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم، بل ليخدم" " مت٢٠: ٢٨ ".

📖 هل من الممكن بعد ذلك، أن تظن أنه يوجد إنسان يعيش حياة لاهوتية، حسب كلمة الله، إذا عاش بدون مرشد، يسئ إلى نفسه، ويطيع إرادته الذاتية؟ طبعا لا.

📖 يقول القديس يوحنا الدرجي: "عندما يسافر أي إنسان بدون مرشد، يضل طريقه بسهولة، ويبعد عنه، هكذا الحال مع أي إنسان يعيش حياة الدير، تحت إرشاد مشيئته الذاتية، فإنه لا محالة هالك، حتى ولو أحرز كل الحكمة الدنيوية.

📖 بناء على ذلك عدد كبير، إن لم نقل الكل من هؤلاء الذين يسيرون دون طاعة وإرشاد، رغم ما يبذلونه من جهد وعرق، يحلمون وكأنهم نيام. بأنهم يزرعون كثيرا، وفى الحقيقة لا يحصدون ألا النذر اليسير. وا أسفاه! بعضهم يحصدون الزوان بدل القمح، لأنهم ينظمون حياتهم حسب تقديراتهم وأهوائهم، التي هي أشر الكل.

📖 ويقول يوحنا الدرجي في هذا الموضوع: "يا من قررتم الدخول في طريق هذا، المعتقد الروحي للإيمان، يا من رغبتم في أن تضعوا أعناقكم تحت نير المسيح، يا من تريدون من الآن فصاعدا أن تلقوا أحمالكم على أكتاف الغير، يا من ترومون الكفاح لتبيعوا ذواتكم

طواعية إلى العبودية، كي تنالوا الحرية الحقة بديلا، يا من تسبحون عبر هذا البحر الشاسع بمساعدة وعون الآخرين.

📖 اعلموا أنكم تحاولون السير في طريق قصير صعب، له سبيل واحد فقط يؤدى إلى الزلل، يسمى الإرادة الذاتية.

📖 إن الذي ينبذ الإرادة الذاتية نبذا تاما، يعتبر أن كل شيء يناله هو خير، روحاني ويرضى الله، حتى قبل أن يدخل حياة الكفاح الروحي، لأن الطاعة لا تعنى عن اعتقاد صادق أن كل شيء صالح يأتي من ذاته، حتى إلى نهاية الحياة.

📖 لذلك بعد أن تفهم هذا بعقل راجح، وعندما تريد أن تتعلم هذا، الجزء الخير لن يسلب منك، أي طريق الصمت السماوي، اتبع بدقة القوانين المقررة المشار إليها، وتمسك أولا بالطاعة، ثم الصمت، لأن هذا العمل هو خطوة نحو التأمل، وهكذا تكون الطاعة خطوة نحو الصمت: "لا تنقل التخم القديم، الذي وضعه آباؤك" " أم٢٢: ٢٨ ". وتذكر هذا القول: "ويل لمن هو وحده" " جا٤: ١٠ ".

📖 هكذا عندما تبدأ بدءا حسنا بوضع الأساسات، فإنك سوف تضع في الوقت المناسب سقفا رائعا على بنائك الروحي. لأنه إذا افتقرت البداية إلى المهارة، فكل شيء يكون عديم النفع بلا جدوى، وعكس ذلك إذا كانت البداية متسمة بالمهارة، يكون كل شيء منسقا، ولو أنه أحيانا قد يحدث العكس، ومع ذلك يرجع هذا إلى إرادتنا الخاصة.

📖 **{١٥}** علامات الطاعة الحقيقية، التي تجعل الراهب الحقيقي قادرا على ممارسة الطاعة دون ذلل.

📖 بما أنه توجد أشياء كثيرة تقال عن هذا الأسلوب من الحياة، التي هي: "عسرة التفسير لننطق بها" " عب٥: ١١ "، ويمارسها الناس بطريقة مختلفة، فمن الضروري أن نوضح لك بعض ملامحه

المميزة، التي يمكن استخدامها كعلامات، إذا حافظت على هذه كقاعدة ومسار، فإنك تستطيع أن تحيا حياة طاهرة، بلا إثم وخطية، وعلى ذلك نقول لك رأينا.

إنه من المهم تماما، أن يحافظ الراهب الصادق على إتباع الفضائل الخمس الآتية

📖 **الأولى الإيمان:**

📖 أن يؤمن بمعلمه إيمانا صادقا حقيقيا، إلى درجة اعتباره كالمسيح نفسه، ويطيعه كما يطيع المسيح. يقول ربنا يسوع: "الذي يسمع منكم يسمع مني، والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني" "لو١٠: ١٦ ".

📖 **الثانية الحق:**

📖 أي يجب على الراهب أن يكون صادقا في قوله، وعمله، واعترافه اعترافا حقيقيا بأفكاره، لأنه مكتوب: "رأس كلامك حق" "مز١١٩: ١٦٠ " و: "ها قد سررت بالحق" "مز٥١: ٦ "، ويقول المسيح: "أنا هو الحق" "يو١٤: ٦ ".

📖 **الثالثة ألا يعمل حسب إرادته الخاصة:**

📖 لأن كل راهب ينفذ إرادته الخاصة، يسبب لنفسه خسارة عظيمة، وضررا بليغا، فيجب عليه دائما أن يبتر إرادته، ويفعل ذلك طواعية عن طيب خاطر، أي دون أن يجبره أبوه الروحي.

📖 **الرابعة يجب ألا يعارض أبدا، أو يكون مخاصما:**

📖 لأن المعارضة والمخاصمة لا يكتفيان بالأبرار. يكتب بولس الرسول: "لكن إن كان أحد يظهر أنه يحب الخصام، فليس لنا نحن عادة مثل هذه، ولا لكنائس الله" "١كو١١: ١٦ "

📖 إذا كان هذا محرما ببساطة على المسيحيين بوجه عام، فهو أكثر تحريما على الرهبان، الذين نذروا ذواتهم للطاعة المطلقة، في كل شيء. المعارضة، والمخاصمة، يأتيان من الغرور، رفيق عدم الإيمان، والتشامخ، وعكس ذلك، عدم المعارضة، والمخاصمة، يأتيان من نزعة الإنسان المتواضعة المتعقلة.

📖 **الخامسة يجب أن يمارس الفضيلة الآتية:**

📖 يجب أن يعترف لمعلمه بكل شيء، في إخلاص وصدق، لأنه عندما نذرنا أنفسنا رهبانا، وعندما وقفنا كما لو كنا أمام عرش المسيح المروع، في حضرة الله، وملائكته الأطهار، أعطينا عهدا، مع نذور أخرى، ومواثيق مع الرب، بأن نعترف بأسرار قلوبنا "أفكارنا ورغباتنا" كبداية ونهاية لتصرفاتنا وكفاحنا.

📖 كذلك يقول داود النبي: "أعترف بخطيتي، ولا أكتم إثمي، قلت أعترف للرب بذنبي، وأنت رفعت آثام خطيتي" " مز٣٢: ٥ ". ويقول أيضاً القديس يوحنا الدرجي: "إذا ظهرت القروح لا تسوء بل تندمل".

📖 إذا حافظ الإنسان على هذه الفضائل الخمس، في فطنة، وذكاء، فليعرف تماما أنه من الآن فصاعدا يأخذ عهد الشركة العتيدة في نعيم الأبرار. هكذا تكون الصفات المميزة الدائمة للطاعة، لأنها أصل وأساس هذه الفضائل. والآن اسمعوا عن أغصانها وثمارها وعرشها:

📖 يقول القديس يوحنا الدرجي: "الطاعة تلد الإتضاع، والاتضاع يلد موهبة الحكم الصائب، والحكم الصائب يلد الفراسة، والفراسة تلد الإلهام، الذي هو عمل الله وحده، وموهبة ثمينة فائقة الطبيعة، يغدقها على من يريد أن يؤلهه.

📖 وفضلا عن ذلك، ليكن معلوما لكم، أنه بالنسبة إلى طاعتكم

المخلصة المطلقة، سوف ينبت الإتضاع في قلبكم، وأيضا بالنسبة إلى الإتضاع، يكون الحكم الصائب.

📖 **نفس الشيء يمكن أن يقال عن سلسلة الفضائل.**

📖 وعلى ذلك ابذلوا قصارى الجهد، في أن تسلكوا طريق الطاعة دون عثرة، فتسيروا قدما دون زلل، ومع ذلك، إذا حدث أن تعثرتم في مرحلة الطاعة، فاعلموا أنكم لن تكملوا الطريق أمامكم بنجاح، أي الحياة في المسيح، ولن تتوجوا بإكليل النصر، لذلك اجعلوا الطاعة مع هذه الصفات، مرشدكم، أو بوصلتكم، كالتي يستعملها البحارة في رسم طريقهم، على أن تستمر عيونكم مركزة عليها، فتعبرون بحر الفضائل العظيم، دون أن يصيبكم ضرر.

📖 وهكذا تصلون إلى ميناء الثبات الهادئ. وإذا هبت عليكم عاصفة، أو هزكم اضطراب، فهذا سوف يكون بالنسبة إلى طاعتكم. حتى الشيطان نفسه لا يستطيع أن يلحق ضررا، بأي راهب صادق، مطيع. كما قال الآباء القديسون. لكن لكي نعرض عليكم باختصار عظمة وروعة الطاعة، فلنذكر حديث يوحنا الدرجي.

📖 "يسمى الآباء ترتيل المزامير سلاحا، والصلاة جدارا، والدموع النقية حماما، والطاعة المغبوطة عقيدة، بدونها لا يستطيع أحد من سريعي الانفعال أن يرى الرب.

📖 هذا التشبيه المنقطع النظير، يظهر لنا كافيا كأوضح دليل على تمجيد الطاعة المطلوبة ثلاثا. لكن نستطيع أيضاً أن نرى من التجربة أن الطاعة عمل عظيم، إذا ألقينا نظرة على الماضي، لنفحص سبب فسادنا وموتنا، لأننا لم نخلق في الأصل، في الحالة التي نحن عليها الآن، وأيضا لنكشف عن سبب تجديدنا وخلودنا.

🕮 نجـد أن السـبب الأول: أي فسـادنا، كـان الثقـة بـالنفس، والإرادة الذاتية، وعصيان آدم. التي أدت إلى تركه، وتعديه الوصية الإلهية.

🕮 بينما أصـل الثـاني: أي التجديـد، وعـدم الفنـاء، هـو آدم الثـاني ربنـا وإلهنا المخلص يسوع المسيح، لأنه فكر واحد مع اللـه الآب، مطيـع له، وحافظ وصيته، يقول الرب: "لأني لم أتكلم من نفسى، لكـن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية، ماذا أقول، وبماذا أتكلم. وأنـا أعلـم أن وصيته هي حياة أبدية، فما أتكلم أنا به، فكما قال لـي الآب، هكـذا أتكلم" " يو١٢: ٤٩ ، ٥٠ ".

🕮 هكـذا كمـا فـي جـدنا آدم، وفـى هـؤلاء الـذين علـى شـاكلته، أصـل ومصدر كل الشرور هـو الكبريـاء. هكـذا فـي الإلـه المتـأنس، يسـوع المسيح، وفى هؤلاء الذين يصـممون علـى أن يعيشـوا علـى شـاكلته، أصل النعم، ودعامتها هو الإتضاع.

🕮 نـرى أن هـذا، وهـذا القـانون تحـافظ عليـه الملائكـة الأطهـار. فـي عالمهم السماوي المقدس، كما أنه أيضاً موضع رعايـة كنيسـتنا علـى الأرض. من هذا نتعلم ونؤمن أن هؤلاء الذين يحيـدون عـن {الطاعـةْ} هذا القانون الأساسي، ويختارون في وقاحة أن يعيشوا حسب إرادتهم الذاتيـة، ينصـرفون عـن اللــه، وعـن ميـراث النـور الإلهـي، وعـن الكنيسة الجامعة.



🕮 وهكذا يبتعدون كلية، ويطرحون إلى الظلمة الخارجية، ونار جهنم. نظن أن نفس المصير، ينتظر الأشرار، المخاتلين، الذين يميلون نحـو نجم الفجر الساقط، والأثمة الثرثارين الهراطقة، الـذين يظهـرون مـن حين إلى حين، كما نقرأ في الكتاب المقدس. من أجل إرادتهـم الذاتيـة ينفصلون عن المجد الإلهي، وعـن جماعـة القديسـين الـذين يرضـون اللـه.



📖 **قال أحد الحكماء:**

📖 "إن الشيء يعالج بضده، حيث أن مصدر الشر فينا، يرتكز على عدم الطاعة، والكبرياء. بيد أن أصل الفرح والسرور، هو الطاعة، وانسحاق القلب".

📖 فالإنسان الذي يريد أن يحيا حياة طاهرة، بدون خطية، يجب أن يظل مطيعا لأبيه المختبر، المجرد من الباطل، والذي يحصل بالعمل الطويل الشاق، على معرفة الأمور الروحية، والذى تزدان حياته بكل الفضائل، ويجب عليه أن يعتبر كل أمر، أو نصيحة من أبيه، كصوت أو نصيحة من الله نفسه.

📖 لأن سليمان الحكيم يقول: "أما الخلاص فبكثرة المشيرين" " أم١١: ١٤ ". والإنسان الذي لا يستشير هو عدو نفسه. إذا نجح بعض الآباء القديسين في الحصول على الصمت المقدس، والكمال في الله، بدون فرض الطاعة، فيرجع هذا إلى الوحي، أو الإلهام الإلهي الخاص، وهذا نادر الحدوث. وكل ما هو نادر، ليس من قانون الكنيسة.

📖 لكنكم عندما تؤمنون بأن الطاعة التامة، هي إحدى نواحي التربية التمهيدية للصمت المطلوب، اتركوا الحالات النادرة، التي حدثت بالافتقاد الإلهي الخاص، وامتثلوا بكل ما هو عام، ومقرر للجميع، بواسطة الآباء القديسين. هكذا سوف تنالون الثواب المدخر لهؤلاء الذين يحيون حسب القانون.

📖 ماذا بعد ذلك؟ إذا سلك إنسان طريقا مجهولا، دون مرشد مخلص، أو إذا خاطر في السفر بحرا، دون بحار ماهر. أو إذا أخذ رجل على عاتقه أن يتعلم علما، أو فنا، بدون مدرس متمرن خبير.

📖 من يجرؤ، ويحاول أن يدرس دراسة عملية لفن الفنون، وعلم العلوم، حتى يدخل الطريق الخفي المؤدى إلى الله، ويخاطر بالإبحار في أعماق البحر الروحي غير المحدود، أي حياة الرهبنة،

التي تشبه حياة الملائكة، وأن يكون على يقين أن يصل إلى هدفه، دون مرشد، بحار، ومدرس متمرن؟

📖 كل من يكون على شاكلة هذا الإنسان يخدع نفسه حقا، ويضل الطريق قبل أن يبدأ، فيكون كواحد لا يعمل بموجب القانون.

📖 وعلى العكس. الإنسان الذي يخضع لقوانين الآباء، يصل إلى هدفه قبل أن يخطو خطوة واحدة. وفيما عدا ذلك نعرف كيف نحارب الجسد، ونسلح أنفسنا ضد الانفعالات، والشياطين؟

📖 كيف نستطيع بدون مثل هذا العون، أن نعرف كيف نميز بين الخير والشر، عندما تلتصق الانفعالات الرديئة بالفضائل، وتقف إلى الأبد أمامها. كيف ندبر أنفسنا، دون مساعدتها، ونكبح جماح حواسنا الجسدية، ونصلح قدرات نفوسنا في تناسق، كأوتار في قيثارة؟

📖 وفوق كل شيء، كيف نستطيع بدون هذه القوانين، أن نميز بين الأصوات، والوحي، والإيعازات، والرؤى الإلهية، والفخاخ، والباطل، وأوهام الشيطان؟

📖 بالاختصار كيف نستطيع أن نحصل على الاتحاد مع الله، ونتعلم إحياء الذكريات، والأسرار المقدسة، دون أن نطلع على هذه الأسرار من مرشد مستنير صادق؟ هذا ممكن قطعا، عندما نرى القديس بولس الرسول هذا الإناء المختار لسان المسيح، نور هذا العالم، وشمس المسكونة، ومعلم الدنيا قاطبة، يسرع إلى زملائه الرسل ليبحث معهم عظاته. لماذا يفعل هذا: " لئلا أكون أسعى، أو قد سعيت باطلا" " غل٢: ٢ ". وهذه الحكمة ذاتها عندما يقول ربنا يسوع المسيح: "لأنى قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" " يو٦: ٣٨ " ويقول عن الروح القدس معطى الحياة: "لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به" " يو١٦: ١٣ ".

📖 وعندما نرى هذا الترتيب المفيد، الذي يشمل الأمور التي في السماء، وعلى الأرض، نمتلئ رعدة، ودهشة، ورعبا عند التفكير في ضعفنا، وكسلنا، وفى الموقف الخطير لهؤلاء الذين يتجاسرون في طيشهم، وصلفهم، أن يكونوا قضاة لأنفسهم.

📖 أو نفس الحال مع الذين يعيشون بدون قانون، ونظام، يؤدى إلى ضياعهم، وهلاكهم. ما أشد فظاظة هذا العمل، اللصوص في الطريق لا عدد لهم، ومكامن القراصنة ليس لها حد، وغرق السفن لا حصر له. وهكذا تنجو فئة قليلة جدا من هذا العدد العديد، لكن فليذهب هؤلاء كما يريدون، لأنه مكتوب: "ستمتحن النار عمل كل واحد ما هو" " ١كو٣: ١٣ " و: "لأنك تجازى الإنسان كعمله" " مز٦٢: ١٢ ".

📖 أو بالحري ليس بالبساطة كما يريدون، بل دعهم يرغبون ويعيشون كما يجب عليهم، ولعل: "اللـه يعطيك ... فهما في كل شيء" " ٢تى٢: ٧ "، وبعد أن فهمنا من هذه النصوص في الكتاب المقدس، كما لو من شراشيب، كل نسيجها الذهبي الروحاني، من الطاعة المباركة، عندما تريد أنت، أو أي إنسان آخر أن يعيش في اللـه، يجب كما ذكرنا من قبل أن يحاول، ويبحث لنفسه عن معلم كامل، بدون زلل، حسب قول القديس بولس الرسول: " أما الطعام القوى فللبالغين، الذين بسبب التمرن، قد صارت لهم الحواس مدربة، على التمييز بين الخير والشر" " عب٥: ١٤ ".

📖 وعندما تفتشون هكذا بكل غيرة، وإيمان، ستصلون إلى هدفكم دون أن تضلوا: "لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له" " مت٧: ٨ ".

📖 المعلم الذي تعثر عليه سوف يعلمك، في نظام تام، واتساق محكم، كل ما هو مناسب يرضى اللـه. فضلا عن ذلك، إذا رأى أنك تراعى الاعتدال، والبساطة، الزهد في كل شيء، في المأكل، والمشرب، في

الملبس، والغطاء، قانعا بما تتطلبه ظروفك، وما يناسبك، وما تحتاج إليه، لا يطلب منك زيادة، ولا ترفا لجسمك، وحواسك، وسيرشدك إلى أمور روحانية تزيد من رضى اللـه عليك، مثل هذه الأمور تفوق قدرة الكثيرين، والتي لا يصل إليها جميع الناس. لأن الرسول العظيم يقول: "فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بها" " ١تى٦: ٨ ".

الفيلوكاليا ـ الباب السادس كاليستوس البطريرك وأغناطيوس أكسنثوبولوس صفحة ٢٤٣ ـ ٢٥٥



{٢٢}

أغناطيوس بريانتشانينوف

{ف٧} حماية النفس من خير الطبيعة الساقطة	{ف١٢} فيما يختص بطاعة الشيخ
{ف١٣} فيما يختص بالمرشدين والإرشاد	

الفصل السابع

في حماية النفس من الخير الذي يليق بالطبيعة الإنسانية الساقطة

📖 هل راودتك بعض أفكار صالحة؟ توقف. ومهما كنت تفعل، لا تعجل في تنفيذها، أو إنجازها بتسرع، وبدون تريث وتفكير.

📖 هل شعرت بأية حركة خيرة، أو ميل، في قلبك؟ توقف. لا تتجاسر على الانجرار وراء هذه الأفكار، بل بادر إلى فحصها في نور الإنجيل. تأكد أن الفكرة الصالحة، والحركة الصالحة، في قلبك، مطابقة للتعليم المقدس الذي من الرب.

📖 وسرعان ما تجد أن ليس من وفاق بين: صلاح الإنجيل، والصلاح الذي في الطبيعة الإنسانية المعطوبة. فالصلاح الذي في طبيعتنا المعطوبة، ممزوج بالشر، لذا فقد أصبح شرا، تماما كما أن الطعام اللذيذ والنافع للصحة، يصبح ساما عندما يختلط بالسم.

📖 صن نفسك عن الصلاح الذي في الطبيعة الإنسانية المعطوبة، لأن

العمل بهذا الصلاح من شأنه أن يجعلك تنمي فيك سقطتك، فضلا عن الكبرياء، مع العجب بالذات، فتبلغ أقرب مطابقة للشياطين.

📖 ومن الناحية الثانية: فإنك بحفظك صلاح الإنجيل كتلميذ، وفي الاله - الإنسان يسوع المسيح، تصبح مثله. إن من يحب حياته، يفقدها، أما الذي يبغضها، في هذا العالم، فإنه يحفظها للحياة الأبدية {يوحنا ١٢:٢٥}. ومن أراد أن يتبعني، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعني، لأن من أراد أن يخلص حياته يفقدها، ومن يفقد حياته من أجلي، ومن أجل الإنجيل يخلصها".

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٥٨

📖 وربنا يطالبنا برفض الطبيعة البشرية المعطوبة، وبمقت دوافعها، وحركاتها، ليس فقط من أجل من هم أشرار علنا، إنما من أجل الجميع بدون استثناء، حتى الذين هم صالحون في الظاهر فقط.

📖 أن اتباع بر الطبيعة المعطوبة، لهو كارثة رهيبة، لأنه يعني رفض الإنجيل، ورفض المخلص، ورفض الخلاص بأن: «إن من لا يبغض حياته، لا يستطيع أن يكون لي تلميذا» {لوقا ١٩ :٢٩}.

📖 ويقول القديس برصنوفيوس الشيخ، في معرض تفسيره لكلمات الرب: كيف يرفض الإنسان نفسه؟ فيجيب: "هذا يتحقق عندما ينبذ الإنسان رغباته الطبيعية، ويسير وراء الرب. لهذا السبب يتكلم الرب ههنا، وبحزم، عما هو طبيعي، لا عما هو غير طبيعي.

📖 فالإنسان إذا ما نبذ ما هو غير طبيعي، لا يكون قد نبذ أيا مما هو له، حبا بالرب، لأن ما ليس طبيعيا، ليس له على نحو لائق. أما من ينبذ ما هو طبيعي، فهو يردد مع الرسول كل حين: «ها قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا»؟ {متى١٩:٢٧}.

📖 ويسمع صوت الرب المغبوط، وبمقتضى وعد الرب، يتيقن من ميراث الحياة الأبدية، ومن امتلاكها {مت ١٩ :٢٨٣٠}".

📖 وبما أن بطرس لم يكن غنيا، فماذا ترك، وما هو جدوى كلماته؟ بالطبع، لقد ترك بطرس كل رغباته الطبيعية. لأن من لا يموت عن الجسد ليحيا للروح، لا يمكن لنفسه أن تنهض.

📖 وكما أنه ليسن في الجثة الهامدة رغبات طبيعية من أي نوع، هكذا أيضاً، ليس هناك رغبات طبيعية عند من مات روحا عن الجسد.

📖 وإذا كنت قد مت عن الجسد، فكيف يمكن للرغبات الطبيعية أن تحيا فيك؟ ولكن إن لم تكن قد بلغت هذه القامة الروحية، وما زلت عقليا في طور الطفولة، فاتضع أمام مرشد يصلح سيرتك بالرحمة {مزمور١٤٠:٥}. لا تقدم على شيء بدون مشورة {الجامعة٣٢:١٩}، حتى ولو بدا لك الأمر صالحا في الظاهر فقط. لأن نور الشياطين يتحول في النهاية إلى ظلام.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٥٩

📖 والأمر نفسه يقال عن نور الطبيعة الإنسانية الساقطة.

📖 أما اتباع هذا النور، وتطوره في النفس، فمن شأنه أن يولد ظلمة داخلية عظيمة، وشاملة، وبنتيجة ذلك تتغرب النفس عن المسيح، والمتغرب عن المسيح غريب عن الله: «من ينكر الابن ليس له الآب» {إيوحنا٢:٢٣}.

📖 وفي زماننا، فإن غالبية الناس يفاخرون بتقدمهم، ويدعون أنهم مسيحيون، يقومون بأعمال حسنة كثيرة، ويجاهدون من أجل الكمال في البر، في الطبيعة الإنسانية الساقطة، بيد أنهم أداروا ظهورهم لبر الإنجيل، عن ازدراء واحتقار.

📖 فليسمع هؤلاء ما يقوله السيد: «لأن هؤلاء يكرمونني بفمهم ... أما قلبهم فبعيد عني» {متى١٥:٨}. ومن يمارس البر الإنساني يمتلئ اعتدادا، وزهوا، وضلالا. فهو يبشر، وينفخ بوقه من أجل أعماله

الحسنة، ولا يكترث لما ينهي عنه السيد {متى٦:١-١٨}.

📖 انه يكيل بغضب، وحقد، وانتقام، بإزاء الذين يجرؤون على فتح أفواههم، بسبب التناقض في بره. ألا أنه يرى نفسه جديرا، وأكثر من جدير، بالمكافآت الدنيوية والسماوية بأن.

📖 ومن الناحية الثانية، فإن من يحفظ وصايا الإنجيل، يغوص في التواضع كل حين. وإذ يقارن بين سمو الوصايا المقدسة، ونقاوتها، وحفظه لها، يقر أن جهوده غير كافية، وغير جديرة بالله البتة.

📖 لا بل يرى نفسه مستحقا للعقاب الدنيوي، والأبدي، بسبب خطاياه، وبسبب مودته للشيطان، وبسبب السقوط الذي يشارك فيه جميع الناس، كذلك بسبب استمراره هو في الحالة المعطوبة.

📖 وأخيرا بسبب تطبيقه الناقص، وتقلبه في حفظ الوصايا.

📖 وعندما تنزل الشدائد والمحن بسماح من الله، فهو يذعن، ويحني رأسه، عالما أن الله بالألم يروض عالما أن الله بالألم يروض أحباءه ويربيهم أثناء محجتهم على الأرض.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٦٠

📖 إلى ذلك، فإنه يكون لطيفا، ورحوما مع أعدائه، ويصلي من أجلهم على أنهم إخوة، أوقعت الشياطين بهم، وأعضاء معه، في جسد واحد، لكنهم مرضى روحا، رغم أنهم يحسنون إليه، وانهم أدوات للعناية الإلهية.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٦١

الفصل الثاني عشر

فيما يختص بطاعة الشيخ {الأب الروحي}

📖 إن ما قيل في التوحد، والسيرة الحبيسة، ينبغي قوله أيضاً عن إطاعة الشيوخ، على النحو الذي مورست فيه الطاعة، في الرهبنة

القديمة. إلا أن طاعة كهذه، ليست من نصيب أبناء زماننا.

🕮 يقول القديس كاسيانوس الروماني: "إن الآباء المصريين - الذين ازدهرت الرهبنة في وسطهم، وأعطت ثمارا يانعة - يؤكدون أنه حسن أن تعطيَ توجيها روحا، وأن تسترشد على من هم حكماء حقا. ويصرحون أن ذلك موهبة عظيمة، ونعمة من الروح القدس.

🕮 بيد أن الشرط الذي لا غنى عنه، ولا بد منه، هو أن يكون المرشد حاملا للروح القدس، لأنه بمشيئة الروح القدس يمكنه أن يميت كل الأهواء أيضاً.

🕮 إن سقوط الإنسان وفساده، يعني النزوع إلى كل الأهواء.

🕮 ومن الواضح أن إماتة المشيئة الساقطة، التي تحصل بسمو، وظفر، بفعل مشيئة روح الله، لا يمكنها أن تتحقق، عن طريق من كان هو نفسه رازحا تحت الأهواء، وعبدا لها".

🕮 ويقول القديس سمعان اللاهوتي الجديد لرهبان زمانه: "إذا كنتم تودون أن ترفضوا العالم، وتتعلموا سيرة الإنجيل، لا تسلموا ذواتكم إلى مرشد عديم الخبرة، رازح تحت الأهواء، وذلك خشية أن تتعلموا منه سيرة شيطانية، لا سيرة إنجيلية.

🕮 لأن تعليم المعلمين الصالحين، صالح هو، أما تعليم الأشرار فرديء. البذار الشريرة تنتج ثمارا شريرة.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٩٢

🕮 وكل أعمى يقود أخرين، مخادع هو، والذين يتبعونه، يقعون في الهلاك، حسب كلام الإنجيل: «إذا كان أعمى يقود أعمى، فكلاهما يسقطان في حفرة واحدة» {متى١٥:١٦}.

🕮 والشيوخ الذين يأخذون على عاتقهم هذا الدور - ونستعمل لفظة غير محببة، هي من لغة العالم، وذلك كي نفسر - على نحو دقيق -

أمرا هو لا شيء في جوهره، سوى أنه فعل مدمر للنفس، لا بل هو الملهاة الأكثر بؤسا.

🕮 الشيوخ الذين يأخذون على عاتقهم دورا، اضطلع به الشيوخ القديسون في القديم، دون أن يكون عندهم المواهب الروحية التي لأولئك، عليهم أن يدركوا أن نيتهم، لا بل أفكارهم ذات الصلة بالطاعة، التي هي شأن رهباني عظيم، كلها كاذبة.

🕮 وليكن معلوما لديهم، أن نظرتهم وطريقة تفكيرهم، لا بل حججهم وفهمهم، وكل معرفتهم، هي خداع للذات، وضلال شيطاني، لا بد أن يؤتي ثمارا مماثلة فيمن يسترشد عليها.

🕮 وموقفهم الخاطئ، والمريض، قد يعبر إلى حين، دون أن يلاحظه المبتدئ العديم الخبرة، الذي يسترشد عليهم. وإذا كان عند هذا المبتدئ القليل من الفهم، وشغل نفسه بالمطالعة المقدسة، بقصد أن ينال الخلاص، لا بد أن ينكشف في وقت مواقف، وهذا الانكشاف، غير السعيد، سيؤول تباعا إلى قطيعة هي أشد بؤسا، وإلى علاقات هي الأكثر غما بين الشيخ وتلميذه، الأمر الذي يؤول إلى فوضى، وغموض عند الاثنين معا.

🕮 إنه شأن مزعج، أنه بداعي العجب بالذات، والسلطة الذاتية، يمكن للمرء أن يضطلع بواجبات يمكن القيام بها فقط بإيعاز من الروح القدس، وبفضل الروح القدس: إنه أمر مزعج أن تدعي أنك إناء للروح القدس، عندما لا تكون قد أبرمت قطيعة مع إبليس كاملة، لا بل ما يزال هذا الإناء ملوثا بفضل إبليس.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٩٣

🕮 إنه أمر كارثي على المرء، وعلى قريبه بان. أنه بمثابة جريمة وتجديف في عيني الله. ولا يجدي أن توعز إلينا، أن القديس زخريا

نفسه كان يعيش في طاعة الشيخ عديم الخبرة، كاريون، أبيه بالجسد، ألا أنه بلغ الكمال الرهباني. أو أن القديس اكاكيوس وجد خلاصه في العيش مع شيخ ظالم، قاد تلميذه إلى القبر قبل الأوان {السلم٤: ١١٠}

📖 وكلاهما كانا في طاعة شيوخ أكفاء، ألا أنهما كانا يسترشدان على آباء قديسين يحملون الروح القدس، وهؤلاء الآباء كانوا قدوة تحتذي، بناءة، وافرة، وغنية بالنسبة إليهم. إذا، كان بإمكانهم أن يكونوا في طاعة ظاهرية لشيوخهم. إن هذه الحالات المذكورة هي خارج القاعدة والنظام.

📖 أما طريقة عمل العناية الإلهية، على نحو ما يقول القديس إسحق السرياني، فتختلف بالكلية عن الترتيب الإنساني العام {الفصل الأول}.

📖 ولعله يحلو لك أن تقول: "يستطيع إيمان المبتدئ، أن يحل مكان الشيخ القليل الخبرة". هذا غير صحيح. الإيمان بالحق يخلص، أما الإيمان بالباطل، وبالضلال الشيطاني، فهو مدمر، ومهلك، حسب تعليم الرسول {٢سا ٢: ١٠-١٢}.

📖 ليكن لكما حسب إيمانكما {متى ٢٩٠٩} قال الرب. إنها الحقيقة بعينها، قالها لرجلين أعميين، فشفاهما مما أصابهما. ليس للكذب، والرياء الحق، في ترداد كلمات الحقيقة نفسها، من أجل تبرير سلوكها الإجرامي، حيث أن الكذبة، والرياء صنوان.

📖 وثمة حالات قليلة جدا، لا بل نادرة، حيث كان الإيمان، وبعناية إلهية خاصة، يفعل في أناس خطأة، وقد قادهم إلى الخلاص.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٩٤

📖 وفي مصر، فإن اللص فلافيان هم مرة بسرقة دير نسائي، فتنكر بزي رهباني وتوجه إلى هناك. فظننت الراهبات أنه واحد من الآباء القديسين، فرافقنه إلى الكنيسة، وطلبن منه أن يصلي من أجلهن.

📖 ثم قدمن له الطعام. وبعد ذلك غسلن رجليه. وكان في الدير راهبة

عمياء وطرشاء. فاحضرنها، ودفعن إليها ببعض الماء لتشربه، وهو الماء عينه الذي غسلن به رجلي اللص، فشفيت الراهبة للحال.

📖 فسبحت الراهبات الرب على سيرة هذا الراهب الأجنبي المقدسة. ثم نقلن بعد ذلك نبأ الأعجوبة التي اجترحت عندهن. لقد انحدرت نعمة الله على اللص فلافيان. فتاب اللص، وتحول من زعيم اللصوص، إلى أب طبقت شهرته الآفاق.

📖 وفي سيرة القديس ثيودور مطران أوديسا، نطالع أن غانية أجبرها عشيقها اليائس ADER على الصلاة إلى الله من أجل ابنها الميت، فعاد ابنها إلى الحياة بفعل صلاتها.

📖 فذعرت الغانية من جراء ما حصل، وللحال أقلعت عن سيرتها الأثيمة، ودخلت الدير لتعيش فيه سيرة نسكية قادتها إلى القداسة.

📖 ان حالات من هذا القبيل هي بمثابة استثناءات.

📖 ونحن عندما نتأمل فيها، فسرعان ما يدفعنا تأملنا إلى العمل على نحو صحيح. وإذا تأملنا في سبل العناية الإلهية، وأحكامها، المتعذر وصفها، وتفسيرها، فإننا نتشدد بالإيمان والرجاء.

📖 ولكننا نضل إذا أخذنا هذه الحالات كنماذج للاقتداء. وقد أعطينا كدليل للسيرة، ومن قبل الله نفسه، ناموس الله، أعني به الكتاب المقدس، وكتابات الآباء القديسين.

📖 ويقول الإلهي بولس، وعلى نحو قاطع: «ونوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح، أن تنفصلوا عن كل أخ ذي سلوك سيء، لا يكون بمقتضى التقليد، الذي تسلمتموه منا» {٢سا ٣: ١}.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٩٥

📖 وبالتقليد هنا، نعني التقليد الأخلاقي في الكنيسة، وهو ما يتضح جليا في الأسفار المقدسة، وكتابات الآباء القديسين.

📖 لقد أوصى الأب بيمن الكبير: "أنه ينبغي على التائب أن يقطع

علاقته بالشيخ فورا، إذا كان قد عاش معه، لكنه وجد أن سلوكه مؤذ للنفس. من الواضح أن الشيخ المعني {هنا}، كان ينتهك التقليد الأخلاقي الكنسي. ولكن الأمر يتبدل عندما لا يصيب النفس أي أذى، بل يضطرب الإنسان من الأفكار فقط.

📖 ومن الواضح: أن الأفكار المزعجة، شيطانية هي، ولا يجوز أن نرضخ لها. وهي تعمل حيث نتلقى نفعا روحيا، وهو ما تسعى الشياطين إلى انتزاعه منا.

📖 والطاعة الرهبانية، في شكلها وطابعها، وكما مارسها الرهبان القدماء، هي سر روحي رفيع. لكن بلوغ هذه الطاعة، والاقتداء التام بها، أصبح أمرا مستحيلا بالنسبة إلينا.

📖 نحن نستطيع فقط أن نتفحصها بوقار، وتعقل، مقدرين روحياتها، فتظهر حكما صائبا، ونبرهن عن ذكاء مفيد ونافع، عندما نقرأ عن قوانين وخبرات الآباء القدماء، وطاعتهم، فنندهش من المرشدين والمسترشدين عليهم بأن.

📖 غير أننا نرى في الوقت الحاضر انحدارا عاما في المسيحية، وهكذا ندرك أننا لسنا أهلا، لميراث وصايا الآباء في ملئها وغناها. إنه لسر عظيم وبركة، أن الله ترك لنا أن نقتات من الفتات المتساقط، من مائدة الآباء الروحية، فيحول دون الموت الروحي، ولكن ليس بدون إحساس بالحاجة، والجوع، والتوق.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٩٦

الفصل الثالث عشرة

فيما يختص بالمرشدين والإرشاد
وأيضا في الحياة، في استرشاد روحي

📖 وعنيت بالفتات - في الفصل السابق - الحياة الروحية المحفوظة

لزماننا، بفضل العناية الإلهية، فهي مرتكزة على الإرشاد في عمل الفداء، الذي يقدمه الكتاب المقدس، وكتابات الآباء القديسين، بنصائح وتوجيهات، كما لو أنها مستعارة من آباء وإخوة معاصرين.

📖 وبالمعنى الحقيقي، فإن طاعة الرهبان القدماء، تلائم جيدا ضعفنا، الذي هو روحي في الأساس. في الأزمنة الغابرة، كان المبتدئون يسمعون إرادة الله تواً، من المرشدين الممتلئين من الروح القدس.

📖 أما الآن فإن الرهبان، والراغبين بمعرفة إرادة الله، ينبغي أن يفتشوا عن إرادة الله في الكتب المقدسة، لذا فهم عرضة لمغالطات، وشكوك على الدوام.

📖 في ذلك الحين، كان التقدم سريعا، بحسب طبيعة العمل. أما اليوم فهو بطيء. ومن جديد، فالسبب وراء ذلك، يعزى إلى طبيعة العمل. هكذا هي مشيئة الله من جهتنا. وينبغي أن نطيعها ونحترمها، بالمنة، والعرفان بالجميل.

📖 وتتقدس حياتنا الرهبانية الحاضرة، وتتبارك، في نور الكتاب المقدس ونصائح الآباء القديسين، والأخوة، ومن خلال نموذج رئيس الرهبنة نفسه، القديس أنطونيوس الكبير.

📖 لم يكن أنطونيوس في طاعة الشيخ، فقد عاش في البداية منفردا، واستعان بتوجيهات الكتاب المقدس، فضلا عن توجيهات وإرشادات الآباء، والإخوة. من هذا أخذ العفة، ومن ذاك الوداعة، ومن ثالث، الصبر والتواضع، ومن آخر اليقظة، ومراقبة النفس، مع حفظ الصمت.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٩٧

📖 جاهد كي يكيف فضيلة كل منهم على نفسه، ومتضعا أمام الجميع قدر الإمكان، ومصليا لله بلا انقطاع. أيها المبتدئون، اسلكوا السبيل عينه، وقدموا للرئيس، وكل السلطات الرهبانية الأخرى، الطاعة

الصادقة، لا إرضاء للناس، بل إرضاء لله. انعتقوا من كل دافع أناني، وتوقوا للطاعة حبا بالله.

🕮 أطيعوا جميع الآباء والأخوة، في كل ما لا يتعارض، وناموس الله، وقانون الدير، ونظامه، وتدابير السلطات الرهبانية. ولا تطيعوا في أي حال من الأحوال ما هو شرير، حتى ولو تكبدتم بعض الغم، والألم، من جراء ثباتكم، ورفضكم إرضاء الناس.

🕮 جدوا في طلب نصيحة الأبرار، من الآباء، والأخوة، ولكن خذوها بانتباه كبير، وتمييز. لا تأخذوا بالنصائح من الانطباع الأول، الذي تحدثه فيكم، من جراء عماكم، وأهوائكم.

🕮 فقد تروقكم بعض النصائح الشهوانية المؤذية، بداعي جهلكم، وضحالة خبرتكم، أو ربما لكونها تروق إحدى الأهواء الدفينة في أعماقكم، الأمر الذي أنتم بدون وعي بسببه.

🕮 اضرعوا إلى الله بنحيب، وتنهدات من أعماق القلب، كيلا يسمح أن تشيحوا بصركم عن مشيئته الكلية القداسة، طمعا في الإرادة الإنسانية المعطوبة، سواء تلك التي لكم، أو التي لقريبكم. أما لجهة أفكاركم، وأفكار قريبكم، فاعمدوا إلى المشورة، التي من الكتاب المقدس.

🕮 أما المعتدون بأنفسهم، وبرأيهم، فيحبون التعليم والتوجيه، دون أن يبالوا بقيمة نصائحهم. ولا يخطر ببالهم، أنهم بعملهم هذا، يمكنهم أن يتسببوا بدمار يتعذر إصلاحه، يصيب قريبهم، وذلك من جراء نصيحتهم المعوجة، التي يتلقفها مبتدئ عديم الخبرة، بثقة تخلو من الإحساس بالمسؤولية، أو بانفعال ينبع من اللحم والدم.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٩٨

🕮 هؤلاء يتوخون النجاح مهما كانت طبيعته، ومهما كان أصله.

🕮 ودأبهم أن يحدثوا في المبتدئ أثرا، وأن يخضعوه أخلاقيا،

لمشيئتهم. إنهم يطلبون مديح الناس، ويريدون لو يكونون قديسين ذائعي الصيت، وشيوخا دهاة، ومعلمين ذوي بصيرة روحية عالية.

📖 يطلبون أن يشبعوا مجدهم الجشع، وكبرياءهم. وكانت صلاة النبي ملائمة، أما الآن فهي أكثر ملائمة: "انقذني يا رب، لأنه ليس من بار" {مزمور ٢٠١١}.

📖 الكلام الكاذب والمرائي، مؤذِ وشرير. وبإزاء موقف كهذا، من الضروري اتخاذ الإجراءات الاحترازية المناسبة.

📖 يقول القديس سمعان اللاهوتي الجديد: «أدرس الأسفار الإلهية، فضلا عن كتابات الآباء القديسين، سيما الكتابات الحيوية، والعملية منها. وإذ تقارن تعليم الآباء، بتعليم معلمك وشيخك، وسلوكه أيضاً، فإنك سترى تعليمه وسلوكه كما في مرآة.

📖 عندها تدرك كيف ينبغي أن تسلك. فإذا جاءت هذه التعاليم متفقة والأسفار الإلهية، اجعلها لك، واحفظها في ذهنك. أما إذا جاءت كاذبة ورديئة، فارفضها، لئلا تسقط في الضلال. لأنه ينبغي أن تعلم أن معلمين كثيرين كذبة، ظهروا في أيامنا {الفيلوكاليا الفصل ٣٣}.

📖 عاش القديس سمعان اللاهوتي الجديد في القرن العاشر، أعني قبل تسعة قرون من زماننا. ومع ذلك، وحتى في ذلك الحين، فقد سمع صوت رجل بار في كنيسة المسيح المقدسة، وهو ينشر نبأ غياب مرشدين روحيين حقيقيين، وكثرة المعلمين الكاذبين المنافقين.

📖 وعلى مر الأيام لم يعد في الرهبنة من مرشدين، بالدرجة المرجوة، وإعدادهم كانت تخبو، وتتناقص يوما بعد يوم. ومنذئذ بدأ الآباء يوعزون أكثر فأكثر بالاسترشاد على الأسفار المقدسة، وكتابات الآباء القديسين.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٩٩

📖 القديس نيل سورسكي، يشير إلى الآباء الذين كتبوا قبله، فيقول: "ليس أمرا سهلا على الإطلاق، أن تجد معلماً غير مخدوع، في هذه الممارسة العظيمة، أعني بذلك الصلاة الرهبانية الحقيقية، التي تنبع من القلب، والذهن معا".

📖 وبعبارة «غير مخدوع» يقصد القديس سورسكي، ذاك الذي عنده المعرفة، والتطبيق، والتمييز الروحي، على أساس الكتاب المقدس.

📖 **وقد قال الآباء القديسون:** "أنه حتى في ذلك الحين، لم يكن أمرا سهلا أن تجد معلماً غير مخدوع، في مثل هذه المسائل {الروحية}.

📖 أما وقد تناقصت أعداد الآباء الآن، إلى درجة عظيمة، فينبغي البحث عنهم بالجهد الكبير. على كل حال، إذا تعذر وجود مثل هذا المرشد، فالآباء القديسون يوصون بالتعلم من الأسفار المقدسة، والإصغاء إلى الرب نفسه، الذي يقول: «فتشوا الكتب فتجدوا فيها حياة أبدية» {يوحنا ٥:٣٩}. لأن ما في الكتب، هو لتعليمنا {رومية١٥:٤}.

📖 عاش القديس نيل سورسكي في القرن الخامس عشر. وأسس ديرا - قريبا من البحيرة البيضاء - عكف فيه على الصلاة والتوحد.

📖 ويكون حسنا للشيوخ في الأزمنة المعاصرة، أن يسمعوا، ويلاحظوا بأي تواضع، ونكران للذات، يتكلم البار نيل سورسكي من خلال التوجيهات التي قدمها لأخوته:

📖 «لا يجوز لأي كان، أن يخفي كلمة الله {التي تعلمها} بالتواني والكسل، بل ينبغي أن يقر معترفا بضعفه، وفي نفس الوقت، ينبغي أن يعمل من أجل إعلان الحقيقة الإلهية، لئلا نكون مجرمين بانتهاك الوصية. لا نخفين كلمة الله، بل فلنجعلها معروفة.

📖 أن الأسفار المقدسة، وأقوال الآباء القديسين، تفوق عدد رمل

البحار. لذا ينبغي أن ندرسها باجتهاد، ونفتش فيها، ونعلمها اللذين يقصدوننا، والذين هم بحاجة إليها، ويطلبونها، ويبحثون عنها.

🕮 وعلى نحو أدق، لسنا نحن من يعلم، فنحن لسنا أهلا لذلك، إنما الآباء القديسون المغبوطون، هم الذين يعلمون من الأسفار.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ١٠٠

🕮 ثمة، عندكم نموذج رفيع لإرشادنا اليوم. وهو نموذج آمن تماما، ويعول عليه للمرشد، وللمسترشد بأن. إنه تعبير صحيح عن تقدم وبراعة معتدلين. ويرتبط ذلك بنبذ الغرور، واللامبالاة الحمقاء، والتهور، التي فيها يسقط كل الذين يحذون حذو برصنوفيوس العظيم، وسواه من الآباء اللامعين، ظاهريا فقط، دون أن يمتلكوا النعمة التي عند هؤلاء المذكورين.

🕮 وما كان فيهم تعبيرا عن حضور غني، ووفير للروح القدس، في داخلهم، تراه يخدم جهلا عميقا، وخداعا للذات، وكبرياء، وتهورا، أو طيشا، في مقلديهم المرائين، وغير العاقلين.

🕮 آبائي الأحباء، لننقل كلمة الله لإخوتنا بكل تواضع ممكن، ووقار، مقرين في ذواتنا أننا لسنا أهلا لهذه الرسالة، ومحترزين في ذواتنا من المجد الباطل، الذي يهاجم الشهوانيين بضراوة، عندما يعلمون إخوتهم.

🕮 فقط فكروا أننا سنعطي حسابا عن كل كلمة حمقاء نتلفظ بها {متى١٢:٣٩}. كم سيكون حسابنا عسيرا، عن كلمة الله نكرز بها بروح المجد الباطل، وبتحريض منه: «الرب سيدمر كل الشفاه المسترخية» {مزمور١١:٤}.

🕮 الله سيهلك الذين يطلبون مجدهم الذاتي، لا مجد الله. فلنخش وعيد الله وتهديده. ولنتلفظ بكلمة للبناء عند الضرورة، لا كمعلمين، بل

كمن هم بحاجة إلى التعليم، التواقين أن يكونوا شركاء التعليم، المعطى من الله في كلمته {اللوجوس} الكلي القداسة. «اخدموا بعضكم بعضا، كل حسب الموهبة المعطاة له، كخدام أمناء» {١ بطرس ٤ :١٠-١١}.

📖 إن من يعمل بقوته، فعمله للمجد الباطل، لأنه يقدم ذاته، والذين يسمعونه، ذبيحة للشيطان. أما من يعمل بقوة الرب، فعمله يكون لمجد الله، ويكون خلاصه، وخلاص إخوته بالرب مخلص الجميع.
كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ١٠١

📖 حذار من تقديم تعليم للمبتدئ، للمرء الإقرار بجهله، من تقديمه معرفة مؤذية للنفوس. لننتبه من الدمار الكبير، محولين مبتدئا بسيطا من خادم لله، إلى خادم للناس {١كور ٧:٢٣}، فتجعله ينادي بمشيئة إنسانية معطوبة، بدل إتمام مشيئة الله، الكلي القداسة.

📖 والعلاقة المتواضعة بين المرشد، والمسترشد، تختلف بالكلية عن علاقة الشيخ، بالمبتدئ في طاعة غير مشروطة، كعبد في الرب. وليس من مسؤولية على المرشد، من جراء نصيحته التي أسداها، سيما إذا كان عمله بمخافة الله، وبكل تواضع، لا عن رأي ذاتي، فقط لأنه سئل، وكان الإلحاح عليه من أجل إسداء النصح.

📖 وبالمثل، فإن من يتلقى النصيحة، ليس ملزما بها، فالأمر رهن إرادته، وتمييزه، فإما أن يعمل بمقتضى النصيحة المسداة له، أو يحجم عنها، وهذا شأنه.

📖 ومن الواضح أن طريقة الإرشاد، واتباع الأسفار المقدسة، تلائم زماننا الضعيف، والمريض. ونلاحظ أن الآباء القديسين ينهون عن إسداء النصح للقريب، مدفوعين من رأينا الشخصي، وبدون طلب من القريب نفسه.

📖 إن إسداء النصيحة طوعا، هو علامة على أنا نعتبر ذواتنا مستحوذين على المعرفة الروحية والاستحقاق، وهذا في ذاته علامة أكيدة على الكبرياء والضلال. ألا أن هذا لا يشير إلى الرؤساء، والقادة، الملزمين في كل الأزمان، وعندما تدعو الضرورة أو الحاجة، حتى بدون أن يطالبوا بذلك، فيعلمون الإخوة الذين اؤكل اليهم أمر العناية بهم {٢تيمو ٢٠٦}.

📖 ولكن عندما يقومون بزيارة أديار أخرى، ينبغي أن يأخذوا بنصيحة القديس مكاريوس الإسكندري، التي أسداها إلى القديس باخوميوس الكبير. فقد سأل الأب باخوميوس القديس مكاريوس الإسكندري ذات يوم، عن التعليم، وديونة الإخوة.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ١٠٢

📖 فأجابه مكاريوس: "علم ودين الذين لك، ولكن لا تدن من هم من خارج". إن كل الرؤساء الذين أرادوا أن يرضوا الله، حفظوا هذه القاعدة، وما يزالون حتى الآن يسلكون بموجبها.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ١٠٣

{٢٣}

القديس مرقس الناسك

📖 ٥٢- إذا أخطأت سرا، فلا تحاول أن تخفي. لأن «كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذاك الذي معه أمرنا {عب ٤: ١٣}.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٠

📖 ٧٨- إنسان ينصح جاره طبقا لمفهومه الخاص، ولكن الله يعمل في الذي يسمع لهذه النصيحة بالتناسب مع إيمانه.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٢

١٢٣- من يخلط سرا بين رغباته الخاصة، والمشورة الروحية، فهو غشاش. كما وضح كتاب الأمثال {ق. م. أم ٦: ٣٢- ٣٣}؛ وبسبب غباوته يعاني من الألم والخزي.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١٦

١٣٠- المفلوج الذي أنزل من السقف {ق.م. مر٢: ٤} يمثل الخاطئ الذي أنتهر باسم الرب، بواسطة المؤمنين، ونال الغفران بسبب إيمانهم.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١٧

١٦٥- «بطيء الغضب كثير الفهم» {أم ١٤: ٢٩}؛ وكذلك يفعل من ينصت لكمات الحكمة.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١٨

٧٢- لا ترفض أن تتعلم، حتى ولو كنت ذكي جدا. لأن ما يمنحه الله له قيمة أكبر من ذكائنا الخاص.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٠

١٥٢- عندما يقتني الفكر الرجاء الغير متزعزع، من خلال نبذ الشهوات، حينئذ يجسم أمامه العدو خطاياه السابقة، بحجة الاعتراف بها أمام الله. وهكذا يحاول أن يضرم من جديد الشهوة، التي تم نسيانها بنعمة الله، وذلك سراً لإيقاع الضرر.

حينئذ، حتى ولو كان إنسان ما مستنير، ويكره الشهوات، سوف يسقط حتما في الظلمة والتشوش عند ذكر ما قد فعل.

ولكن إذا ظل مشوشا ومتساهلا مع نفسه، فمن المؤكد أنه سوف يتوانى مع إثارات العدو، ويقبلهم تحت تأثير الشهوة. لذلك فإن هذا التذكر سوف يثبت إنه انشغال للذهن {بالخطيئة} وليس اعتراف.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٨



📖 ١٧٧- عندما تشرح بعض الأشياء، فلا تخفى ما له علاقة باحتياجات هؤلاء الحاضرين. يجب أن تناقش بصراحة كل ما هو لائق، ولكن تحول الى صراحة أقل لما يصعب قبوله.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤٠

📖 ١٧٦- إذا كانت مهمتك أن تعطي إرشادا روحيا ولم تطاع، فأحزن داخليا، ولكن لا تكن مضطربا خارجيا. لأنك إذا حزنت، فلن تشارك في ذنب الشخص الذي لا يطيعك، ولكن إذا اضطربت فسوف تجرب بنفس التجارب مثله.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤٠

📖 ٢١٣- إذا حدث ولم يطيع شخص ما قلته مرة، فلا تتجادل وتحاول أن تلزمه، ولكن خذ لنفسك الربح الذي رماه هو بعيدا، لأن الصبر سوف يفيدك أفضل من تقويمه.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤٤

📖 ١٥١- استدعاء الخطايا الماضية بالتفصيل {في الفكر}، يصيب الإنسان الذي له رجاء في الله بالضرر. لأنه عندما يجلب مثل هذا التذكر الندم، فإنه {يجدد فيه مشاعر الخطية فـ} يحرمه من الرجاء. ولكن إذا صور لنفسه الخطايا بدون ندم، فإنهم يلوثونه ثانية بالنجاسات القديمة.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٨

📖 ١٠٣- إذا أردت أن تعترف لله اعتراف بلا لوم، فلا تراجع سقطاتك بالتفصيل، ولكن قاوم بثبات هجماتهم المتجددة.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٨

📖 ١٦٥- الإنسان الذي يحب الله يستفيد من كل من المدح والتوبيخ، فإذا أمتدح لأجل أعماله الحسنة يصبح أكثر تحمساً، وإذا وبخ بسبب

خطاياه يدفعه ذلك الى التوبة. يجب أن تتفق حياتنا الخارجية مع نمونا الداخلي، وصلواتنا لله مع حياتنا.
كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٩

١٧٩- ما يقال بدون إشارة واضحة للأفراد هو نافع للكل، لأن كل واحد يطبقه لنفسه طبقا الضميره الخاص.
كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤١

١٨٠- من يتكلم بالصواب يجب أن يدرك إنه يأخذ الكلمات من الله. لأن الحق لا يخص المتكلم، ولكن يخص الله الذي ينشطه.
كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤١

١٨١- لا تتجادل مع إناس ليسوا تحت طاعتك عندما يقاومون الحق، لئلا تثير كراهيتهم.
كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤١

١٨٢- إذا أفسحت المجال عندما يعارضك بطريقة خاطئة، واحد من الذين تحت طاعتك، {فإن لم توبخه وتعيده إلى صوابه} فأنت تضلله في النقطة موضع النقاش، وتشجعه أيضا على كسر نذره للطاعة.
كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤١

١٨٣- من ينصح، أو يقوّم بمخافة الله إنساناً قد أخطأ، {يجعله} يكتسب الفضيلة التي تضاد هذه الخطيئة. ولكن من يوبخه بسبب الحقد والشر {الذي يكنه له} سوف يكون موضوعا {هو نفسه} لنفس الشهوة، طبقا للناموس الروحي.
كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤١

٢١١- إذا كان من واجبك أن تعطى أوامر لإخوتك، فكن منتبها لدورك، وعندما يعترضوك، فلا تفشل في أن تقول لهم ما هو ضروري. عندما يطيعوك، سوف تكافأ بسبب فضيلتهم، ولكن عندما

لا يطيعوك، فسوف تغفر لهم بالرغم من ذلك، وسوف تكافأ بعدل من الذي قال: «اغفر وسوف يغفر لك» {ق.م. مت ١: ١٤}.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٤٤

📖 **٢٢٢-** عندما يتباهى شخص ما بفضائله، فلا تحاول أن تساعده بتوبيخك له. لأن الإنسان لا يستطيع أن يسعى للفت الأنظار له، وفي نفس الوقت يحب الحق.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٤٥

{٢٤}

القديس يوحنا الكرباثى

📖 **٣٢-** لا تذعن عندما يزعم لك شخصاً ما تحت طاعتك: "أعطني وقت لكي أعزم على كذا وكذا من العمل الفاضل، حينئذ سوف أكون قادرا على تحقيقه". من يتكلم بمثل ذلك، فمن الواضح إنه خاضع لمشيئته الذاتية، ويتبرأ من تعهده بالطاعة.

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٢٩٧

📖 **٩٨-** إذا كنت تناضل في كل لحظة، لكي تكون حاذياً رجلك باستعداد إنجيل السلام {أف ٦: ١٥}، فسوف تكون بانياً دائماً لبيت جارك كما لنفسك. ولكن إذا كنت متراخياً فإن الشياطين سوف تبصق على وجهك بطريقة غير مرئية، وكما قرر الناموس، سوف تعرف بـ "الرجل المخلوع النعل" {ق.م. تث ٢٥:٩-١٠}.

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٣١٢

📖 **٩٨-** إذا كنت تناضل في كل لحظة، لكي تكون حاذياً رجلك باستعداد إنجيل السلام {أف ٦: ١٥}، فسوف تكون بانياً دائماً لبيت جارك كما لنفسك. ولكن إذا كنت متراخياً فإن الشياطين سوف تبصق

على وجهك بطريقة غير مرئية، وكما قرر الناموس، سوف تعرف بـ "الرجل المخلوع النعل" {ق.م. تث ٢٥:٩-١٠}.

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٣١٢



{٢٥}

ثيئودورس الناسك العظيم

📖 **٤٠-** متى وافقت على أن تكون سكناك مع أب روحي، ووجدت إنه يساعدك، فلا تدع أحد يفصلك عن حبه، وعن المعيشة معه.

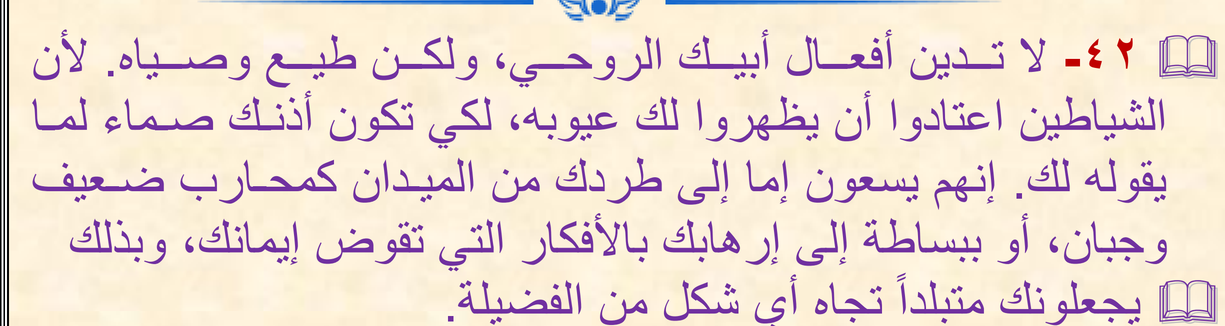
📖 لا تدينه بأي شكل، لا تسبه حتى ولو كان يُعنفك، أو يضربك، لا تسمع لمن يشوه سمعته لديك، لا تؤيد أي أحد ينتقده، لئلا يغضب الرب عليك، ويمحى ذكرك من سفر الحياة {ق.م. خر ٣٢ :٣٣}.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٩



📖 **٤١-** الجهاد لتحقيق الطاعة، يُربح بواسطة نكران الذات كما تعلمنا، من يسعى لكي يكون مطيعاً يجب أن يسلح نفسه بثلاثة أسلحة ـ الإيمان ـ الرجاء ـ والمحبة الإلهية المقدسة {ق.م. ١كو ١٣ :١٣}. وإذا دافع هكذا، فإنه سوف يجاهد «الجهاد الحسن» ويأخذ "إكليل البر" {تى ٤ ٧-٨}.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٩



📖 **٤٢-** لا تدين أفعال أبيك الروحي، ولكن طيع وصياه. لأن الشياطين اعتادوا أن يظهروا لك عيوبه، لكي تكون أذنك صماء لما يقوله لك. إنهم يسعون إما إلى طردك من الميدان كمحارب ضعيف وجبان، أو ببساطة إلى إرهابك بالأفكار التي تقوض إيمانك، وبذلك يجعلونك متبلداً تجاه أي شكل من الفضيلة. 📖

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس ثيئودورس الناسك العظيم ـ صفحة ١٩



📖 **٤٣-** الراهب الذي لا يطيع وصايا أبيه الروحي، ينتهك النذور الخاصة بتعهده الرهباني. لكن من اعتنق الطاعة، وذبح مشيئته الخاصة بسيف الاتضاع، قد أكمل حقاً العهد الذي مع المسيح في حضور كثير من الشهود.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - صفحة ٢٠

📖 **٤٤-** من خلال ملاحظتنا، أدركنا بوضوح أن أعداء حياتنا الشياطين، غيورون جداً من هؤلاء الذين يسعون في الطريق النسكي، تحت طاعة أب روحي، صارّون بأسنانهم عليهم، ومبتكرون كل نوع من المكائد، يفعلون ويقترحون كل شيء ممكن لكي يفصلوا راهبا من عناية أبيه الروحي.

📖 إنهم يقترحون أعذاراً معقولة، إنهم يدبرون تهيجات، إنهم ينهضون الكراهية تجاه الأب، إنهم يظهرون تحذيراته كتوبيخ، إنهم يجعلون كلماته التي للتصحيح تبدو وكأنها سهام مرهفة.

📖 هم يسألون، لماذا وأنت حر مضطر أن تكون عبداً - عبداً لسيد قاسي؟ إلى متى تنهك نفسك تحت نير العبودية ولا ترى نور الحرية؟

📖 حينئذ فإنهم يُثيرون اقتراحات عن الضيافة، زيارة المريض، والعناية بالفقير. بعد ذلك يمجدون بطريقة مبالغ فيها جوائز السكون، والوحدة، المتطرفان.

📖 ويبذرون كل نوع من الأعشاب الضارة الشريرة في قلب المحارب الورع، ببساطة لطرده من مرعى أبيه الروحي، وبحله من هذا الملجأ الآمن، فإنهم يطردونه إلى بحر إلى العاصفة العنيفة والمُدَمِرة للنفس، في النهاية عندما يستعبدونه لسلطتهم الخاصة، فإنهم يستخدمنه طبقا لرغباتهم الشريرة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - صفحة ٢٠

📖 **٤٥-** أنت يا من تحت الطاعة لأب روحاني، يجب أن تكون منتبهاً للدهاء الذي لأعدائك وخصومك، لا تنسى نذرك الرهباني، وتعهدك

أمام الله، لا تكن مهزوماً بالإهانات، لا تكن خائفا من التأنيب السخرية أو الازدراء.

📖 لا تتوقف عن مقاومة واعتراض توالد الأفكار الشريرة، لا تتهرب من انتقادات أبيك القاسية، لا تهين النير المبارك الذي للاتضاع، بتجاسرك أن تكون مكتفياً بذاتك ووقح.

📖 بدلا من ذلك، اركض بصبر في السباق الذي يوضع أمامك، مثبتاً في قلبك كلمات الرب: "الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" {مت ١٠:٢٢}، "ناظرا إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع" {عب ١٢:٢}.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - صفحة ٢٠

📖 **٤٦-** ينقى الصائغ الذهب بصهره في آتون، والراهب المبتدئ يجب أن يسلم نفسه للجهاد من أجل الطاعة، وللمحن النارية التي لحياة مقدسة، متعلماً بعناء وصبر كثير ممارسة الطاعة.

📖 ومتى انصهرت أساليبه وعاداته القديمتين، ويتعلم التواضع الحقيقي، فهو يصبح منيراً، أهلاً للكنوز السمائية، وللحياة الأبدية، والراحة المباركة، حيث هرب الألم والحزن {أش ٣٥ ١٠ س}، وحيث تزدهر السعادة والبهجة الدائمة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - صفحة ٢٠

{٢٦}

القديس مكسيموس المعترف

📖 **٥٨-** بالضبط مثل الأبوان اللذان لهما عاطفة خاصة تجاه الطفل، الذي هو ثمرة جسديهما، كذلك الفكر يتعلق بطريقة طبيعية لأفكاره الخاصة {المحبوبة لديه}.

📖 وكما يبدو للآباء المولعون بشكل عاطفي بأطفالهم، أنهم الأكثر قدرة وجمالاً عن الكل - بالرغم من أنهم يمكن أن يكونوا الأكثر

سخفاً تماماً من جميع النواحي - كذلك يظهر للفكر الأحمق، أن أفكاره الخاصة هي الأكثر ذكاءً عن الكل، بالرغم من إنهم يمكن أن يكونوا منحطين تماماً.

📖 الإنسان الحكيم لا ينظر إلى أفكاره الخاصة بهذه الطريقة على وجه الدقة، عندما يشعر بالاقتناع بأنهم حق وجيدون، فإنه بالأكثر يرتاب في حكمه الخاص. إنه يجعل أناس حكماء آخرين، يحكمون على أفكاره وحججه - خشية أن يسعى، أو يمكن أن يسعى في الباطل {ق.م. جا٢ :٢} ويأخذ منهم تأكيداً.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٩٠

📖 **٩٤-** عندما يكون الفكر نقياً، فإن الله أحياناً يقترب ويعلمه، وأحياناً القوات الملائكية، أو طبيعة الأشياء المخلوقة التي يتأمل فيها، موحية بأشياء مقدسة له.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٩٦

📖 **٧-** كما أن نتيجة عدم الطاعة هي الخطيئة، كذلك نتيجة الطاعة الفضيلة. وكما أن عدم الطاعة يقود إلى كسر الوصايا، والانفصال عمن أعطاهم، كذلك الطاعة تؤدى إلى حفظ الوصايا، والإتحاد مع من أعطاهم.

📖 هكذا من قد حفظ الوصايا من خلال الطاعة، قد حقق الصلاح. وعلاوة على ذلك، لم يقطع نفسه من الإتحاد بالحب مع من أعطاهم، والعكس صحيح على حد سواء.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - مئتا نص كُتَبٌ لطلاسيوس - المئوية الثانية - صفحة ١٣٤ - ١٣٥

📖 **٥٤-** صموئيل يشير إلى طاعة الله، طالما أن مبدأ الطاعة يمارس سلطته المشابهة لسلطة لكاهن في داخلنا، فحتى ولو عفا شاول عن أجاج - أي المشيئة الأرضية - إلا أن هذا المبدأ في غيرته سوف

يقتله (ق. م ١ صم ١٥: ٣٣} أنه يضرب الفكر المُحرض على خطيئة، ويخجله لتعديه الطاعة الإلهية.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس ـ المئوية الثانية ـ صفحة ١٤٥



{٢٧}

تعاليم أنبا بفنوتيوس

📖 **قال أخ: قلت لتلميذ أنبا بفنوتيوس تلميذ الأب مكاريوس الكبير:**

📖 "قل لي يا أبي كلمة أحياها". فقال لي: "أحفظ القناة التي تجرى إلى مزرعتك". فقلت له: "كيف أحفظها؟" قال: "إذا لم تسكن مع فلاح، فمن أين لك أن تعرف ما تشتمل عليه الفلاحة، من حرث، وبذر، وحفظ، وسقى، وحصاد، وغيره؟".

📖 قلت أيضاً: "وما معنى هذا؟" قال: "إذا لم تسكن مع شيخ مجرب كي يعلمك الرهبنة، فمن أين تتعلمها؟ فلو انتقلت من مكان إلى مكان، أو انفردت وحدك، أو صرت أباً قبل أن تستأهل لذلك من قبل الله، فإنك تقيم كل زمانك وأنت لا تعرف كيف تحصد ثمر الفضيلة، بل تضيع الزرع الذي هو تعليم طريق الله.

📖 فيجب عليك أن تسكن مع شيخ حتى تنال منه البركة الأخيرة، مثل إليشع الذي ثبت مع إيليا حتى رفع إلى السماء، فلما باركه تضاعفت عليه روحه. ومثل تلميذي الأنبا أنطونيوس اللذين سكنا مع الشيخ حتى طرح الجسد، وباركهما البركة الأخيرة، فحل عليهما روح الله، وصارا راعيين صالحين.

📖 ومثل يوحنا الذي سكن مع "أنبا بموا" أبيه حتى فارق جسده، فسلمه للشيوخ قائلاً: "هذا ملاك وليس بإنسان". وكمثل يوحنا تلميذ "أنبا بلا" الذي أطاع أباه فأحضر الضبعة مربوطة.

📖 ومثل تلميذ أخر لشيخ كان يمشى مع متوحداً، حتى وصلا إلى شاطئ نهر فيه تماسيح، فعبر التلميذ المطيع بينها، وما أستطاع

المتوحد العبور، حتى أن الشيوخ في ذلك الوقت قالوا: "إن التلميذ بطاعته، صار أعلى من المتوحد".

📖 ومثل تلميذ أخر كان طائعا لمكاريوس، هذا كان قد أرسله أبوه إلى مصر، فلما وقع في تجربة، صرخ بصوت عظيم قائلاً: "يا إله أبي خلصني"، فمن ساعته وجد نفسه يمشى في طريق الإسقيط.

📖 وقد كتب: "أبذر وقت الصباح، ولا تبطل زرعك إلى وقت المساء، ومعناه: "الصلاح الذي بدأت به داوم عليه إلى وقت وفاتك". وانظر إلى الذين تركوا آباءهم ماذا أصابهم، فعيسو لما ترك والده، واختلط بالأمم المرذولة رذله الله، وجيحزى لما لم يطع إليشع أصابه البرص.

📖 فها أنا قد أخبرتك بطريق الحياة والموت، فإن دخلت من الباب الضيق الذي هو طاعتك لأبيك، أوصلك ذلك إلى الحياة الأبدية، وإن مشيت في الطريق الواسع الذي هو اهويه قلبك أدى بك إلى الهلاك"

📖 فقلت له: "يا أبتاه، قد أتي بعض الأخوة إلى أبي، ولست قادراً على السكنى معهم". فقال لي: "لو كان فيك اتضاع، لاستطعت السكنى مع الوحوش، فكم بالحري مع الأخوة؟ واسمع قول داود النبي: "هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الأخوة معاً".

📖 فقلت له: "إني أشاء أن أصير شهيداً".

📖 فقال لي: "إن خالفت أباك فسوف تتعب، ولن تصير شهيداً". فقد حدث شيخاً قال لتلميذه في زمن الاضطهاد: " يا أبني، أن كان لك اشتياق أن تصير شهيداً فأذهب". أما الأخ فبالرغم من اشتياقه إلى ذلك، ألا أنه لم يطع رغبته، ولم يمض، بل قال: "لو صرت فوق رتبه الشهداء، فبركتك لي كل يوم هي أفضل يا أبي".

📖 فلما رأي الله إيمانه في لأبيه خاطبه بالصوت قائلاً: "لآنك أطلعت أباك، ها أنا أعطيك أكليل الشهداء، جاعلاً رتبتك في مصاف جماعة القديسين". أما الذين تركوا آباءهم في الرب قائلين: "أننا نتوحد، ونصوم، ونهرب من الناس" فانخدعوا بذلك الشيطان، ولم يصنعوا لا وحدة، ولا صوماً، ولا هروباً من الناس، بل تنقلوا بين الأديرة،

والمدن، والقرى، وزخرفوا ملابسهم، وفرح بهم الشيطان، وهزأ بهم، لأنهم قبلوا خداعة".

📖 فقلت له: " لقد ربحت منك كثيراً يا أبي، وأريد أن أسكن معك بقية حياتي" فقال لي: "أحي أبوك بعد؟" قلت: "نعم"، فقال لي: "هذا عدم أدب، لآن من كان لا أب له فإني أقبله، أما أنت فلا، لئلا تصبح وقد أفسدت بنوتك، وأكون أنا قد بلبلت قانون الرهبنة، فآباؤنا قد كانوا يحفظون ضمير بعضهم بعضاً، وبغير طاعة لم ينجح أحد".

📖 فقلت له: "يا أبي ماذا أصنع حتى أكمل الطاعة؟

📖 قال: "أسمع: سمعت أنا عن رجلين، أعطى لكل منهما سبعة فدادين قمح ليحصدها في يوم واحد، فلما نظر أحدهما الفدادين قال: "من من الناس يقدر أن يحصد هذه كلها في يوم واحد؟". وإذ قال ذلك مضى ولم يحصد شيئاً، أما الآخر فقال: "على أن أعمل بقدر قوتي، ولا أوقف الحصاد". فمن من الاثنين أرضى سيده؟"

📖 فقلت: "الذي عمل بكل قوته طبعاً".

📖 قال لي: "إذن أمضي أنت وأعمل بكل قوتك، وأنا أؤمن إنك تحسب مع الذين أكملوا الطاعة في الملكوت".

📖 ثم قال: "إن الخروف الثابت في الحظيرة محروس، أما الذي يترك حظيرته ويذهب إلى قطيع أخر فإنه يبقى وحشياً، ولن يسلم من ذئب أو لص، وهكذا الراهب الذي يترك ديره، إذ يشبه أيضاً حماراً، وكل من يجده يركبه، حتى إذا عقر، لن يوجد له صاحب ثابت يعتني به فيهلك من الجوع، والتعب، والجراح.

📖 هكذا تكون حال الراهب إذا ترك ديره، وأباه، وأخوته، وسكن عند آخرين، فانهم يرسلونه إلى هنا وهناك، حتى يسقط في الزنى، ويهلك، ولا يجد من ينهضه، فمن ذا الذي يترك العناية بأولاده، ويهتم بأولاد غيره؟". ثم قال: "إن أبي قال لي: أن المفترقين يتعبدون كل واحد حسب هواه وإرادته، وأما الذي يطيع أباه من أجل المسيح فهو أفضل، إذ يقطع مشيئته لله.

📖 فقلت له: يا أبي، "إن النجاسات التي يبذرها الشيطان في، سواء أكملتها أم لم أكملها، فإن العدو لا يتركني أخبر أبى بها بسبب الاستيحاء". فقال لي: "لا تطع عدوك، بل أخبر أباك بجميعها حتى بأحلام الليل، ولا تخف عنه شيئاً من أفكارك، إن كنت مطيعاً له في كل شيء من أجل الله، ومؤمناً أنه يُحسب عنك لطاعتك له، وأما ما تخفيه عنه فسوف تحاسب أنت عنه كله".

📖 فقلت له: "هل لي أن أعرف شيخاً أخر يطيب به قلبي إزاء نجاستي؟". قال: "إذا توفى أبوك وعين أخ ليصير بعده أباً للأخوة، فاتبعه لأن روح أبيك قد تضاعفت عليه، مثل إليشع بعد مفارقة إيليا، ويشوع بعد موسى.

📖 قد قال الآباء: "لا تخبر بجراحك غير أبيك الروحاني"، وإن كان أبوك متوفي، ولم يعين للأخوة أب، فأطلب لك أباً شيخاً قديساً كاملاً في أعماله قدام الله، وأظهر له جميع أمراضك، فهو يصلى عليك فتعافى، وهذا واحد من ربوات، لآن الآباء قالوا: "لا تظهر خطاياك لكل الناس، لئلا تعثر كثيرين وتؤذي الضعفاء، وأخيراً تَعثر بهم.

📖 وبالإجمال، فإن لم تُضر بهم، فإنك لن تنتفع منهم، فتضطر إلى أن تتقدم لغيرهم لتنتفع منهم وهكذا، ولكن كما كانت الأحكام الصغيرة ترفع إلى الفهماء من شعب إسرائيل فيحكمون فيها، والأحكام الكبيرة والمسائل الصعبة ترفع إلى موسى فيحكم فيها، وما صعب عليه منها سأل الله في حكمه فيها، هكذا تصرف أنت، فالأمور الصغيرة أخبر بها الفهماء من الأخوة، والأمور الصعبة أخبر بها الأب، وما صعب عليه منها فهو يسترشد من الله فيها.

📖 واحذر أن تقول بقلة إيمان كلمة رديئة في أبيك وأخوتك لكيلا يمنعك الله من دخول أرض الميعاد، وتحرم من أكل ثمرتها كما جرى مع شعب إسرائيل ومع موسى أبيهم ويشوع وكالب أخوتهم، وأنذر أنه لا يدخل أرض الميعاد منهم ألا هذان اللذان أطاعا أباهما.

📖 أما الذين رجعوا بقلوبهم إلى مصر، فقد ماتوا كلهم في البرية.

فاثبت أنت مع أبيك، مثل يشوع مع موسى، ليصير مثله نبياً، صانعاً العجائب، وأباً لأمة كبيرة، ووارثاً لأرض الميعاد، متمتعاً بثمراتها أنت وبنوك.

📖 وقد قال الله: "أكرم أباك وأمك ليطول عمرك ويحسن إليك"، وقال: من يقل كلمة رديئة في أبيه أو امه يهلك"، فإذا كان هذا عن الأب الجسداني فكم بالحري الروحاني.

📖 فالذي يترك أباه ويسعى فيه، يشبه يوداس الذي ترك معلمه وأسلمه. كما أن الذي يهزأ بأبيه، فأنه يرث لعنة حام، الذي ضحك على لأبيه لما أنكشف، وحُرم من بركة سام ويافت اللذين ستراه".

📖 قلت: "يا أبي أن الشيطان يتعب الرهبان أكثر من أهل العالم".

📖 قال: "نعم، مثل ملك يريد أن يطرد من مملكته قوماً، ويدخل عوضهم إليها، فلابد إذن أن يعادى الذين أخرجهم، أولئك الذين أبدلهم بهم، وأجلسهم على كراسيهم، ومهما قدروا على إتيانه من الشر بهم فعلوه. فالرهبان الآن يجاهدون في سبيل دخول هذه المملكة، والجلوس على كراسيهم، فالشياطين إزاء ذلك، يقاتلون بالأكثر. فيجب عليك يا بنى أن تطيع، وتتضع للآباء الروحانيين، لئلا تسقط مثلهم {الشياطين}، فإنهم بالعظمة والمعصية لأبي الأرواح، سقطوا وهلكوا"

📖 قلت له: "يا أبى لقد سمعت عن قوم أنهم يصومون يومين يومين، وأربعة أربعة، وستة وستة، وتملأني الغيرة فأود لو أصوم مثلهم".

📖 فقال لي: "الذي صنع هكذا بغير مشورة، فإن الشياطين يرفعونه بالأكثر، وهكذا يخفضونه في أسفل سريعاً، فالذي يقوم بما يفوق قدرته يقتل جسده، وحينئذ ينكسر كالقوس، إذا زاد توترها أكثر من حدها". قلت: "وماذا أصنع إن شتمني أخ؟"

📖 فقال: "إن المشتوم إذا احتمل، غفرت له الخطية التي شُتم بها، وصارت على الشاتم. مثل أن يقال "يا سارق، يا كذاب"، فقد جرى ذلك مجرى الاعتراف، فالمشتوم لما أظهرت خطيته سكت واحتمل،

فقد أُعتبر كأنه أقر بها ودين عليها، أما الذي شتمه، فقد تحمل وزرها، لكونه دان أخاه بذكرها.

📖 مع أنه قد أمر بأن يظهر خطايا نفسه، لكنه بالعكس أظهر خطايا غيره، وقد قيل: "إنه من الجهالة أن يهتم الإنسان بمرض غيره، ويترك الاهتمام بمرض نفسه، أو يترك ميته ويمضي ليبكي على ميت غيره، كما أنه من أعظم الجهالات أن يغفل إنسان عن خطيته، ويذكر خطية أخيه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨٣ ـ ١٨٦

{٢٨}

الشيخ إفرام فيلوثيو

{١} في: الاعتراف ـ المحاسبة الروحية	{٢} في: الطاعة ـ العصيان ـ وقطع المشيئة
{٣} في: الطاعة من مقالات أخري للشيخ	{٤} في: الطاعة الرهبانية
{٥} في: الطاعة الآبائية	{٦} في: الضمير والطاعة
{٧} في: مختارات في الطاعة	

{١}

الاعتراف والمحاسبة الروحية

📖 ١ـ فرح اعترافك هذا نفسي كثيراً، لأن الله والملائكة الذين كانوا بانتظاره، قد ابتهجوا به. لقد نجحت بإلحاق الخزي بالشرير، الذي يسر كثيراً عندما يخفي أحدهم أفكاره عن أبيه الروحي.

📖 عندما تغادرُ الحيّة وكرَها، تسرعُ لتختبئ في مكانٍ ما، لأنها تشعر بأنها ستُهاجم ـ والشيء نفسه يحدث مع الفكر الشيطاني، الذي يشبه أفعى سامة. عندما يغادر فكر كهذا فم الإنسان، فهو يتبدد ويختفي، لأن الاعتراف هو تواضع، وإذ أن الشيطان لا يحتمل حتَّى رائحة التواضع، فكيف بإمكانه البقـــاء بعد اعتراف صادق متواضع؟

📖 يا ولدي: أتمنى لك بدايةً جيّدةً، وتقدماً حذراً. لا تخجل أمامي. لا تشاهدني كإنسان، بل كممثل لله. أخبرني بكلِّ شيء، حتى لو كان فكراً سيئاً ضدي، لأني خبير بالتأثيراتِ الشيطانية، وأعرف كيف يحارب الشرير الإنسان.

📖 أنا أعلم بأن الأولاد الروحيين يملكون قلوباً بسيطة، وبأن الأفكار الشريرة تأتي إليهم بسبب حقدِ الشيطان، وغرور الابن الروحي، الذي سُمِحَ له بأن يسقط، ويملك أفكاراً كهذه ضد شيخه، لكي يتواضع أكثر. لذلك لا تقلق. سأفرح دوماً عندما تتكلّمُ معي بحرية وصدق، فبدون اعتراف صادق لن تُحرِزَ أي تقدم روحي.

📖 **٢.** لا تنزعج يا ولدي: لقد رفعتُ عنك عبأك. قد تكون كلماتك مجرَّدَةً على الورق، لكنّي أشعر بقوة ما تكتبه، بمعناه وبجوهره، لقد دخلت إلى روح كلماتك. أتضرّعُ إليك أن تكون بسلام من الآن فصاعداً. لقد غُفِرَ لكَ كل شيء بالاعتراف الذي قدّمته. يفهم الشيطانُ شخصيتك ويعذِّبُكَ، لكن دون أن يحدث أي شيءٍ خطير.

📖 كلُّ ما كتبته {أي الأفكار التي تزعجك}، هو حيلة من الشرير ليجعلك تيأس، وتحزن، وهكذا. ارم بكل ما حدث لك في أعماق البحر، وارسم طريقاً جديدةً في حياتك.

📖 إذا بقيت تفكر بنفس الطريقة، فاعلم أنك ستغدو أضحوكة للشياطين.

📖 أتوسل إليك، فقط كن مطيعاً لي. بعد اعترافكَ، غُفِرَ كلُّ شيء مضى. لا تخدش جرحاً جعلكَ تعاني كثيراً.

📖 لا يخدعك الفكر بأنَّ ما جرى كان خطأك لو لم تأخذه للأطباء، وغير ذلك من الظنون، فإن هذه الأفكار ستحاربك بعدل. لقد أديت واجبَكَ. أرادَ الله أن يأخذه، لسبب تعلمه فقط حكمته اللامتناهية، وأنت ما زلت تفكر بأنك قتلته!

انتبه إلى هذا الفكر، ولأيّ فكر آخر قد يختبئ في قلبك. إنَّها خدعة من الشرير كي يؤذيك، بالطريقة التي يعرفها. هذا المحتالُ الماهر قد غرق في أعماق الجحيم حشوداً لا عدَّ لها بواسطة اليأس.

عندما يحدث أمر ما، ويرى الشريرُ بأنَّ الشخص قد انزعج بسببه، فخدعته تكمن في تكديس عددٍ من الأفكار التي تظهرُ وكأنها شرعيّة، لكي يقود هذا الإنسان الفقير إلى عاصفة هوجاء ويغرقه، كما يقال: "الثعلب يحب الشجار". وعندما تمر العاصفة، يرى الإنسان بأنه كان في خطر الغرق بشبر من الماء فقط.

٣. اتضع، واعترف منذ الآن فصاعداً، فالاعتراف يتضمن تواضعاً مقدساً لن يخلص بدونه أحدٌ. يبتهج الشرير جداً عندما ينجح في إقناع شخص ما على إخفاء أفكار شيطانية. وذلك لأنه سيحقق هدفه المتعمد، وهو تدمير النفس.

٤. كتبت لك عن الضمير، وبأنه علينا الانتباه من الإتيان بأي عمل قد يوبخنا عليه، ويديننا بسببه. تذكر أن الله يرى كل شيء، وما من أمرٍ خاف عن عينيه. فكيف يمكنني أن أكذب أمام الله؟

ألا تعرف بأن الكذب هو من الشرير، ممارسته يصبح من جراء عدم الانتباه، ثم يغدو عادةً، ثم هوى. ألا تعلم بأن الكذبة لن يرثوا ملكوت الله؟

اتق الله، فهو لا يُسرُّ بالتقدمات المادية، عندما نهمل الاعتناء بقلبنا الداخلي. لكن من الضروري أن نعمل هذه ولا نترك تلك. انتبه لضميرك، فنحن لا نعرف ساعة موتنا.

وإذا لم نردّ لدائنا {ضميرنا} كل ما له علينا، فهو سيتهمنا بشكل عنيف، من دون أن يعيقه شيء. عندها واحسرتاه، سيصمت فمُنا، فلا جواب لديه ليقدّمه.



📖 ٥. استرجع كيف قضيت يومك في كل ليلة، وفي الصباح استعرض كيف مرَّ الليل، لكي تعرف أن تحاسب نفسكَ. إذا رأيت خسارةً ما، حاول أن تعوّضها من خلال الحذر، والعمل بنشاط.

📖 أما إذا رأيت ربحاً ما، فمجدِ الله معينك الخفي. لا تدع ضميرك يخزكَ طويلاً، لكن بسرعة أعطه ما يريد، مخافة أن يأخذَكَ إلى القاضي، وإلى السجن.

📖 هل يريد ضميرُكَ أن تنتبه لقانون صلاتك؟ أعطه هذه الأمور، وانظر كيف ستتحرر من الذهاب إلى القاضي. لا تُضعف صوت ضميرك المنقذ بتجاهلك له، لأنك ستندم فيما بعد، حين لا ينفع الندم.

📖 ٦. كن صادقاً في أعمالك، وفي كلماتك أيضاً، وخاصةً في الاعتراف. فالله يفحص الكلى والقلوب {مز ٧: ٩}، ولا يخفى شيء عن عينه التي لا تنام.

📖 الله لا يُستهزأ به {غلا ٦:٧}، ولا يُعبث معه. هو يؤدِّبُ بصرامة عندما لا يري صدقاً، لذلك انتبه عندما لا تكون مطيعاً وتقترفُ خطيئةً سرّيةً، أبطلها بكشفها بصراحة في الاعتراف.

📖 لا تدع غرورك يهزمك، ويجعلك تُخفي الحقيقة، فتبقى غير متقوم، ومليئاً بالأهواء. صحح كلِّ شيء الآن إذا أردت أن تشاهد أيام السلام واللاهوي الصالحة.

كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو - صفحة ٩٩ - ١٠٢

{٢}
في الطاعة
العصيان - وقطع المشيئة

📖 ١. أصلي لإلهنا الصالح لكي يمنحكم أن تسيروا {في} طريق الحياة

الرهبانية الحقيقي. لا تنسوا العدو الذي نحاربه، ونخوضُ المعارك ضده. إذ لا يجب السعي وراء الخلاص بشكل سطحي، أجبروا ذواتكم، فكروا بالسبب الذي من أجله صرتم رهباناً.

🕮 لقد هجرنا الأهل، والأخوة، والأخوات، لكن إذا لم نهجر إرادتنا الذاتية أيضاً، ولم نكن مطيعين، فلن نجد الرحمة عندما تُحاكم نفوسنا. تأملوا في العقاب الأبدي، ولا تنسوا الفردوس، لأن واحداً منهما سيكون من نصيبنا.

🕮 لقد أظهر المسيح من أجلنا، نحن غير المستحقين، طاعة كاملة لأبيه السماوي، ولأمه بحسب الجسدِ - سيدتنا الكلية القداسة - وليوسف الخطيب - فكم علينا نحن الخطاة أن نقطعَ إرادتنا، ونطيع أبانا الروحي!

🕮 سيقدم الشهداء استشهادهم الرهيب كثمرة لتقواهم، والمعترفون سيقدمون اعترافهم المقدَّس، رؤساء الكهنة أتعابهم ضد الهراطقة، والرهبان جهاداتهم النسكية، أما نحن {وأنا أول الكل} فماذا لدينا لنقدّمه؟ إذا كنا مطيعين، وقطعنا إرادتنا من أجل محبة المسيح، فسنحمل ثماراً غنيةً، وسنقدم شيئاً ما، ولن نذهب بأيد فارغة مثل الخادم الكسول.

🕮 **انتبهوا لطاعتكم:**

🕮 إذا أطعتم جيداً فستربحون حياة أبدية، وإلا سيكون العقاب نهايتكم.

🕮 استيقظوا إذا من كسلكم، ونسيانكم، حان الوقت كي ننهض من نوم الإهمال، فنهاية حياتنا غير معروفة.

🕮 متى سنستيقظ؟ {هل} عندما يأتي رئيس الملائكة ليأخذ نفوسنا؟!!! عندها سيكون الاستيقاظ بلا فائدة.

🕮 الحياة الآتية وقت توزيع الأكاليل، أما الزمن الحاضر فوقتُ الجهاد. {إنها وقت} التعب والكفاح، اغصبوا ذواتكم، ردّدوا الصلاة، أوقفوا

الكلام البطال، أغلقوا أفواهكم عن انتقاد الآخرين، أقفلوا الأبواب والأقفال في وجه الكلمات غير الضرورية.

🕮 يمر الوقت ولا يعود ثانيةً، والويل لنا إذا ذهب بدون فائدة روحية. يجب أن تتأملوا وتطبقوا ما كتبته لكم.

🕮 وليكن إله المحبّة معكم، ولتقويكم سيدتنا الحنونة الكلية القداسة، وتنيركم، وتجعلكم تواقين للجهادِ

🕮 **٣. إذا أردت أن تكون أولاً فكنْ آخراً:**

🕮 عندما يعصي الإنسان ويُحزن أباه الروحي، فالله سيحزن أيضاً.

🕮 أظهر لنا المسيح من خلال أعماله عظمة الطاعة المقدسة، إذ ضحى بذاته طاعةً لأبيه {فيلبي ٢:٩}.

🕮 الذي يملك طاعةً كاملة سيكون مستحقاً لينال اسماً عظيماً في السَّماء، اسم البنوة، التي يوفرها حتى الملائكة - وإكليلاً مضاعفاً في المجد السماوي ... إلخ

🕮 **٤.** يعتبر الآباء القديسون الجهاد الذي تكون قوته المحركة الطاعة المطلقة "العمياء"، التي تقلل من الأسئلة الفضولية، جهاداً شرعياً. هذا الجهاد أكثر أمناً وكمالاً، لأن الطاعة تتضمّنُ التواضع. وحيثما وجد التواضع وجد الأمان والقانون.

🕮 يا ولدي: اعتنق الطاعة الكاملة والتواضع، وستعرف عندها إنك تجاهد بشكل شرعي. الطاعة لا تعني فقط تنفيذ المهمة المنوطة بك، لكنّها أولاً تدلُّ على الخضوع بسرور لنصائح شيخك - أي إطاعة كل ما ينصحك به حول جهادك الروحي.

🕮 **لا تباشر أي جهادِ بدون معرفة شيخك:**

🕮 كان التلاميذ في الماضي يُخبرون شيخهم حتى بعددِ كؤوس الماء التي يشربونها، ليكون شيخهم على دراية بكلِّ شيء عنهم، وبذلك لا

يضلون، ويخسرون مكافأة أتعابهم.

📖 **٥. ما الأمر الذي يفوق ببركته الطاعة من أجل الله!**

📖 أي طريق روحي أكثر أمناً منها!

📖 لذلك اركضوا بفرح كي تمتلكوا إكليل الطاعة الزاهي، الـــذي يزين بـه بطـل الطاعـة السـامية، يسـوعُ، رأس كلِّ تلميذ مجاهـد. أطيعـوا شيخكم طاعتكم للرب، اغصبوا ذواتكم في جهادكم الروحي، وخاصـةً في الطاعة، التي هي زينـــة التلميذ.

📖 تلميذ بدون طاعة هو رحم عـاقر. أمـا الـذي يتـزيّن بالطاعـة قاطعـاً كـــل مشيئته الذاتية، فسيصبح مثل الرحم المخصبة.

📖 **يستفيد التلميذ من معرفة إرادة الله بسهولة من خلال شيخه:**

📖 ويا لها فائدة! يقع الناسُ الآخرون فـي حيـرة مـن أمـرهم، ويسـألون ذواتـهم: "أيتوجب على أن أفعل هذا الأمر، أو ذاك؟".

📖 إنهم يعانون، ويتردّدون، ويخسرون الوقت.

📖 فنحن اليـوم، وبسـبب صـلاتنا الضـعيفة، نـادراً مـا نعـرف إرادة الله بدقة، ولذلك نقـــعُ باستمرار.

📖 يـا أولادي: إنَّ محبـَةَ الله تتـرأف علـيكم كثيـراً، وتُعـرّفكم مشـيئته بـــدون مشقة، لهذا سارعوا إلـى مينـاء الطاعـة بإيمـان وثقـة، لأنـها ستريكم دوماً مشيئته، وهي الحياة الأبدية والراحة المغبوطة للنفوس.

📖 أنا أستمع إلى الاعترافات بشكل متواصل، ليلاً ونـهاراً.

📖 وما الذي لا أسمعه، ولا أتعلمـه؟ مشـاكل بـدون نـهايـة، لا حـل لهـا. وأعرفُ أي نصر يحرزه الإنسان من خلال طاعته الواثقة لمرشـده، وأية عواصف وانكسارات يعـاني منهـا الـذين يعتمـدون علـى ذواتـهم بسبب غرورهم. والنتيجة هي أنـهم ينتقلون من ظلمة إلى ظلمة، ومن أخطاء صغيرةٍ إلى أخطاء أكبر، ضالين بداعي تكبّرهم.

📖 **٦. أيتها الطاعة المثلثة البركات:**

📖 أية عظمةٍ تُخفين بداخلك! - كل من أحبّكِ اغتنى من جمالك، وأصبح طفلاً متواضعاً في المسيح، لذلك سيدخل إلى ملكوت السَّماواتِ مبتهجاً - تماماً كما قال الربُّ: "الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ، إِنْ لَمْ تَرْجعوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلادِ، فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكوتَ السَّمَاوَاتِ" {مت ١٨:٣}.

📖 يتصفُ الطفل الصغير بالبساطة، والبراءة والطاعة لأمّه الغالية. فالطاعة إذا تخلق أطفالاً روحيين، أطفالاً في الخبث. لكن ناضجين في حكمة الله.

📖 **٧.** يا ابني، اتبعني بإخلاص ولا تخف، حوّل وجهتك نحو الطاعة الروحية. ينالُ المطيع حياةً أبديّةً، لأن جميع الفضائل تكمن ضمن الطاعة الكاملة، خاصةً تحرّر النفس من تقديم أي حساب.

📖 يا ولدي، يجب على التلميذ أن يُظهر طاعةً كاملة لشيخه، بحماسة، وتضحية بالذات، كما لو كان المسيحُ أمامه.

📖 انظر يا ابني: إذا كانت طاعتك مخلصةً وكاملة. أَكره المشيئة الذاتية كرهَكَ لموتِ نفسك الخالدة. اتخذ آدم وحواء مثالاً، فهما قد عصيا الإرادة الإلهية، وقاسيا عقوبة النفي المرّة.

📖 لا تعارض شيخك، بل تفكر بأنه يمثل المشيئة الإلهية بالنسبة لك. يُعاقب كل عصيان وتعدٍ بما يتناسب مع الخطيئة، يجب أن يبقى التلميذُ ثابتاً في مكانه، لكيلا يتزعزع.

📖 عليه أن يكون مطيعاً أينما وضع، ومتفانياً في إتمام واجبه حتى الموت، هذه هي الطاعة حتى الموت، الموتِ على الصليب.

📖 **٨.** أولادي الأحبّاء في المسيح: لتكن نعمة مسيحنا معكم، ولتحرسكم

صلوات شيخي القديس يوسف بقوة في غيابي، فالشركة الروحية في المسيح بين التلميذ الصالح وشيخه لا تنفصل أبداً:

🕮 يا أولادي الأعزاء: الذين تملؤون نفسي البائسة بالعبير، تذكروا كلماتي التي قلتها لكم عندما كنتُ معكم، فعندما تذكرونها وتطبقونها، تكونون تحت الطاعة الروحية، الشكل الأفضل للطاعة.

🕮 والذي يملك طاعة كهذه يصير شبيهاً بيسوع المسيح، الذي أطاع حتى الموتِ موت الصليب، لذلك مجده الآب، وأعطاه اسم يسوع، الذي ترتعد منه كلُّ قوات الظلام "وَمَوْجُوداً كَبَشَرٍ فِي الْهَيْئَةِ، فَوَضَعَ نَفْسَهُ وَصَارَ يُطِيعُ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيب" {في٢:٨}

🕮 الذي يملك طاعةً في هذه الحياة سيعيش حياة الروح، التي تدوم حتّى بعد الموت، إلى دهر الداهرين.

🕮 فلنفكّر بأننا لم نُصلَب من أجل المسيح مخلصنا، أمَّا هو فقد سُمِّرَ من أجلنا نحن الخطأة على الصليب، صليب الطاعة.

🕮 **٩.** ما من طريق أفضل من الطاعة، لأنه تعطي من يحبها السعادة، والراحة، والتحرر من المسؤولية، والغفران. والعديد من الأمور الجيدة الأخرى، وفي مقدمتها الحماية من أشراكِ الشيطان.

🕮 فخبرة الأب الروحي تقود التلميذ بأمان، فيسلك طريق الحياة الروحيّة بدون عوائق كثيرة.

🕮 **١٠.** إن التلاميذ الذين يقطعون إرادتهم الذاتية، وُيفرِحون شيخهم في كلّ شيء، هم بمثابة شهداء بالنية، دون أن يُقاسوا العذابات الجسدية المتنوعة.

🕮 أنهى أغلبية الشهداء حياتهم بوقت قصير جداً من العذاب

الاستشهادي، أما شهادة الطاعة الرهبانية فتدوم طوال الحياة، وهي تُعتبر لذلك شهادةً السبب.

🕮 أتوسل إليكم جميعاً أن تنتبهوا لطاعتكم، لأنها تُقَدَّمُ لله من خلال شيخكم. ما الذي نستفيده إذا تركنا العالم والأقارب، ولم نتمم كل ما وعدنا الله به؟ هل قطعنا وعدنا لبشر بأن نحيا بحسب إرادة الله؟

🕮 أي حساب سنقدمه؟! لذا دعونا نسلك طريق الطاعة المطلقة بإخلاص، لتنال نفوسنا النعمة الإلهية.

🕮 ١١. كل من يطبق نصائح أبيه الروحي ينال بركته، ومن يفعل العكس لا ينال بركة شيخه، هنا، ولا في العالم الآخر.

🕮 الذي يتجاهلُ ما أُمِرَ به، ولا يعتبر النصائح الموجهة إليه بمثابة قانون، ولا يكافح لتطبيقها، بل يزدري بها، يجب أن يدرك أن الدينونة ستكون نصيبه!

🕮 يا ولدي: خَف من الديّانِ العادل، وأطعْ نصيحة أبيك الروحي، فهو يريدُ خلاص نفسك، أمَّا الشرير فيبتغي أن يجعلك من أخصائه بواسطة العصيان والغرور

🕮 ١٢. أتوسل إليك أن تكون مطيعاً، وحاول بدون تردد، أو فظاظة، أن تُفرّحَ أباك الروحي. فأنت تعيش معه الآن، وفيما بعد. فلماذا تُحزنه إذاً؟ من غير المفيد لنفسك أن يتحسر ويتنهد بسببك، لأنكَ لن تُبنى هذا الشكل.

🕮 **إذا لم تصحح عصيانك ستبقى خاسراً حتى النهاية:**

🕮 انظر كيف تألّق التلاميذُ القدماء: لقد ضحوا بكل شيء على مذبح الطاعة، مفرحين قلوب مرشديهم الروحيين بمحبة وإيمان تام نحوهم.

🕮 أما أنت فتفحص أولاً إذا كانت كلمات الشيخ مفيدةً، ثم تبعاً لذلك

ستطيعه، أو لا. طاعة كهذه لن تفيد أبداً!
📖 ليست الأفكار مهمّةً، بل الأعمال!
📖 لا الاعتراضات، بل الموت! الموتُ من خلال الطاعة، بهذا فقط سنتبرّر أمام الله عندما نتمم واجباتنا.

📖 ١٣. **الطاعة هي "أنغلوبيون":** "{وهي الميدالية التي يضعها الأسقف حول عنقه وعليها أيقونة العذراء}.
📖 فكما أن "الأنغلوبيون" يُميز الأسقف عن هي الكاهن، كذلك الطاعةُ تكشف التلميذ الجيد، من التلميذ غير المطيع.
📖 أحبب أباك الروحي، وكن مطيعاً له طاعتك لله، فهو يملك المرتبة التالية في التسلسل الكهنوتي. ستجد نعمة عظيمة عندما تطيع شيخك من أجل الله. لا تحزنه كي لا تُحزِنَ الروح القدس، الذي مسحه كخليفة للرسل.
📖 الشيوخ هم خلفاؤهم النهائيون، ويشغلون هذه المكانة بتسلسل كهنوتي من خلال الروح القدس. فمن يحزنهم يحزن الروح القدس.

📖 ١٤. اجتهدوا يا أولادي أن تحفظوا ما أحرزتموه نقياً، لإتمام القانون كما أعطيته لكم. فكل تعدٍ وعصيان سينال بحسب القديس بولس الرسول: "جَزَاء عَادِلاً" {عبرانيين ٢:٢}.
📖 خافوا من عقوبة العصيان: الذي لا يطيع يشبهُ آدم العاصي، ولوسيفوروس الذي ثار ضد الله، والاثنان سقطا مبتعدين عن الله على نحو مخز. يقول الأنبا برصنوفيوس بأن التلميذ الذي يعصي شيخه هو "ابن الشرير".
📖 أصلي لكم من كل قلبي كي تصبحوا تلاميذ كاملين، فتسطعون كالملائكة في وسط ملائكة الله، مرنّمين ومصلين من أجلي، أنا شيخكم البائس غير المستحق، الذي يعلّمُ دون أن يطبق ما يعلمه.

📖 ١٥. من لا يملك طاعةً لا يملك تواضعاً أيضاً، وهو يُسلَبُ خفيةً من خلال الكبرياء. وكيف يمكن للكبرياء أن تُنتج حكماً صحيحاً، وقرارات نافعة للنفس؟

📖 لهذا يجب أن نتواضع كي تحلّ علينا الاستنارة الإلهية، فالمتواضعون يحرزون الحكمة والتمييز، أمَّا المتكبّرون فينالون ضميراً شريراً ضالاً. ولهذا السبب يسيئون فهم نصوص الأسفار المقدَّسة، والآباء القديسين، لأن التواضع مع ضمير مستنير طاهر، غائب عنهم.

📖 الإنسانُ الذي ينصح ذاته هو عدوّ نفسه:

📖 فالذي يستمع لما تقوله له أفكاره، ولا يصغي لنصيحة الأعلى منه، سيصبح خصماً لذاته. لذلك انتبهوا يا أولادي، ولا تفعلوا أي شيء بدون نصيحة شيخكم، إذا أردتم أن تسلكوا الطريق الرهباني بنجاح.

📖 عليكم أن تعرفوا أنكم إذا عملتم مشيئتكم الذاتية فستسيرون بشكل ملتو، وكلما مرَّ الوقتُ كلما ازداد الالتواء. وبالمحصلة سيحين وقت ترغبون فيه أن "تتقوموا" لكن من دون أن تتمكنوا من ذلك

📖 ١٦. أصلي كي تنالوا أنتم المطيعين لشيخكم، بركة ونعمة الروح

📖 القدس، وأن تعاينوا وجه الله، وتسكنوا مع الملائكة في السماء إلى الأبد. أما بالنسبة للذين يعصون، ويعارضون، ويتشاجرون، ويتجاهلون ضميرهم، فليصفعهم الله علهم ينصلحون ويعودون إلى ذواتهم، فحيث لا تفيد الكلمات تفيد العصا.

📖 تجبرني محبّتي الأبوية، ومعاناتي من أجل تقويمكم، وتوقي لخلاصكم، أن أتصرف بحزم عندما يضلُّ بعضُكم، فإذا بقي الشرير بلا ضبط وعقاب، فالمسؤولية تقع على عاتق الآمر، والمأمور معاً.

كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو ـ صفحة ١٤١ ـ ١٤٩

{٣}

عن الطاعة من مقالات مختلفة للشيخ

🕮 أعمال التلميذ المطيع عظيمة.

🕮 الذين يطيعون شيخهم ولا يحزنوه، ينجزون أعمالاً ملائكية.

🕮 ينالُ التلميذُ المطيع نعمةً كبيرةً.

🕮 أكد القديس بولس الرسول، في تعليمه للمسيحيين، على فضيلة الطاعة الأساسية، وأنه علينا أن نُفرح آباءنا الروحيين بتقدّمنا، لأنهم يهتمون بنفوسنا كما يقول: "أَطِيعُوا مُدَبِّرِيكُمْ، وَاخضَعُوا لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَسْهَرُونَ عَلَى نُفُوسِكُمْ سَهَرَ مَنْ سَيُعْطِي حِسَاباً، حَتَّى يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِسُرُورٍ لَا بِحَسْرَةٍ، لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ" {عبرانيين ١٣:١٧}.

🕮 ليس من مصلحتنا أن نُحزِنَ الذين يجاهدون من أجل نفوسنا. عندما لا نجد راحةً أو فائدةً في الطاعةِ، فهناك أمر ما لا يسير على

🕮 ما يرام.

🕮 عندما ينصحُ الشيخ تلميذه في أمرٍ ما، فعليه ألا يعتبر ذلك مرد نصيحة. فهو بجوهره أمر، حتى لو لم يكن ظاهرياً هكذا.

🕮 على سبيل المثال، يقول الشيخ: "يا ولدي كن مطيعاً، ردّدِ الصلاةَ، أبعد الأفكار الشريرة عند مجيئها، لأنها إذا بقيت لوقت طويل، ستلوّث النفس أكثر فأكثر. لكن حتى لو غادرت بعد وقت طويل، فهي ستخلف وراءها بقعاً وشوائب".

🕮 أو عندما يقول: "حالما يدق التالاندو {التالاندو كلمة يونانية تعني الناقوس، وهي: لوح خشبي يقرعُه الرهبان قبل بدء الصلواتِ} انزل إلى الكنيسة فوراً". أو: "في الكنيسة، لا تلتفت حولك، بل ابق ثابتاً في مقعدك، ولا تتحرك إلا في حال الضرورة القصوى".

🕮 يصير الراهب عاصياً عندما لا يطيع كلّ نصائح وإرشاداتِ شيخه.

هـــل يتوجب على الشيخ أن يقول بصـراحة: "أنـا آمـرك بفعـل هـذا وذاك؟" كي يخاف الراهب ويطيع؟ بالطبع لا تُعطى الأوامر فقط فـي حالات محددة.

🕮 لا يأتي شخص مـا إلـى الـدير ليصـبح تلميـذاً مـن أجـل الـرئيس، أو الدير، بل محبة بالمسيح، وسعياً لخلاص نفسه. لكن بمـا أنـه لا يـرى المسيح كي يطيعه، فقــد ترك المسيح ممثلاً عنـه رئـيس الـدير حتـى يتمكن التلميذ من أن يظهر له الطاعة، التي يرغب بتقديمها للمسيح.

🕮 **كل أب روحـي هـو أيقونـة للمسـيح:** فالـذي يطيـع أبـاه الروحـــي، يطيـــع المسـيح. إنهـا لخطيئـة عظيمـة أن تُعامَـلَ أيقونـة المسـيح، وأيقونة العـذراء، أو أيقونـاتِ القديسـين بـلا تصـوّر الأيقونـة شخصـاً إلهيّاً، ولهذا السبب نوقرها ونقبلها، بورع.

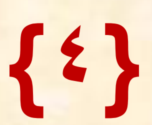
🕮 وهذا الإكرام ينتقل للشخص ذاته الذي تصوّره

🕮 يحمل الأب الروحي صورة المسيح الحيّة، ويُـؤمَرُ التلميذُ بإطاعتـه واحترامه محبة بالمسيح فقط - لا مـن أجـل شـخص الشـيخ، لأنـه قد يكون إنساناً خاطئاً، أو في طريقه نحو الجحيم، مثلي أنا.

🕮 للطاعة معنى آخر: إنها تنتقل مباشرةً إلى المسيح:

🕮 لقد دعتنا محبّة المسيح للمجيء إلى هنا من أجل الجهـاد وخـــلاص نفوسنا، لهـذا يجـب علينـا أن نسـتعمل جميـع الوسـائل لتحقيـق هـــذه الفضيلة الأساسية، الطاعة، التي تحمـل صـفةً شـاملةً: فعنـدما تشـاهد تلميذاً مطيعـاً، فـاعرف أنـه لا يملـك فقـط الطاعـة، بـل الكثيـر مـن الفضائل الأخرى والإنجازاتِ.

كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو ـ صفحة ١٥٣ ـ ١٥٥



في الطاعة الرهبانية

🕮 يُعلمنا يسوع بتواضعه العظمة المخفية في الطاعة.
🕮 ليست الطاعة موجَّهَةً للشيخ، لكنها أيضاً إطاعة وصايا الله.
🕮 هنا الشيخ يعطي الأوامر، أما هناك في الأعلى، فالله هو الذي يعطي وصاياه. إذا كان الإنسان مطيعاً فسيتمتع لاحقاً بثمار هذه الطاعة. واضع المسيح ذاته من خلال طاعته لأبيه السماوي، إذ أطاع كإنسانٍ ليعلمنا سمو فضيلة الطاعة، فبدون تواضع لن يقترب أحدٌ من الله.

🕮 نعلم أن آدم وحواء عاشا بسعادة في الفردوس، عندما كانا مطيعين وحافظين لوصية الله - عدم الأكل من الفاكهة المحرمة. فصارا ملكين على كلِّ الخلائق: إذ حكما عليها بابتهاج، وشعرا بالله وشاهداه. كانت الحياة التي عاشاها مباركةً جداً، فالله كان حاميهما: فلم يزعجهما أحد، ولم يحكم عليهما أحد.
🕮 كان لهما مطلق الحرية للتجوّل في الفردوس بدون خوف، بدون أن يوبخهما ضميرهما. لماذا؟ لأنهما لم يرتكبا أية خطيئة ضد الله.
🕮 لكن عندما أساءا استعمال حريتهما فيما بعد، وأرادا ككائنات حرّة، أن يعصيا الوصيّة، أخطأ إلى الله. فبرزَ الندم مباشرةً بعد خطيئتهما. وبعد سقوطهما مباشرةً بدأ ضميرهما يزعج نفسيهما ويُحزنها.

🕮 **من الواضح أن تأنيب الضمير كان نتيجة العصيان والخطيئة:**
🕮 وجد آدم وحواء ذاتهما في مأزق بعد السقوط "سَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإلهِ مَاشِياً فِي الجَنَّةِ"، تقول الأسفار المقدَّسة، فَاخْتَبَآ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإله" {تكوين ٣:٨}.
🕮 لماذا لم يخافا من الله قبل الخطيئة؟
🕮 أكان هذا هو الوقت الوحيد الذي تمشى الله فيه في الجنَّةِ؟

📖 أكانت هذه المرَّةَ الوحيدة التي اقترب فيها منهما بعد أن عصيا الوصيّة؟ ألم يزورهما الله، وهما ولداه المحبوبان، ويتمشى في الجنَّةِ؟ لكنَّهما لم يخافا منه في ذلك الحين، لأن ضميرهما لم يوبّخهما على شيء، إذ كان مفعماً براحة البال، والهدوء. ولهذا بقيا أيضاً في سلام.

📖 "بينما كان الله يتمشى في الجنَّةِ اختبآ من وجهه خائفين"

📖 فقال لهما: "آدم وحواء، أين أنتما؟ أين اختبأتما؟"

📖 ماذا سيقولان لله الآن؟ "آدم، لماذا اختبأت؟" "أنا خائف"، قال آدمُ، "سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَات"

📖 "لماذا أنت خائف؟ أتخافُ من أبيك، من خالقك، من المحسن إليك؟

📖 أتخاف بسبب اقترابي منك، أنا الذي أعطيتُك فردوساً بكامله، بداعي محبتي الإلهية اللامتناهية؟ السعادة بحد ذاتها تقترب منك، نبع الحياة والفرح والسلام يدنو منك وأنت خائف؟"

📖 "نعم"، أجاب آدم "أنا خائف" لأني ارتكبتُ خطأ فادحاً. لكنه ليس خطئي، بل خطأ حواء المرأة التي أعطيتني، فهي التي دفعتني وألحت علي، ولذا عصيتُ وصيّتك، وأكلتُ من الثمرة المحرّمَةِ".

📖 "حواء"، قال لها الله، "لماذا خدعتِ زوجَكِ، لماذا أكلت من الثمرة؟" فأجابت حواء: "هذا ليس خطئي. فالحيّةُ - التي خلقتها أنت ووضعتها هنا في الفردوس - هي التي طلبت مني أن آكل. وقد أخبرتني بأني إذا أكلتُ هذه الثمرة سأصبح مساوية لله، وأميز بين الخير والشر.

📖 **ما نشاهده هنا هو غرور صرف وواضح، وردود وقحة:**

📖 يُنتج الغرور الإجابات الوقحة في الذهنِ والقلب.

📖 إنَّه يثورُ ضد الله، ويلقي المسؤولية عليه بشكل غير مباشر ولما لم يشاهد الله توبة، أو يسمع اعتذاراً، للحين أمر بطردهما.

🕮 يعطينا هذا الحوار بين الله وآدم وحواء نصيحة ثمينةً، ويُعلّمنا أنَّ الله لا يهجر الإنسان عندما يعصى وصيته. فهو لا يحكم عليه مباشرةً، بل يقترب منه. لكن كيف؟!

🕮 لا يسمعه الإنسانُ وهو يتمشى كما سمعه أدم، أما أنا فأسمعه جليّاً وهو يوبخني قائلاً: "لقد أسأت هنا. أحسنت التصرف هناك. لماذا تفعل ذلك؟" يهتف الله من خلال ضميرنا: "توبوا، فأنتم بشر".

🕮 الإنسان عرضة للفسادِ والسقوط بسهولة، إنَّه كائن متقلب ومتغير. يعرف الله هذا الأمر جيّداً لأنَّه هو الذي أوجدنا وجعلنا بشراً. لكنَّه أعطانا أيضاً النعمة لنتوب، والقوة لننهض.

🕮 لماذا لا تفعل ذلك؟ عندما يوبّخك الرب من خلال ضميرك، وينصحك بواسطة الأناجيل بأن تتوب، وأنت لا تنصاعُ لنصائحه، عندئذ يبدأُ العقاب والشجبُ.

🕮 **لنغير الموضوع الآن ونتناول طريقة حياتنا:**

🕮 ما دام الإنسان مطيعاً، فهو سيحيا بسعادة، مرتاح البال، هادئ الضمير. لكن عندما لا يطيع فسيوبخه ضميره ويقول له: "لقد أخطأت هنا". ثم يصرخُ الغرور: "كلا".

🕮 يكرّر الضمير: "يجب أن تتوب". تبدأ عندها الحرب والاضطراب، وتظهر في النفس حالة من التوبيخ.

🕮 لا نجد في التلميذ الصالح مثل هذه الحالة، فهو يعيش في سلام وهدوء، ممتلئاً رجاءاً بالتجديد المستقبلي، الأبدي في الله.

🕮 نحن نعيش في دير شركوي، يعمل وفق ترتيب محددٍ، ويُسيّره قانون، ونظام، وانضباط، ونصائح وطاعة. عندما لا يطبق التلميذُ الأمر، والنصيحة، ووصايا الله والشيخ، فسيشعر بالتوبيخ بينه وبين ذاته. حافظ الآباء على الطاعة بدقة متناهية إذ كُتِبَ أنهم كانوا

يسألون: "هــل الجيد أن أشرب عشر رشفاتٍ من الماء يومياً؟".

📖 ما الذي {كان الآباء} يحاولون إخبارنا خلال هذا التعليم، والإرشادِ، والنصح؟ إنهم يخبروننا كم يجب أن نكــون دقيقين في إطاعة إرشاداتِ الشيخ وأوامره.

📖 يقول لنا الآباء: "أننا نجعل ذاتنا مشهداً لله، وللملائكة، وللبشــر، والشياطين. عندما نتخلّى عن أهلنا، والعالم، والحرية ولكننا نتنازع على إبرة، أو خيط أو أيّ شيء تافه".

📖 **لقد وعدنا الله بأن ننكر ذاتنا. ماذا يعني ذلك؟**

📖 إنه يعني أن ننكر أهواءنـــا، وكل مشيئتنا.

📖 أما عندما ننفذ مشيئتنا، ونتصرّف بدون بركة لنرضـــي ذواتنـــا ونخدمها، فهل تعتقد أننا نقوم بعمل الطاعة؟

📖 إذا كنا سنقدّمُ لله حساباً عن كلِّ كلمة بطالة: "إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بها النَّاسُ، يُعطُونَ عَنْهَا جَواباً فِي يَوْمِ الدِّينِ" {مت١٢:٣٦}، فكيف لا نقدم حساباً عن كل تصرف نابع من المشيئة الذاتية؟

📖 عندما أصبحنا رهباناً تعهدنا بأن ننكر ذواتنا، ونطيع حتى الموت. فكيف سنبرر إذاً أنفسنا عندما نقفُ أمام يسوع المتواضع بالكلية، وهو يرينا جراحاتِ المسامير والصلب، ويقول لنا: "انظروا كيف أطعتُ الآب السماوي. أنا لم أقطع إرادتي فيما يتعلّق بإبرة، أو خيط أو أي أمر ثانوي، بل قطعتها حتـــى الموتِ، موتِ الصليب {في ٢:٨}. أما نحن فننزعجُ، على سبيل المثال، وتثور الحرب داخلنا عندما نُوبخ على فعل مشيئتنا الذاتية. عندما يتعارض أمر ما مع رغبة إرادتنا الذاتية، يتأجج ثوران وهيجان ضخم داخلنا.

📖 نرى يسوعنا وهو يتلقى الأمر ويقول: "إن أمكن فلتجز عني هذه الساعة، وهذا الكأس، وليخلُص الإنسانُ بطريقةٍ أُخرى"، لكنّ

جواب الآب كان: "كلا. ستكملُ الطريق حتى الصليب والجلجلة". "فلتكن مشيئتك" {مت٢٦:٣٩}. لهذا يجب أن ننتبه لضميرنا، ولا نأتي بأي فعل من دون معرفة الشيخ.

📖 إن السعادة تغمرنا لدى تنفيذ مشيئتنا، وتحقيق رغبة قلوبنا، لكن ستحين ساعة نجد فيها ذواتنا بوضع صعب جداً. عندئذ سنتذكر حياتنا السالفة، ونطلب وقتاً للتوبة والتقويم، لكن الأوان سيكون قد فات! الآن باستطاعتنا أن نصحح الأمور، فلنفعل ذلك. لنبتعد عن القيام بأي شيء بدون بركة.

📖 نجد في "أقوال آباء البرية" قصةً تتحدّث. عن راهبة ذهبت إلى الحديقة وقطفت، بدون بركة {أي: بدون إذن من مرشدها الروحي}، بعض الخس وأكلته، فدخل فيها الشيطان. وبدأت تتصرف كشخص ممسوس. لذلك استدعوا الشيخ ليشفيها.

📖 فوبّخ الشيطان وسأله: "لماذا دخلت في الأختِ؟"

📖 فأجاب الشيطان: "هذا ليس خطئي، فأنا كنت جالساً فوق الخس، وهي التي أكلتني!"

📖 دخل الشيطان في هذه الراهبة جسدياً، لكنه يدخل فينا بشكل مختلف عندما نقوم بتصرفات مشابهة، نابعة من المشيئة الذاتية، من خلال شعورنا بالذنب. وهذا أسوأ بكثير، فذلك الشيطان كان ظاهراً ومرئياً، وانتبه له الشيخ في النهاية، وشفيت الراهبةُ. أمَّا عندما نعصى، فيبقى الشيطان داخلنا وهذا وضع أسوأ.

📖 يقول الآباء: "ليس من الصعب على الشيطان أن يُطرَدَ من شخص ما. لكن الإنجاز العظيم هو أن تتمكّن من طردِ هوىً شيطاني". يستطيع القديس أن يطرد الشيطان، أما طرد الهوى فيتطلب جهاداً شخصياً. لهذا السبب بالتحديد يجب ألا نتعب باطلاً، ونضيع وقتنا ونُخدَع، ظانين أننا نسير على الصراط المستقيم للحياة الرهبانية،

والطاعة العملية، ونطمئن، ونرضى عن ذواتنا، بينما نحن بالواقع غيرُ مطيعين.

📖 قد تخدعنا أفكارنا - أو بالحري غرورنا - قائلةً: "هذا ليس بالأمر المهم، إنه لا شيء. لا يهم إذا قمتُ بذلك" لكنَّ هذا بالواقع تعدٍ للأمر الإلهي. فدعونا لا ننس أننا قد نُعدلُ قانونَ الله، لكنَّه يبقى ثابتاً لا يتغيّر، وسيأتي يومٌ يُطبّقُ فيها بتمامه - عندما نُدان بواسطته!

كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو - صفحة ١٥٩ - ١٦٤

{٥}
في الطاعة الآبائية

📖 بلغ الآباء القديسون بتواضعهم درجةً عظيمة من النعمة. لكن، هل يمكن للتلميذ أن يحقق نجاحاً كهذا؟ بالطبع يستطيعُ ذلك.

📖 فإذا حافظ على الصمتِ، وواظب على أداء واجباته الروحية، وتحرّر من الاهتمامات، فاحصاً أفكاره ومحاسباً ذاته بانتظام، عندئذ سيحرز تقدماً ملحوظاً.

📖 لقد عشنا مع الشيخ يوسف، كتلاميذ له. كان لكل واحد منا خدمه

📖 المختصة به، إضافة إلى التعب اليومي ... الخ. وقد استطاع بعض الآباء، بوجود شيخنا كمرشد خبير بهذه الطرق الإلهية للحياة الروحية، معرفة الأمور التي تركها لنا الآباء اليقظويون، كميراث مقدَّس.

📖 فلنحذر التفوه بالكلمات غير الضرورية، محافظين على ثباتنا في القيامِ بقانون صلاتنا. علينا التقيّد بمواعيد الصلوات في الكنيسة، وأن نتواجد فيها للمشاركة في الخدمة، القداس الإلهي، وصلاة الغروب.

📖 يجب أن نجتمع كلنا معاً على مائدة الطعام، وأن نقوم بكلِّ شيءٍ بترتيب: "حيثما وجد الترتيب، وجِدَ السلام، وحيث وجد السلام كان

الله حاضراً. حيثما وجدت الفوضى وجدَ التشوّش، وحيث التشوش حاضر فهناك يكون الشرير". "وَلْيُجْرَ كُلَّ شَيْءٍ بلَيَاقَة ونظام"

🕮 لنمارس طاعتنا كتلاميذ مبتعدين عن تنفيذ مشيئتنا الذاتية، فهي التي

🕮 طردت آدم وحواء من الفردوس. أمَّا خضوعُ المسيح لإرادة أبيه، فقد أعادها ثانيةً إليه، وهكذا انتصرتِ الطاعة

🕮 **عصى لوسيفوروس الله:**

🕮 فقد تخيّل بغطرسة أنه مساو له، فأبعده الرب عنه، وبذلك أصبح الشرير المحارب لنا. بقيت طغماتُ الملائكة الأخرى، وفية ومطيعة لله، وما زالت تتمتع بمجده.

🕮 ورغم إنها ملائكة متغيرة بالطبيعة، فقد أصبحت بالنعمة غير قابلة للسقوط، إذ تعلّمت الكثير من سقطات لوسيفوروس والإنسان، وهي الآن ثابتة في طاعتها لله.

🕮 إن مشيئة الإنسان شريرة جداً، فهي تخفي بداخلها الكبرياء، محبّة الذاتِ، وغيرها من الأهواء. لذلك عندما يتحرّرُ التلميذُ من المشيئة الذاتية، ينعتق من الأهواء أيضاً.

🕮 كان المسيح مطيعاً حتّى الموتِ على الصليب، أي حتى درجة الإماتة الكاملة للمشيئة الذاتية. لو لم يُطِعِ المسيحُ كإنسان، ولم يقطع مشيئته الذاتية، لما كان الإنسان قد خلص. هكذا الإنسانُ الذي يتمسك بمشيئته الذاتية، ويفعل ما يريد، لن يخلص أيضاً.

🕮 **ماذا يعني إنكار المشيئة الذاتية؟**

🕮 إنَّه يعني أن يطرحها الإنسانُ بعيداً وينكرها، وألا ينفّذ لها أيَّ شيء. عندها فقط يتخلّص التلميذُ من الأهواء. وكلَّما ازداد إنكاره لها، كلما استراح أكثر من أهوائه.

🕮 إذا تعلم التلميذُ بالممارسة كيف يقول: "بارك" و "ليكن مباركاً"،

فسيُكَلِّلُ بإكليل نصر في العالم السماوي. أما إذا نفّذ مشيئته، فهو سيحقن ذاته بالسم. حتى لو كان الأمر الذي أعطى له خاطئاً {من أنبيه}، فالله سيباركه بطريقة ما من أجل طاعته.

📖 أصبح أحد الأشخاص تلميذاً في أخويةِ أحد الشيوخ:

📖 أخبره الشيخ: "بما أنَّكَ أتيت لتعيش في أخويتي، فأنا آمرك ألا تنطق بأية كلمة - أن تصمت من أجل المسيح!".

📖 فأجاب: "ليكن مباركاً"

📖 بعد أن أمضى بعض الوقتِ في هذه الأخويةِ، رأى الشيخ أن بقاءه هناك لا يصب في مصلحته. لذلك قال له: "سأرسلك إلى شيخ آخر، إلى دير آخر". ثم أعطاه ورقةً وقال: "اذهب إلى الدير الفلاني، وأعط هذه الورقة لرئيس الدير وامكث هناك".

📖 أخذ الرئيسُ الورقة - وهي رسالة توصية تقول: "اليبروندا: أرجو أن تحتفظ بهذا الأخ. إنَّه راهب صالح". وهكذا أبقاه الرئيس عنده.

📖 مات هذا الراهب بعد فترةٍ، دون أن يكسر صمته. وبعد موته، كتب الرئيس للشيخ: "لقد كان هذا الأخ الأخرسُ الذي أرسلته لي ملاكاً حقيقياً!". فأجاب الشيخ: "لم يولد هذا الأخ أخرساً، لكنه أصبح هكذا بسبب الطاعة" عندئذ اندهش الرئيس من قوة هذا الأخ، وكيفية التزامه بوصية شيخه الأول!

📖 ما أحاول قوله هو أنَّ الإنكار الكامل للمشيئة الذاتية يقدسنا.

📖 كثيراً ما قلتُ لنفسي: أي مقدارِ من الشرف سيعطي المسيح - نموذج الطاعة - للتلميذ المطيع بالكلية! فهو سيحصيه في عدادِ أخويته، حيث سيشاهدون وجهه أبدياً، كما يكتب القدِّيس يُوحَنَّا اللاهوتي في سفر الرؤيا؟ "وَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَيَكُونُ اسْمُهُ عَلَى جَبَاهِهِم" {رؤيا ٢٢:٤}.

📖 نتمسك، نحن رهبان اليوم، بمشيئتنا بإحكام، لهذا لن نحرز أي تقدم.

📖 نحن لا نقول: "بارك" و "ليكن مباركاً"، بل نقول: "كلا ليس هكذا. هكذا يجب أن يكون الأمر" ... الخ، وبهذه الطريقة ننفثُ السم في ذواتنا، وفي حياتنا، ولا نحقق التقدم الذي يحرزه الرهبان الصالحون.

📖 نقرأ في أحد الكتب، في كتاباتِ الآباء، عن بعض التلاميذ القديسين. وضع الشيخ ثوراً في قلاية تلميذ له، وبقي هذا الثورُ لعدة سنواتٍ يخرب نول التلميذ، وعمل يديه!

📖 ومن الطبيعي أن يكون قد سبّب للتلميذ أضراراً أخرى هناك.

📖 فهو لم يحظ بقليل من الهدوء على الإطلاق. رغم كل هذا، لم تخطر له آيةً أفكار امتعاض - كما قال للأنبا بافنوتيوس: "لم يخطر ببالي أبداً أيُّ فكر ضد شيخي، لوضعه الثور في قلايتي. فهو يعرفُ ماذا يفعل بوضعه هناك، وأنا مرتاح لذلك".

📖 لم تكن لهذا التلميذ طريقة خاصة بالتفكير، فطريقة تفكير شيخه كانت طريقته هو أيضاً. لذلك نقول: "إذا لم نملك طاعةً روحيّةً، فلن نكون قد حققنا شيئاً".

📖 عندما لا نريد ما يريده الشيخ، فلن نكون بالجوهر تلاميذ، ولن نملك طاعة روحيّة. حتى لو أطعنا بأفعالنا، فهذا أشبه بأن نكون بشراً بجسد دون نفس (فهل يمكن أن يُعتبر الشخص الذي يملك جسداً فقط إنساناً حقيقياً)، وهو أمر غير مقبول منطقياً.

📖 كذلك من غير المقبول منطقياً من وجهة النظر الروحية أن يُسمى أحدهم تلميذاً وهو مطيع بأفعاله فقط، وعمل خدمته. فقبل كل شيء، يملك نفساً: أي "طاعةً روحيّة".

📖 يجب أن يقول: "كل ما يؤمن به الشيخ، ويفكر به ويقرّره، فأنا به أؤمن وأفكر، وأقرّر بذاتِ الطريقة".

📖 انتصر القديس سمعان اللاهوتي الجديد على مشيئته الذاتية، وتلقى

اللاهوت من العلاء بسبب طاعته الكاملة، أمَّا الراهب الآخر فقد خسر الطاعة والنعمة، بسبب بإتمامه لمشيئته. ولو كُتبَ كلُّ ما فعله أُولئك الآباء - التلاميذ الممتازون - فستظهر مجلدات بكاملها.

📖 تشبه هذه الأمثلة المرايا التي نستطيع بها رؤية ذواتنا، وكيفية تصرفنا، ليساعد الله كلَّ واحدٍ منَّا لكي نعود إلى رُشدِنا، ونرى ذواتنا، ونعرف كم أنكرنا مشيئتنا.

📖 دعونا نجاهد لنتخلّص من هذا السم الزعاف، ونحيا كما يريد الله، وكما يطلب منا أهلُ المهنة الرهبانية

كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو - صفحة ١٦٥ - ١٧٠

{٦}
في الضمير والطاعة

📖 عندما يطيعُ الإنسان ضميره بشكل كامل، ويطبق كل ما يطلبه منه، فلن يوبخه على أي شيء. ليس لأن صوته قد خَفَت، وضعف. بل بالحري بسبب طاعة الإنسان الجيدة. يقول القدّيس يُوحَنَّا الإنجيلي: "وَإِنْ كَانَ قَلْبُنَا أَيُّها الأحباء لا يُبَكِّتُنا، فَلَنَا ثِقَةٌ لَدَى الله" {١يُوحنا ٣:٢١}.

📖 من المستحيل لأي إنسان أن يتقدّم بدون أن يُزَّل في مكان ما، لأن الشرير، والعالم، والجسد، يُقيمون من كلِّ الجهات عوائق في حياته، فيخطئ بما يتناسب مع طيشه. لكن عندما يسقط، عليه أن ينهض للحال، ويلتمس الغفران. يتوب الإنسانُ تبعاً لثقل سقطته، فسيكف ضميره، الذي اعتاد أن يزعجه عن توبيخه.

📖 يجب أن نحرس ضميرنا من ثلاث جهات:

📖 بالنسبة إلى الله - وإلى قريبنا - وإلى الأشياء.

📖 يحمي الإنسانُ ضميره بالنسبة إلى الله، عندما يتجنب الخطايا المتنوعة - وبالنسبة إلى قريبه عندما لا يُحزنه، ولا يدينه، ولا

يفتـــري عليـــه، ويفضحه، أو يدفعه للقيام بأعمال شريرةٍ ـ أما فيما يتعلق بالأشياء، فيصـــون الإنسانُ ضميره عندما لا يتلف، أو يخـرِّبُ الأشياء المادية بسبب طيشه، أو إهماله، أو عدم انتباهه.

🕮 يخبرنا القديس ثيودوروس الستوديتي أموراً كثيرة حول "انعدام الضمير". فعندما تشاهد شيئاً يحترقُ، أو يتضرّرُ، ولا تحاولُ انتزاعه وحمايته، فهذا انعـــدام للضمير.

🕮 عندما تتمزق ثيابك وتهملها، فتغدو مهترئة بالكامل، فهذا انعدام للضمير. عندما يكون بإمكانك أن تعمل لكنّك عوضاً عن ذلك تتجول هنـــا وهنـاك، فهذا انعدام للضمير أيضاً. عندما تترك طعامك بالخارج فيفسد وترميه، فهذا انعدام للضمير، لأنه كان عليك أن تأكله قبل أن يفسد. انعدام الضمير إذاً يكون عندما يُحزنُ الإنسانُ الله بأية طريقة، ولا يصون الأشياء المادية.

🕮 تتأتى الثروة الأعظمُ للإنسانِ، عندما يكافح ليصون ضميره حراً من الأعباء. لكن عندما يشعر أنه قد جُرِحَ في أمرٍ ما، فيتوجب عليه أن يصححه حالاً، فيعود بذلك إلى سابق عهده.

🕮 كثيرة هي المرَّاتُ التي يوبخنا فيها ضميرنا!

🕮 إذا أصغى الإنسان لضميره، وانتبه له، فسيرشده بدقة. وكلما أرشده بحذر ووبخه، كلما ارتقى الإنسان نحو النقاوة والطهارة.

🕮 **هناك ما يُسمَّى "الضمير الشرير"**

🕮 الذي غالباً ما يأتي تحت ستار، وهيئـــة، وشكل الضمير الصالح. لكنه بالجوهر ضمير شريرٌ، منحرف، ومعارض الله.

🕮 الضمير الشرير هو ذلك الصوت الذي يعلّمُ أشياء خادعةً، مُضلَّةً، ومضادةً. التواضع والطاعة هما نقطتا البداية، الأساس والمنبع للضمير الصالح. أما الضمير الشرير فأساسه الكبرياء، والعصيان.

📖 عندما لا يطيعُ التلميذُ الشيخ، ولا يصغي له، بل يُقاوم ويُخدَعُ، فسيكون لديه ما يُسَمَّى الاتكال على الذات، وهذا هو الضمير الشرير بعينه. تلد العقلية المتواضعة الضمير الصالح.

📖 لكن بما أن الضميرين متشابكان، فغالباً ما يسألُ الشخص ذاته: "أهو الضميرُ الصالح أم الشرير؟ هل يجب أن أصدق هذا أو ذاك؟". إذاً حتَّى يتعلَّمَ الإنسان، أو بالحري يُعَلَّمَ، ما هو الضمير الصالح، يحتاج أن يمتلك تواضعاً، وقبل كلّ شيء يحتاج أن يضع ذاته تحت إرشادِ شخص آخر أعلى منه، رئيسه، والده الروحي، وأن يطيع كل ما يقوله له. ثم سيدرك رويداً رويداً ما هي الأفكار الشريرة والصالحة، ما هو مظهرُ الضمير الصالح، والضمير الشرير.

📖 وهكذا يتجنّب السقوط، من ناحية أولى، بفضل تعاليم أبيه الروحي وإرشاده، ومن ناحيةٍ أُخرى سيتعلّمُ مع الوقتِ أن يميّز مظهر وهيئة كل من الضميرين، فيغدو بذلك إنساناً كاملاً.

📖 **من لا يملك طاعةً سيتأذى كثيراً:**

📖 فكلا الضميرين يضغطان على الإنسان: الأول يعمل لخلاصه، والآخر لتدميره. وفي أحيان كثيرة لا يعرفُ إلى من يصغي منهما. أما الذي يكون تحت الطاعة، فيتجنّب هذا الخطر، صائراً بالتدريج خبيراً، وماهراً في تمييز الضمير الصالح من الشرير.

📖 عانى الأنبا بيمن من فكرين فذهب ليخبر بهما أباه الروحي، الذي كان يعيش في مكان بعيد. انطلق في الصباح ووصل عند المساء.

📖 نسي الأنبا أحد الفكرين، فأخبر أباه فقط عن الفكر الآخر.

📖 عندما عاد إلى قلايته، وحالما وضع المفتاح في الباب، تذكِّرَ الفكر الثاني. وبدون أن يفتح الباب عاد أدراجه ثانيةً وأخبر أباه بهذا الفكر.

📖 فلما رأى أبوه الروحي تعبه ودقته، هتف: "بيمن" ... سيُعرف اسمك في كل أرجاء العالم بسبب فضيلتك".

📖 تجعلُ الطاعة الإنسان خبيراً بما يكفي، ليميز صوت الضمير الصالح، من صوت الضمير الشرير. لكنّه سيغدو ضعيفاً وناقصاً، إذا لم يمر تحت الطاعة.
📖 قد يعطي الهبات، قد يملك نفساً صالحةً، ويقومُ بالعديد من الأعمال الجيدة - لكنَّه يعرجُ دائماً في طريق التمييز والتواضع.
📖 الفضيلة التي تتأتى من الخضوع للشيخ هي التمييز، الذي ينتج عن العقلية المتواضعة. أي أن الطاعة تصقل شخصية الإنسان، وتعطيه فوق كل شيء التمييز والتواضع.

📖 **يقول العهد القديم: "اِسأل أَبَاكَ فَيُخبرَكَ" {تثنية ٣٢:٧}.**
📖 نرى هذا في الطريق الآبائي الذي سار عليه القديسون.
📖 نقرأ في كتاب "حياة آباء البرية" أن تلميذاً اسمه زخريا شاهد رؤيا، لكنّ أباه الروحي لم يكن في وضع يخوّله أن يعرف إذا كانت هذه الرؤيا من الله، أو من الشياطين. فوبّخ تلميذه، وطلب منه أن ينتبه أكثر الموضوع الرؤى.
📖 ذهب التلميذُ إلى شيخ خبير فقال له: "هذه الرؤيا من الله، لكن اذهب واخضع لأبيك الروحي"، مظهراً بذلك أن الطاعة أكثر أهمية من معاينة الرؤى.

📖 لقد ترك لنا الآباء الكثير لتعليمنا الطريقُ الأفضل، والأكثر أمناً وصحة وانعتاقاً من المسؤولية، هي طريقُ الخضوع للشيخ. يقول الأنبا بالآمون: "من يمارس الطاعة، ينفذ جميع وصايا المسيح".
📖 يقولُ الأنبا موسى: "يجب أن يختار التلميذُ الطريق الأفضل".
📖 "اركضوا يا أولادي إلى حيث توجد الطاعة. فهناك يكمن الفرح، السلام، المحبّة الأخوية، الوحدة، اليقظة، التعزية، الأكاليل، والأجر".
📖 لكن إذا أردنا أن ننفذ مشيئتنا الذاتية كتلاميذ، فسيغدو الطريقُ صعباً

قاسياً، وخطراً. عندما يمارس الإنسان الطاعة، سيجد نفسه في محيط من المحبة، القوة، العاطفة الأخويـــة، الأكاليل، التقديس، والخلاص.

📖 **المشيئة الذاتية عائق كبير، وحاجز ضخم:**

📖 إنّها جدار يفصل بين النفس والله. عندما يحجب جدار موجودٌ أمامنا الشمس عنا، يصبحُ المكان رطباً، وغير صحي، وعادم الثمرِ، لأنَّ الشمس لا تشرقُ عليه.

📖 والأمر ذاته يحصل مع جـــدار المشيئة الذاتية، فعندما تقفُ أمام النفس، تُظلِمُ وتبقى بلا ثمر. المسيح هو شمـس البر، فعندما لا يعيق النفس أي شيء، تأتي أشعة المسيح وتنيرها، فيحملُ الإنسانُ الثمر ويتقدّس.

📖 **من ذاق ثمار الطاعةِ يمكنه فقط الحديث عنها:**

📖 الطاعة هي السبيل الأكثر امتلاء بالنعمة. يطردُ المطيعُ قبل كلّ شيء شيطانَ الأنانية، والكبرياء الشرير - علة جميع الشرور - ويصير متواضعاً، مُعتقاً من الاهتمامات.

📖 نقرأ في كتاب "أقوال آباء البرية" عن أخوين غادرا العالم ليصبحا راهبين. انضمّ الأول كتلميذ إلى دير شركوي، أما الآخر فأصبح ناسكاً. بعد سنتين أو ثلاث سنين قال الناسك: "سأذهب لرؤيةِ أخي في الدير، والعائش في وسط الاهتمامات، والإزعاجات. من يعرف كيف يمكن تنفيذ أبسط الأعمال في وسط صخب كهذا؟".

📖 كان الناسك واثقاً بأنه قد بلغ مرتبةً روحيّةً عاليةً خلال من نسكه.

📖 إذاً، ذهب إلى الدير، متعللاً أنه بأمس الحاجة لرؤية أخيه، فقال لرئيس الدير: "أريد أن أرى أخي قليلاً. فأتى أخوه. أما رئيس الدير - الذي كان رجلاً قديساً - فباركهما لينفردا ببعضهما ويتحادثا.

📖 عندما ابتعدا مسافةً كافيةً عن الدير، شاهدا على الطريق رجلاً ميتاً

شبة عريان. فقال الناسك: "ألا نملك ملابس لنغطّي بها الرجل؟".

📖 أما الراهب فأجاب ببساطة "أليس من الأفضل أن نصلي له كي يقوم؟". قال الناسك: "لنصل".

📖 فصليا كلاهما وإذ بالرجل الميت ينهض قائماً. لم يُعرِ الراهب أية أهمية للأعجوبة، لأنَّه آمنَ أَنَّها حدثت بصلواتِ شيخه أمَّا الناسك فقال بداخله أن الأعجوبة حصلت بسبب فضائله ونسكه، وصومه، وبسبب سهرانياته الليلية، والمشقات التي يتحملها، ونومه على الأرض، وكلّ إنجازاته الأخرى.

📖 عندما عادا، وقبل أن تتسنّى لهما فرصة للتكلّم، قال رئيس الدير للأخ الناسكِ: "يا أخي، لا تظن أنّ الله قد أقام الرجل الميت بسبب صلواتك - كلا! بل بسبب طاعة أخيك".

📖 ولما رأى الناسك أن رئيس الدير قد قرأ أفكاره فوراً، وأنه رجل قديس يملك موهبة البصيرة، آمن أنه كان مخدوعاً، وأن أخاه، الذي ظنه قلقاً ومهتماً بأمور كثيرة في الدير، كان يفوقه بالفعل.

📖 تأمل بتلك الثقة التي قال بها التلميذُ: "لنصلّي له كي يقوم!". هنا ترى البساطة، البراءة، والإيمان.

📖 اعتبر الناسك هذا الأمر مستحيلاً، لكن أخاه الراهب في الدير اعتبره أمراً طبيعياً، لأنه وثق بصلوات شيخه. أي جهادٍ كان عليه أن يجتاز ليبلغ هذا القدر من التواضع؟ إلى أي حد تحطّم غروره وكبرياؤه في الدير!

📖 من هو الإنسانُ الذي يأتي إلى الدير ولا يملك غروراً وكبرياء!

📖 كم هم التلاميذ الذين تقدسوا وأفاضوا طيباً بعد موتهم!

📖 عاش راهب في منطقة إسقيط القديسة حنة في الجبل المقدس.

📖 وقد اعتاد أن ينقل أكياس القمح من المرفأ باذلاً جهداً عظيماً حتى أن العرق كان يتصبب. في أحد الأيام بدأ يقولُ بفكره: "أنا أتساءل إذا كنا سنكافأ على كلّ الأعراق والأتعاب التي نعانيها في سبيل طاعة

شيخنا؟" وإذ تفكر بتلك الأمـــور جلس قليلاً ليرتاح.

🕮 فغلبه نومٍ خفيف، وإذ كان نصف نـائم شـاهد سيدتنا الكلية القداسة أمامه قائلةً: "لا تخف يا ولدي هذا العرقُ الذي تريقه كطاعة في جـر المؤن، هو بمثابة دم الشهادةِ بنظرِ ابني".

🕮 عاد الراهب إلى ذاته، وغادرته أفكـــاره وأحزانه. حفر الآباء هذا الحدث على حجرة موجودة هناك، وكلُّ مـــن يعبر المكان بإمكانه أن يقرأها.

🕮 **هناك العديد من الحوادثِ المماثلة في حياة الآباء:**

🕮 يا ليتنا كنا موجودين في ذلك الحين لنراها! فمن النـادر أن نصادف الآن أموراً كهذه. لذلك فلنحاول أن نكتسب ضميراً صالحاً خلال الطاعة: انسحاق من القلب، الاعتراف، والعقلية المتواضعة. ولنبتعد عن المشيئة الذاتية، التي تولّـــدُ الضمير الشرير، والاتكال على الذات.

كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو ـ صفحة ١٧١ ـ ١٧٧

{٧}
في مختارات في الطاعة

🕮 **١. صار ربنا يسوع خير مثال لنا!**

🕮 إذ قادته طاعته لأبيـه السماوي إلى الصليب والموت.

🕮 لقد سار والعرقُ يتصبّبُ منه، وسقط على ركبتيه متألّماً تحت ثقل قطع مشيئته الذاتية، أثناء صعوده نحو الجلجلة.

🕮 كان عليه أن يصعدها، أن يبلغ القمة، أن يُرفَعَ على الصليب المجيدِ المخيف للشياطين، وهناك أظهر طاعته الكاملة والمطلقة، وتكلّل بإكليل المجد الأبدي العادم الذبول.

🕮 تحصـل قيامـة نفوسـنا بهـذه الطريقـة، لا بـالتردّد بـين الطاعـة

والعصيان، منفذين مشيئتنا الذاتيـة. لا يمكـن الحصـول علـى الإكليـل هكذا، بل من خلال الرغبة بالتضحية. تُغلَبُ كلُّ العوائق بالتفكير بـأن الموت أفضلُ من عدم الطاعة في تنفيذ واجباتنا.

٢. كانت طاعة المسيح علّة خلاصنا:

بينما قادنا عصيان آدم وحـــواء إلى هاوية الجحيم.

طريق الطاعةِ يُفضي إلـى الجلجلـة. إنَّهـا مرتفعـة، والصـعود إليهـا مرهق قليلاً، ونحن سنتعب ونعرقُ، لكن دعونا نتأمّل البنوة، ونقـاوة النفس التي سنربحها بعد القيامة.

وهـذه الثـروة لا تضـاهيها آيـة متـع عالميـة. مـا الـذي أقولُـه، "متـع عالمية"؟ بل حتى لو أُعطى الإنسانُ كلّ العـالم، لا يمكنـه أن يشـتري قطـرة واحـدةً مـن الفـرح الروحـي للـنفس، التـي صـعدت الجلجلـة، وعاينت قيامتها الخاصة.

٣. قال المسيح لتلاميذه: "مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ فَقَدْ سَمِعَ مِنِّي، وَمَنْ رَذَلَكُمْ فَقَدْ رَذَلَنِي، وَمَنْ رَذَلَنِي فَقَدْ رَذَلَ الَّذِي أَرْسَلَنِي" {لُوقا ١٠:١٦}.

خلفاء الرسل هم: الكهنة، الكهنة رؤساء الأديار، وشـيوخ الأخويـات الرهبانية. فكل من يطيـــعُ خلفاء الرسل، يطيع المسيح ذاته، وكل من يعصاهم يرفض المسيح

تعتملُ في نفوسـنا رغبـةٌ بوضـع ذواتنـا تحـت طاعـة المسـيح، لهـذا علينا أن نُظهر طاعـةً - لـيس فقـط الطاعـة فـي الأمـور التـي نحبهـا، والعصيان فيما لا نريـــده.

لقد سـأل المسـيح فـي الجسـمانية أن يـتم خـلاص الإنسـان بطريقـة مختلفة، عما يرغب به الآب السماوي. لكن بما أنه قد قـرّر الخـلاص بخشبة الصليب، فقد أجاب المسيح: "يا أَبَتِ إِنْ كـانَ يُسْـتَطَاعُ فَلْتَعْبُـرْ عَنِّي هَذِهِ النَّاسُ، لَكِنْ لا كَمَشِيئَتِي أَنا بَلْ كَمَشِيئَتِكَ أَنْتَ" {متى ٢٦:٣٩}.

📖 **٤. ينبعثُ اللاهوتُ من الصلاة، والصلاة من الطاعة الكاملة:**

📖 بدون طاعة، سرعان ما يخسر الراهبُ كلَّ موهبة وعطيّة، أمَّا التلميذ الحقيقي فيصير حاملاً مواهب المعزي، وغنيّاً بالروح. الآن وإلى دهر الداهرين.

📖 **٥. تزورنا نعمة الله عندما نطيع بالكامل كل ما تعلمناه:**

📖 فلنحرص ألا نضيف إرادتنا إلى إرادة الشيخ، فهذا يدعى "الزنى الروحي". علينا أن نعمل في حقل الطاعة بإخلاص، وإلا لن نحرز أي تقدم في رحلتنا الرهبانية.

📖 فضيلة التواضع تساعد كثيراً في تطبيق طاعة شبيهة بطاعة المسيح. وعلى العكس، الغرور والكبرياء يتعارضان مع مكتسباتها.

📖 ٦. إنَّه لأمر مخيف ومرعب، أن تلح على شيخك وتجبره على القيام بأمرٍ ما تريده أنت، لكنَّه لا يريده. الإنسان الذي اختبر أمراً كهذا، يعلم عما أتكلم.

📖 أبوك الروحي وشيخكَ أكثر إفادة لك من جميع سكان الأرض، لا بل من الكون بكامله. يعرفُ الشرير، أكثر من أي شخص آخر، معنى أن يكون لك شيخ، وأن تكون مطيعاً له بالكامل

📖 **٧. لا تفحص أبداً ما قام به شيخُكَ، أو لماذا فعل هذا أو ذاك؟**

📖 لا تدينه، لأنك بذلك ستصير مسيحاً دجالاً!

📖 لا تسمح طوال حياتك لأحدٍ أن يتكلّم عليه، بل عارضهم للحال، ساتراً إياه ومدافعاً. يُقوِّمُ المسيحُ "التواء" نقائص طبيعة الشيخ وأخطائه، بداعي الطاعة الصادقة الخالية من الانتقاد.

📖 ٨. أحد أهم إنجازاتِ الشريرِ، أن يُقنع التلميذ بإخفاء أفكاره، وأن يقوم بفعل ما بدون سماح شيخه وبركته، وألا يعترف لأبيه

الروحي بكـــل شيء بوضوح.
📖 تلميذ كهذا لن يبدأ أبداً بدايةً جيدةً، ولن يحرز أي تقدم في نعمـة الله، لكنّه سيُجَرُّ هنا وهناك، إلى أن تحين نهاية حياته البائسة.

📖 ٩. تتجلى قيمة الطاعة فقط، عندما تُقطَعُ المشيئة بالم وتعب:

📖 الأهواء تُشبه الجذور الشائكة، وكلُّ من يريدُ اقتلاعها سيعاني بشكل طبيعي من الألـم والـوخز، وستتنزف يداه. يحـدث أمر مماثـل عنـد اجتثاث العادات الشريرة طاعةً للأب الروحي.

📖 ١٠. لا تحـزن شـيخك، أو أخـاك الراهـب، لأنـك ستخسـر مباشـرةً سـلام نفسك، فتتوقف صلاة يسوع، وتمتلئ بالعديد من الأفكار.

📖 أمـا العـلاج فهـو: الاعتـراف، والـدموعُ الحارقـة، والمسـامحة الصادقة للآخرين. كن حذراً، فالشرير سيسحقك، ويُضلّلك بسهولة إذا كان عندك فكر ضد شيخك. رتـب أفكـارك، ولـن يزعجك أي شـيء بخصوص شيخكَ.

📖 ١١. يحمل الشخص المطيعُ ثمار الوداعةِ الجزيلة الثمن:

📖 لأن الشيخ سيَقطع له مشيئته، ويوبخه.
📖 يحرز التلميذ الصالح، باختصار جميع الفضائل، عندما يطيعُ طاعـة كاملة. أمـا إذا عـارض، تشـاجر، عصـى، وتكبّـر ... الـخ، فسـيجرح نفسـه كثيـراً، لأنـه سيُحزِنُ الله الـذي واضـع ذاتـه. أمـا هـو الإنسـان الأرضي البائس، فيتكبّر.

📖 ١٢. عندما يطيع التلميذُ شيخه، ينفّذ بذلك جميع وصايا المسيح:

📖 الطاعة بدون تذمر، وأفكار معارضة، تعادل كل الجهادات المتنوعة الهادفة إلى تطبيق وصايا السيد. من يُطِـع مـن أجـل محبّـةِ الله، يحبـه الله، والثالوث القدوس يسكن في هـذا التلميذ الصالح.

📖 يـا للعظمـة التـي تخفيهـا الطاعـة المباركـة! فهـي تُصير التلميـذ المتواضـع، التافـه، الصـغير، والمظلـم، مسـكناً للثـالوث القـدوس، وتجعله متمماً لجميع وصايا المسيح، وتقوده إلى الفردوس، فيسير في وسط القديسين بإكليل مضاعف، وبقلادة إلهية حول عنقه.

📖 **١٣.** آية. حرية مدهشة تلك التـي تُمنَحُ لمن يقطعُ مشيئته الذاتية بالكامل! أية راحة تجدها نفس المقاتل المجاهد (التلميذ) عندما يتخلّى عن مشيئته الخاصة، وتصبح مشيئة شيخه هي مشيئته!

📖 يعـيش هـذا التلميـذُ المبـارك حيـاة مريحـة روحيـاً، مليئـة بـالفرح والرجاء. إنه يحيا بسلام، واثقاً بأنـه عندما يـريح شيخه، سـيجد الراحة في الفردوس بصلواته.

📖 مبارك هو التلميذُ الذي يقطع مشيئته الذاتيـة الهدّامـة فـي كلّ أمرٍ، ويعترف لأبيه الروحي بكلِّ شيء. شخص كهذا سيغدو مُعافَ روحيـاً هنا، وسيسطع بين الملائكة كملاك للرب أمام عرش الله المرهوب.

📖 **١٤.** ابتهج أيها التلميذ المجاهد، يـا مقلد التلميذ العظيم، "فَوَضَعَ نَفْسَهُ وَصَارَ يُطِيعُ حَتَّى المَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيب. فَلِذَلِكَ رَفَعَهُ اللّهُ وَوَهَبَهُ اسْماً يَفُوقُ كُلِّ اسْم" {فيلبـي ٢:٨ ـ ٩}. أمـا أنـت، فسيرفعك فـوق الأهواء، ويشرّفك باللاهوي، وبمحبته.

📖 لذا جاهد بواسطة إنكار مشيئتك الذاتية، ونفّذ - من أجل المسيح - جميع نصـائح الـذي كفلـك أمـام الـربِّ، عنـدما وعـدت الله بالطاعـة الكاملة حتى الموتِ.

📖 أيتها الطاعة: يا خلاص كلّ المؤمنين.

📖 أيتها الطاعة: يا أم جميع الفضائل!

📖 أيتها الطاعة: يا من تفتحين السماء، وترفعين البشر من الأرض!

أيتها الطاعة: مغذية كلّ القدِّيسين، التي بها اغتذوا، ومن خلالها اكتملوا! أيتها الطاعةُ: أنت رفيقة الملائكة!

كتاب نصائح من الجبل المقدس ج١ الشيخ إفرام فيلوثيو ـ صفحة ١٧٩ ـ ١٨٣



{٢٩}

أنبا بلاديوس

{الرسالة إلى لوزس}

١ـ أوافقك القصد، أن ليس إلا عدلاً بدء هذه الرسالة بالتهاني، إذْ فيما يقتفي العالم كله أوهاماً، ويشيدون أبنية من حجر لا فائدة منها، ترغب أنت في أن تتعلّم، وبأقوال إلهية تريد أن تُبنى.

في الواقع، وحده إله الكون ليس له أن يتلقى تعليماً، بما أنه هو مبدأ نفسه، وما من أحد قبله. أما الباقون، فلأنهم مخلوقون، ينبغي أن يتعلموا. هكذا يعلّم الثالوث الأسمى المراتب الأولى، ثم تتعلم المراتب الثانية من الأولى، وهكذا دواليك إلى المراتب الأخيرة {راجع ديونيسيوس المنحول المراتب السماوية، ٧، ١}. بحيث إن الأكثر تقدما في علمها وتفوقها، تُعلم الأقل منها في ذلك.

٢ـ هذا يعني: إن من يتخيلون أنفسهم دونما حاجة إلى معلم، أو يرفضون الطاعة لمن يعلمونهم بمحبة، إنما هم مصابون بداء الجهل، والجهل يولّد الكبرياء. وهذا الهوى هو الذي أهلك من سقطوا أولاً من الإقامة السماوية، "الشياطين الذين يملئون الهواء" (أف ٢: ٢)، بعدما فروا من معلّمهم في السماوات.

فالتعليم ليس كلامًا، ولا سيّما أنّ الكلام غالباً ما يمتلكه "الأكثر شقاء" هم أنفسهم. بل التعليم الحقيقي هو الأعمال: الاستقامة ـ السكينة ـ الشجاعة ـ والأقدام ـ الهدوء. وتلك الصراحة الكاملة التي هي ينبوع الأقوال المضطرمة كالشعلة.

📖 ٣. وإلا لما كان المعلم قد قال لتلاميذه: «تعلموا مني فإني وديع، ومتواضع القلب» (مت ١١ :٢٩). فهو لا يحث الرسل على لباقة الكلام، بل على حكمة السلوك، في سلام مع الجميع، ما عدا الذين يعاندون الكلمة، والمعلمين.

📖 ذلك أنّ المتدرب على طريق الله، مُلزم بأن يتعلم بدقة ما لا يعرفه، أو أن يُعلم بوضوح ما يعرفه. أما لو رفض هذا الأمر أو ذاك، وهو في سلطانه، فعندئذ يُضله الجنون.

📖 هنا يكون التقزز من التعليم، وفقدان الرغبة في سماع الكلمة الإلهية، التي يجوع إليها دائماً من يحب الله، وهذه هي إنما سمات بداية الجحود. كُن إذاً قوياً، وشجاعًا، في صحة جيدة، ولينعم عليك الله ببلوغ معرفة المسيح.

التاريخ اللوزي ـ بلاديوس أسقف هيلينوبوليس ـ صفحة ٢٨ ـ ٢٩

{٣٠}

القديس ديادوخوس الناسك

📖 ١٠- عندما تنهض قوى الإثارة في النفس ضد الشهوات، يجب أن نعلم أن هذا وقت الصمت، لأن ساعة المعركة قد أتت.

📖 ولكن عندما يتطور هذا الاضطراب الى هدوء، سواء كان بالصلاة، أو بعمل النعمة، يمكننا عندئذ أن نتحرك بالرغبة {لتعليم الآخرين} لإظهار أسرار الله، مقويين أجنحة فكرنا بحبال التواضع {بدون عجرفة}، لأنه إذا لم يعتبر الإنسان نفسه لا شيء تماما، لا يستطيع أن يتحدث {للآخرين} عن جلال الله.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ القديس ديادوخوس الناسك ـ صفحة ٢٤٨



📖 ١١- الحديث الروحي {من الآباء} يحفظ النفس حره دائماً من البر الذاتي، لأنه يعطى كل جزء من النفس إحساس بالنور، حتى إنها لا تعود تحتاج الى مديح الناس.

📖 وبنفس الطريقة فإن مثل هذا الحديث، يحفظ العقل خالياً من خيالات مالنا إياه {من المجد الباطل} بالتمام بحب الله.

📖 ومن ناحية أخرى، فإن الحديث المنقاد بحكمة هذا العالم {المبني على المعرفة دون الخيرة}، يُثير دائماً البر الذاتي، لأنه غير قادر على منحنا خبرة الإدراك الروحي {من خبرة المتكلم}. إنه يلهب محترفيه للاشتياق الى المديح، لكونه لأشيء سوى صناعة إناس مغرورين {بالمعرفة}.

📖 ويتبع ذلك إننا نعرف بدون أدنى شك، متى نكون في الحالة المناسبة التي فيها نتلكم مع {عن} الله، إذا كنا في الساعات التي لا نتكلم فيها، نحافظ على ذكر مكثف لله {داخل قلوبنا} في صمت غير منزعج.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٤٩

{٣١}

كتاب بستان الرهبان

📖 **اعتاد أنبا يوسف أن يقول:**

📖 لما كنا جالسين مع أنبا بيمن ذكر أنبا أغاثون.

📖 فقلنا له: "إنه رجل حديث السن، فلماذا تدعوه أباً؟"

📖 قال أنبا بيمين: "إن فمه هو الذي جعله يدعى أباً".

📖 **سئل أنبا يوحنا رئيس الكينونيون عند نياحته:**

📖 "قل لنا كلمة يا آبانا" قال: "إني لم أكمل هواي قط، ولم أعلم أحداً شيئاً لم يسبق لي عمله".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٦١



🕮 **قال الأب ايرايس:** "إن الطاعة فخر الراهب، فمن اقتناها يسمع الله صوته، ويقف أمام المصلوب رب المجد بدالة، لآن إلهنا من أجل طاعته لأبيه صلب عنا".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٨

🕮 **وقالت القديسة سفرنيكى:**

🕮 "إذا كُنا في الكنونيون فإننا نختار الطاعة على النسك، لآن ذلك يعلم التعاظم، وتلك تعلم التواضع، فيجب علينا ألا نطلب ما يصلح شأننا، ولا نتعبد لمشيئاتنا الخاصة، بل علينا أن نطيع ما يأمرنا به ذلك الذي بالأمانة نستودعه سراً"

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٨

🕮 **وقال القديس باخوميوس:**

🕮 "أسمع يا ولدى، وكن أديباً، وأقبل التعليم.

🕮 أحب الذي يؤديك بخوف الله، كن مطيعاً مثل إسحق الذي يسمع لأبيه، ويطيعه كخروف ساذج القلب".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٧٩

🕮 **وقال أنبا دانيال:**

🕮 استدعاني مرة أنبا أرسانيوس وقال لي: "كن في صلح مع أبيك، حتى عندما يذهب إلى سيدنا يشفع أمامه فيك، ويكون لك خير".

🕮 "من كان بلا مدبر، لا تكون له سلامة"

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨٠

🕮 **قال شيخ:**

🕮 "حدث أن إنساناً شريفاً فرق جميع ماله، وأطلق عبيده، وزهد في الدنيا، إلا أنه صار متوكلاً على نفسه وحده، مرشداً لذاته، ولم يرد أن يكون تابعاً لغيره، متعلماً ممن هم أقدم منه. فوقع في نجاسات شنيعة، وكاد يهلك، لولا أن مراحم الله أسرعت إليه بالتوبة فتعلم

بالخبرة إن التواضع أفضل وأعظم من كل الأعمال والفضائل".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨٠



📖 **قال شيخ:**
📖 "لا تكتم أفكارك الشريرة، وخطاياك القديمة، فإن وجد الشيطان فيك هوى واحدا مكتوماً ففيه يطرحك، لآن الشيطان ليست له قوة أن يجر إنساناً إلى فعل الخطية، ولكنه إذا أبصر هواه مائلاً إلى شيء من الخطية، ففيه يطرحه، فإن رآه متحفظاً، يستشير في أموره كلها، ويطع لما يشار به عليه، فلا يقوى عليه في شيء بالجملة "
📖 وكان يقول: "لست أعرف للراهب سقطة ألا إذا صنع رغابته، فإذا نظرت راهباً قد سقط، فاعلم أنه وقع بهواه، لأنه فعل برأي نفسه".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨١



📖 **سأل أخ شيخاً:** "يا أبي: إن لي ٢٥ سنة أخدم فيها شيخاً، ولكنه قد أثقل على الآن، لذلك فأني أريد أن أتركه".
📖 فقال له الشيخ: "هوذا قد صار لك ٢٥ سنة تحت شجرة الحياة، وأنت تأكل من ثمرتها، وتريد الآن أن تأكل من الزوان، وتترك خدمة الشيخ، لآن شجرة الحياة التي بها تعيش هي كلمة الله التي سمعها من أبيك، والزوان هو أفكار إبليس، تلك التي إذا قبلتها، تجعلك غريباً من شجرة الحياة".
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ١٨٦



📖 **قال القديس أنبا موسي الأسود:**
📖 "من يتذكر خطاياه ويقر بها لا يخطئ كثيراً، أما الذي لا يتذكر خطاياه ولا يقر بها فإنه يهلك بها".
📖 "الذي يقر بضعفه، موبخاً ذاته أمام الله، فقد اهتم بتنقية طريقه من الخطيئة". أما الذي يؤجل ويقول: "دع ذلك لوقته، فإنه يصبح مأوي لكل خبث ومكر". "صيانة الإنسان أن يقر بأفكاره ومن يكتمها

يثيرها عليه. أما الذي يقر بها فقد طرحها عنه.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٨

جاء إلى الأب زينون:

في بلاد سوريا أخ مصري، وأعلن له أفكاره، فتعجب الشيخ قائلاً: "إن المصريين إذا ما كان عندهم فضيلة كتموها، وما ليس عندهم من الزلات نسبوه إلى أنفسهم، وذلك بخلاف ما يفعل الناس الذين إذا فعلوا خير تكلموا به وأظهروه، والزلات يكتمونها".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٩

قال شيخ:

"لا تكتم خطاياك القديمة، وأفكارك الشريرة، فإن وجد الشيطان فيك دافعاً واحداً مكتوماً، ففيه يطرحك، لآن ليس للشيطان قوة أن يجر إنساناً إلى فعل الخطية، ولكنه إذا أبصر هواه مائلاً إلى شيء من الخطية ففيه يطرحه، فإن رأه متحفظاً يستشير في أموره كلها، ويطيع لما يشار به عليه، فلا يقوي عليه في شيء بالجملة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٨٩

قال أخ لأنبا بيمن: "إني خاطئ فماذا أعمل؟"

فقال له: مكتوب "خطيئتي أمامي في كل حين، فأنا أهتم بآثامي وأعترف بذنبي، فقلت أكشف خطيتي أمام الرب، وهو يغفر لي نفاق قلبي".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٧

وقال القديس باسيليوس:

"علامة التكبر قنوع الإنسان برأي نفسه".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣١٦



قال شيخ:

"لست أعرف للراهب وقعة {سقطة} إلا إذا صنع هواه، فإذا نظرت

راهباً قد وقع فأعلم انه بهواه، لأنه فعل برأي نفسه".
كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣١٧

📖 **قال أنبا اثناسيوس:** "من يعاتبك ويوبخك على زلاتك، أحبه مثل نفسك، واتخذه لك صديقاً".
كتاب بستان الرهبان - صفحة ٤٣٦

📖 **قال أيضاً:**
📖 "من يشتم الذي يعلمه خلاصه، فإنه يشتم رجاء الله مخلصه".
كتاب بستان الرهبان - صفحة ٤٣٦

📖 **قال شيخ:**
📖 "لأي شيء تُحزن الذي يعلمك، وتبغض الذي يحزنك.
📖 فاعلم انه ليس هو الذي ظلمك، وأحزنك، ولكنه هو الشيطان، فيجب عليك أن تبغض المرض، ولا تبغض المريض.
كتاب بستان الرهبان - صفحة ٤٣٦

📖 **قال القديس يوحنا القصير:** "لا ترد الجواب على أمر تؤمر بأدائه، بل كن مطيعاً في كل شيء، لكيما تُحب من كثيرين".
كتاب بستان الرهبان - صفحة ٤٤٠

{٣٣}

فيلوكالية الآباء الزاهدين

الفصل الأول

📖 كان يجب علينا، كما يتبين ذلك من النبوءات الإلهية، أن نتعلم {طريق} الله، ونحمل الشريعة الجديدة المكتوبة في قلوبنا، بطريقة لا توصف، أكثر إشراقاً من مشعل.
📖 كان يجب أن يقودنا روح الصلاح، وكل بر، كأبناء وورثة الله،

و"ورثة مع المسيح" {٢كور ٣/٢ ـ ٣}. كان يجب علينا أن نحيا حياة الملائكة، ولا نبتعد عن ذاك الذي علمنا أن نعرف الرب.

📖 **وأما الآن:** ونحن عند عتبة الفصل الأول، فإن انحرافنا عن الأفضل، وميلنا إلى الأسوأ، ناهيك عن كذب الشيطان الوخيم، وشديد استبداده بنا، كل هذا انحدر بنا إلى قاع الشر.

📖 فتحن لم نعد نرى، إلا عن بعد، الوصايا الخلاصية لعمل الله. ونحن منجرفون في الهاويات التي تتلف النفس.

📖 **وأخيراً:** وهذا هو الأدعى إلى الأسف، نحن محفوزون {بسبب أهوائنا} على التفكير والعمل، بما يعود على نفسنا بالأذى. ولذلك على حسب القول الإلهي: "ولا أحد يفقه، ولا أحد يلتمس الرب، ولأننا زغنا عن السراط القويم، فقد أمسينا بلاد جدوى" {مز١٤ ـ ٣}.

📖 ونحن جسد كلنا، ولأننا حرمنا نعمة الله المنيرة، فنحن في عوز إلى الحفز {التحفيز} والعون، اللذين كان علينا أن نستمدهما بعضناً من بعض، لكي نتوجه نحر الخير.

فيلوكالية الأباء الزاهدين ـ كاليستوس وأغناطيوس ـ الجزء الأول ـ الفصل١ ـ صفحة ٢٠ ـ ٢١

فصل ١٥

ما هي دلائل الخضوع الصحيح، التي تمكن المطيع الحقيقي الذي يحملها من أن يكون خاضعاً، ولا يقع في الخطأ

📖 فن الحياة هذا، الكلام فيه طويل وشاق.

📖 والذين يوفقون في العيش هكذا، إنما يفعلون ذلك بطرق مختلفة.

📖 علينا نوعاً ما، أن نمهرك {نجعلك ماهراً} بهذا الفن، ولو بقدر يسير، فإذا حفظت الختم نموذجاً وقاعدة معصومة، فستحيا حياة مقدسة.

📖 نقول إذن: هذا من نذر نفسه للطاعة حقاً، عليه من باب الضرورة القصوى، أن يراعي ـ على ما نظن ـ هذه الفضائل الخمس:

📖 **الفضيلة الأولى هي: "الإيمان".**

📖 عليه أن يملك إيماناً صافياً، وبلا مواربة، تجاه مرشده، بحيث يتوسم فيه المسيح، ويخضع له خضوعه للمسيح، على حد قول الرب يسوع: "من سمع إليكم سمع إلي، ومن أعرض عنكم أعرض عني، وأعرض عن الذي أرسلني".

📖 ويذكر يوحنا السلمي بأن كل ما لا يصدر عن الإيمان خطيئة.

📖 **الفضيلة الثانية هي: "الصدق".**

📖 عليه أن يكون صدوقاً في العمل، والقول، وفي الاقرار بالأفكار إقراراً دقيقاً. فقد كتب: "رأس كلمتك حق".

📖 وأيضاً: "إن الرب يقتضي الحق".

📖 والمسيح نفسه قال: "أنا الحق"، ومن ثم، فهو يدعى "عين الحق".

📖 **والفضيلة الثالثة: "العزوف عن العمل بإرادتنا الذاتية".**

📖 فقد قيل: من نذر للطاعة نفسه هلك إذا عمل بإرادته الذاتية. عليه أن يقمع دائماً هذه الإرادة بنفسه، أي من غير أن يلجئه إلى ذلك أبوه.

📖 **والفضيلة الرابعة: "ألا نماري {نخالف}، ولا ننازع في شيء".**

📖 لأن المماراة والمنازعة، ليس لهما أي علاقة بمن ينذرون نفوسهم للتقوى. وقد كتب القديس بولس: "إن رأى أحد أن يماري فليس هذا من عادتنا، ولا من عادة كنائس الله".

📖 فإذا كان المسيحيون بإجماعهم يمتنعون ببساطة عن هذه الأمور، فبأولى حجة الرهبان، ذلك هو أمر الرب نفسه، أن نخضع خضوعاً جازماً. وأما المماراة، والمنازعة، فدأب فكر يخامره الشك والكبرياء، على حد ما قيل: "الراهب المتكبر عنيف الاحتجاج". وأما العكس - أي الاقلاع عن المماراة، والمنازعة. فهو وليد الإيمان، والتواضع.

📖 **والفضيلة الخامسة والأخيرة هي:** "واجب الحفاظ على اعتراف صحيح، وصادق أمام من يسهر علينا". فإنه في اليوم الذي تم فيه قص الشعر قرب مذبح المسيح الرهيب، أبرزنا وعداً أمام الله، والملائكة القديسين، بان نتقيد اولاً وآخراً بواجب الكشف عن سرائر القلب، إلى جانب ما يشدنا إلى الرب من روابط النذر والعهد.

📖 وهذا ما قاله داود الإلهي: "أذهب إلى الرب لأقر له بخطيئتي، وأنت غفرت الإثم". ويقول يوحنا السلمي: "إن الكلوم إذا تغلبنا عليها، لا تتفاقم بل تنال برءاً".

📖 من حافظ بحكمة ودراية على هذه الفضائل الخمس، كما أتينا على تعدادها، فليعلم يقيناً أنه سوف ينال منذ الآن، سعادة الابرار عربوناً. كل هذا منوط بالطاعة الجديرة بالذكر. ذاكَ هما الجدر والأساس.

📖 **ولكن اعلم أيضاً:** ما الفروع، والثمار، وما هو السقف.

📖 يضيف يوحنا السلمي: "ومن الطاعة يُولد التواضع، ومن التواضع التمييز. ومن التميز التبصر، ومنه الرؤيا النبوية". ذاك عمل الله وحده، العطية العجيبة الفائقة الطبيعة، يمن بها على الذين يخدمونه بكل اغتباط.

📖 **علاوة على ما أوردناه:** فليكن واضحاً لديك كل الوضوح، إن التواضع ينمو فيك، بمقدار دقتك في الانقياد {سمعك لأبيك}، والتمييز بمقدار التواضع، وهكذا دواليك.

📖 فاجهد إذن، قدر المستطاع أن تجتاز بلا عثار طريق الطاعة. وبهذه الطريقة تبلغ أكيداً المراحل المتقدمة.

📖 **ولكن انظر:** هل تعرج عندما تمر بحد الخضوع؟

🕮 فاعلم إذن انه سوف يشق عليك إنجاز ما تبقى من المسيرة حتى حاجز المنتهى، نعني الحياة في المسيح. ولن تكلل بالإكليل المعد للظافر. الطاعة لنا خير دليل، فاحتفظ بمفهومها، وبما قلناه فيها.
🕮 كالمنارة التي يرقبها البحارون مخافة أن يضلوا الطريق، لتكن عينك دائما عليها، فتتمكن من اجتياز محيط الفضائل الكبير، وبلوغ ميناء السكينة الهادئ، حتى وإن دهمتك العاصفة والأمواج، فإلى هناك تقودك الطاعة، لأن إبليس نفسه - يقول الآباء - لا يستطيع ان يؤذي المطيع الحقيقي.

🕮 ولكي نبين لك قليلاً بأي ثمن عظيم يُقدر سمو الطاعة العجيبة، تذكر أيضاً قول للأب القديس صاحب المشعل النير للحياة في المسيح، بصلائيل الجديد للسلم السماوية {إشارة إلى القديس يوحنا السلمي} {إشارة إلى القديس يوحنا السلمي}: "ويشير الأباء إلى أن الترتيل هو السلاح، والصلاة هي السور، والدموع النقية هي الاستحمام وارتأوا ان الطاعة المغبوطة هي الاعتراف، بدونه لا يستطيع ان يرى الرب أحد العائشين تحت نير الأهواء".

🕮 **وهذا في نظرنا كاف لنبين بكل وضوح:** ونمدح التشبه بما يمتنع التشبه به من الطاعة المثلثة الغبطة. وإنما يبقى علينا أن نتعلم ذلك بالخبرة، ونتحقق هل ننظر إلى القمم؟ وهل نتفحص السبب الذي يرهقنا، ويقودنا إلى الموت.
🕮 في حال لم تتحقق هذه الأمور في البداية، وأيضاً ما التجدّد والخلود. ونجد أن مصدر الفساد هو العُجب، والتحرر، والعصيان، عند آدم الأول. ومنها صدر رفض الأمر وعصياته الإلهي.

🕮 **وأما مصدر الخلود فهو** "طاعة آدم الثاني".
🕮 إلهنا، ومخلصنا يسوع المسيح لأبيه، وارادتها المشتركة من حيث

نجمت الطاعة لأمره: "ولأني لم اتكلم بشيء من عندي" يقول المخلص "بل الأب الذي أرسلني اوصاني بما أقول وأتكلم، وأنا أعلم ان وصيته حياة أبدية". فالكلام الذي أفوه به، أقوله كما قاله لي الآب.

📖 فكما أن صلف {تبجح} الجد الأول، وأعقابه {سقوطه}، هو أصل كل البلايا، وأبوها. كذلك في الإنسان الجديد، الإله، الإنسان يسوع المسيح، والراغبين في التشبه بسيرته، أصل كل الخيور وينبوعها، وأساسها إنما هو التواضع.

📖 ونرى عالم الملائكة الإلهيين كلهم، العالم العلوي الذي يهيمن علينا، يراعي مثل هذا الموقف، وهذا النظام، كما تراعيها أيضاً كنيستنا الأرضية. وأما الذين ينحرفون بهذه الشريعة التي أعطيناها في اتجاه آخر، والذين يريدون أن يحيوا بطريقة ملتوية، إن لم نقل سفيهة، فقد علمنا ونعتقد أنهم يتحطمون، وأنهم منفيون بعيداً. وعن النصيب المشرق، نصيب الكنيسة السماوية عن الجامعة، وأنهم مقذوفون في الظلمات ونار جهنم.

📖 هناك العذاب يترقب الفعلة الأردياء، المحيطين بلوسيفيروس، والمدارين الذين يتبعون في زمانهم، الهراطقة الدجالين، نقول هذا طبقاً لما تؤكده اقوال الكتب الإلهية.

📖 هؤلاء، بسبب صلفهم وكبريائهم - كما قيل - رُذلوا من المجد، ومن المباهج، والجماعة، رذلاً شنيعاً.

فيلوكالية الأباء الزاهدين - كاليستوس وأغناطيوس - الجزء الأول - فصل ١٥- صفحة ٤١ - ٤٥
